العلويون في الحجاز

١٣٢ - ٢٠٣ هـ

الدكتور
عبد الله بن علي المسند
قسم السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

دار المنار



العلويون في الحجاز

١٣٢ - ٢٠٣ هـ

الطبعة الثانية

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م



دار المنار
للطبع والنشر والتوزيع
٩ شارع الباب الأخضر - ميدان الحسين
ص ب ٦١ هليوبوليس ت ٥٩١٥٠٨٥


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

«إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ
ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»

صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيم


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

شكر وتقدير

- إلى والدتى التى حَرصَتْ على تَرْبيتى وتَعْليمى مُنْذُ الطفولة الأولى وعوضت فقدان الأبوة . متع اللّٰه بعمرها .

- إلى أم سامى التى قدمت كل عون وشاطرتنى مَشقَّة الغُربة والبَحث . رَعَاها اللّٰه .

- إلى أولادى ... وفقهم اللّٰه . واصْلحهم ..

أهدى هذا الكتاب


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الحمد لله رب العالمين

وبه نستعين


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

أحمد الله وأستعين به ، وأصَلِّي وأُسَلِّم على أشرف الأنبياء محمد ابن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ..

فلما كنت وأنا طالب فى الدراسات العليا تراودنى الكتابة عن عدد من الموضوعات الهامة التى لم يتناولها أحد بالكتابة فيما أعلم ، وكان من بينها وأهمها : « العلويون فى الحجاز من قيام الدولة العباسية حتى سنة ٢٠٣ هـ سياسياً وعسكرياً » ، تلك الأسرة التى ما فتئت تطالب بأحقيتها فى الخلافة ، باذلة من أجل ذلك العديد من الضحايا ، سواء أكانوا من العلويين أنفسهم أو من شيعتهم التى قدَّمت النفس والمال فى سبيل قضيتهم .

وقد عرضتُ هذا الموضوع على أستاذى الدكتور « عبد المقصود نصار » فأشار علىَّ به ، وحدَّده لى فى إطاره السياسى والعسكرى ، وقد كان أستاذى الكريم أكبر معين لى بعد الله - سبحانه وتعالى - راسماً لى الطريق الذى سوف أنهجه ، وأسير عليه ، مبيِّناً المواقف الهامة فيه التى يجب على الباحث دراستها ومناقشتها فى جديَّة وأمانة تاريخية . ولا شك أن هذا الموضوع يبحث فترة من أدق فترات العلويين فى الحجاز فى صراعهم الدامى مع أبناء عمومتهم العباسيين ، الذين استغلوا الخلافة دون العلويين أصحابها الشرعيين - كما يدَّعون ذلك - .

كما أن الحصيلة العلمية فى مصادرنا التاريخية أو الأدبية كانت قليلة بالنسبة إلى موضوعات شتَّى فى التاريخ الإسلامى .

كما أشير إلى أننى لم أعتمد كل الاعتماد على المصادر الشيعية ، لأن بعضها يميل إلى الخرافات ، والآراء المتطرفة للعلويين ، وقد دفعها هذا التطرف إلى صب جام غضبها على الأسرة العباسية متناسية الحقيقة التاريخية . بخلاف مصادرنا التاريخية فهى تعرض لنا الحادثة التاريخية بدِّقة وأمانة .

وقد وضعتُ خطة لهذا البحث تقوم على تمهيد ، وستة فصول .

تناولت فى التمهيد : الحديث عن الحجاز ، وعن العلويين وتسلسل أحداثهم حتى وفاة محمد بن علىّ بن أبى طالب - المعروف بابن الحنفية - ثم تحدثتُ باختصار عن الأسرة العباسية ، وهل كانت لها أطماع فى الخلافة من قَبْل تنازل أبى هاشم إليهم ، أم لا ؟

أما الفصول .. فقد تناولتُ فى الفصل الأول : العلويون خلال الدعوة العباسية ، وتكلمتُ عن الحُمَيمة والدور التاريخى الذى لعبته بانتقال الوصية من أبى هاشم إلى الأسرة العباسية . ثم درستُ مؤتمر الأبواء الذى عُقِد فى الحجاز ، وَدَعَى إليه كبير العلويين عبد اللّه بن الحسن ، وكان الهدف منه ترشيح ابنه محمد النفس الزكية للخلافة ، وقد ذهب بعض المؤرخين القدماء والمعاصرين إلى أن العباسيين بايعوا محمداً . وقد بيَّنا رأينا حول هذه القضية .

وتناولتُ - بعد ذلك - الظروف التى جعلت أبا سلمة الخلاَّل يتصل بالعلويين ويعرض عليهم الخلافة ، بعد تحقق نجاح الدعوة وأخذ نجم الدولة الأموية فى الأفول .

أما الفصل الثانى .. فهو العلويون وقيام الدولة العباسية . تحدثتُ فيه عن قيام الدولة العباسية ، ونظرة الأسرة العباسية للعلويين عند اعتلائهم عرش الخلافة ، والموقف السلمى الذى وقفه العلويون عند قيام دولة بنى العباس . ولماذا كان موقفهم مع السفاح سلمياً ، ثم أصبح فيما بعد - فى زمن الخليفة المنصور - نزاعاً سياسياً حاداً ، تحوّل بعد ذلك إلى نزاع عسكرى . وهذا ما يخص الفصل الثالث .. الذى سميناه : حركة محمد النفس الزكية بالمدينة المنوَّرة ، وأشرنا فيه إلى أهم الأسباب والأهداف لحركة محمد ، ووضّحنا فيه كيف أن النفس الزكية كان يطمع فى الخلافة قبل أن يصل العباسيون إليها . ثم درسنا الرسائل المتبادلة بين الخليفة المنصور والنفس الزكية . وبيّنا الأسباب التى جعلت الخليفة يلجأ إلى مراسلة محمد قبل النزاع المسلح ، حيث إن الخليفة لم يسلك هذا المنهج مع غير محمد من الخارجين عليه .

ويحدثنا الفصل الرابع .. عن حركة إبراهيم فى البصرة ، الذى قام فى بادئ الأمر بالدعوة لأخيه محمد ، ولما فشلت حركته وقُتِل دعى لنفسه ، وتسمى بأمير المؤمنين ، كما أبرزنا موقف العلماء فى ذلك الوقت من حركة محمد وإبراهيم ، الأمر الذى زاد من أهمية هذه الحركات فى أعين الناس ، كما نتج عن تأييد هؤلاء العلماء للحركتين أن اعتنق هذه الدعوة العلوية الكثير من الناس ، فقد أضفى عليها موقف العلماء طابعاً قوياً . ثم تناولنا حركة السودان كأثر لحركة محمد وإبراهيم .

أما الفصل الخامس .. فيبحث عن حركة الحسين بن علىٍّ بن الحسن الذى يُعرف بصاحب « فخ » التى انطلقت شرارتها الأولى بالمدينة المنوَّرة وفشلت وقُتِل صاحبها بمكة . ثم تناولنا الأمل الكبير الذى عقده العلويون على هذه الحركة ، وما كان بعد ذلك من نتائج .

ويبحث الفصل السادس .. العلويون فى عهد الخليفة المأمون :

(أ) حركة أبى السرايا وعلاقة علويى الحجاز بها ، هذه الحركة بدأت نواتها من المدينة المنوَّرة حيث خرج العلويون وأعلنوها على الكوفة ، وامتدت إلى مكة والمدينة وأصبح الحجاز بكامله يدين بالولاء للعلويين مع غيره من الأقاليم . ولكن أمل العلويين فيها بدأ يضمحل وذلك بسقوط مكة آخر معقل لهم ، فسلَّموا للعباسيين وطلبوا الأمان منهم .

(ب) المأمون وعليّ الرضا . تحدثتُ عن موقف عليّ الرضا من الخلافة وهل كانت له أطماع فى طلب الخلافة ، أم كان مسالماً ؟ ثم تطرَّقنا إلى الأسباب التى جعلت الخليفة يولى عليّ الرضا العهد من بعده . وعن مدى قبول عليّ الرضا لذلك ، وكيف كانت نهايته ، والملابسات حول كل ذلك ، مما سنبيِّنه - إن شاء الله تعالى - بالتوضيح ، ما أمكننا ذلك .

وقد جعلتُ حركة أبى السرايا وعلاقة علويي الحجاز بها ، والمأمون وعليّ الرضا فى فصل واحد لأنهما ينتميان إلى الأصل الحسينى بخلاف العلويين قبلهما - النفس الزكية وأخيه إبراهيم والحسين بن عليٍّ بن الحسن - فهم ينتمون إلى الأصل الحسنى .

* * *

كلمة عن المصادر

هناك مصادر قد استفدنا منها في هذه الدراسة منها ما هو مخطوط ، ومنها ما هو مطبوع ، وسأتحدث بإيجاز عن أهم المصادر التاريخية التى تناولتها فى هذا البحث ، وكانت خير وسيلة للوصول إلى إتمامه - بعد عون اللّه تعالى - .

١ - كتاب « الطبقات الكبرى » : لمؤلفه محمد بن سعد الذى وُلِد بالبصرة سنة ١٦٨ هـ ، وتوفى ببغداد سنة ٢٣٠ هـ ، وهذا الكتاب الجدير بالمطالعة له فائدة تاريخية هامة فرغم أنه كتاب فى الطبقات إلا أن الباحث لا غِنَى له عنه ، ففى ثناياه أخبار تاريخية هامة بجانب ذكره للشخصيات الهامة ، وقد كانت فائدتى الكبرى منه فى المراسلات التى دارت بين محمد ابن الحنفية ، وعبد الملك بن مروان ، والتى كشفت عن العلاقة القوية بينهما ، كما أثبت لنا حقيقة تنازل أبى هاشم عن الإمامة عندما حضرته الوفاة لمحمد بن علىّ العباسي ، وكان ذلك فى الحُمَيمة .

وترجع أهمية الطبقات إلى أن صاحبه - محمد بن سعد - كان محبوباً عند أهل عصره ، وكان لا يستقى أخباره إلا من رواة ثقاة ، مثل الواقدى ، ويعقوب الأزهرى ، والواسطى ، وابن إسحاق ، وابن الكلبى .. الأمر الذى جعل هذا الكتاب من الكتب الموثوق فيها ، ويزيد من أهمية هذا الكتاب أن مؤلفه كان متقدماً فى الزمن .

٢ - أما « تاريخ ابن خيَّاط » لمؤلفه خليفة بن خيَّاط بن أبى هبيرة الشيبانى . فهو يعطى الأحوال الإدارية اهتماماً كبيراً مثل : الدواوين ، والقضاء ، ورؤساء الشُرطة ، وأمراء الأقاليم ، ولا يتحدث عن الأحوال السياسية إلا بطريقة مختصرة ، كما أنه أعطى حركة إبراهيم أهمية أكثر من أخيه محمد النفس الزكية ، ولعل ذلك - فى نظرى - يرجع إلى أنه بصرى وحركة إبراهيم كانت فى البصرة ، بينما حركة النفس الزكية قامت فى الحجاز .

ومهما يكن .. فقد استفدنا منه فى هذه الدراسة ضبط السنوات ، وأسماء قادة الجيوش وأمراء مكة والمدينة فى ذلك الوقت .

وابن خيَّاط مؤرخ عالِم بأيام الناس ، روى عنه البخارى فى صحيحه ، كما روى عنه الإمام أحمد بن حنبل .. توفى ابن خيَّاط سنة ٢٤٠ هـ .

٣ - واستفاد هذا البحث من كتاب « أنساب الأشراف » ، لأحمد بن يحيى ابن جابر البلاذرى (ت ٢٧٩ هـ) وكتاب « أنساب الأشراف » منهجه - غالباً - كتاريخ الطبرى فهو يذكر الخبر برواياته المختلفة ، ويهتم بالتراجم ، ولا سيما الأعلام المشهورة . من خلفاء ، وعلماء .

وهو يُعتبر من كتب التاريخ والتراجم والأنساب . والأدب ، أما الرواة الذين يعتمد عليهم فهم من الثقاة المشهورين ، كعمر بن شبه ، والواقدى ، وابن الكلبى .

وقد كان هذا الكتاب من المصادر المهمة فى هذه الدراسة ، فهو يُعتبر بالنسبة لنا المصدر الثانى بعد الطبرى ، ولا بد لأى دارس من الرجوع إلى هذا الكتاب القيِّم ، وقد استفدنا منه فائدة كبيرة خصوصاً عند حديثنا عن وصية عبد اللّه بن محمد ابن الحنفية لمحمد بن علىّ العباسى ، فنقلنا منه ثلاث روايات ، ولا أعلم ما السبب الذى جعله لا يعطى اهتماماً للحركات

العلوية التى قامت فى سنة ١٦٩ هـ بزعامة الحسين بن علىٍّ بن الحسن ، والحركة التى تلت موت أبى السرايا بزعامة محمد بن جعفر الصادق فى مكة سنة ٢٠٠ هـ .

وكتابنا هذا لم أتحصل على المطبوع منه إلا الجزء الأول طبع المعارف بمصر والحادى عشر طبع أوروبا سنة ١٨٨٢ لذلك لجأت إلى الاطلاع على المخطوط ، وقد تحصلتُ عليه كاملاً بدار الكتب المصرية بالقاهرة [١] .

٤ - ولا ننسى المادة العلمية القيِّمة التى أمدنا بها أحمد بن أبى يعقوب فى تاريخه (توفى فى نهاية القرن الثالث الهجرى) ولا سيما فى حديثه عن حركة الحسين بن علىٍّ بن الحسن ، وحركة محمد بن جعفر الصادق بمكة . واليعقوبى لا يطيل فى ذكر الأحداث . ولكن الفائدة تكمن فى كونه ينفرد ببعض الروايات المهمة ، ونحن نعلم أن اليعقوبى ذا ميول علوية ، ولكنها معتدلة ، ونكاد أن لا نرى فى رواياته التى ساقها عن نزاع العلويين مع العباسيين أى انحراف أو تعصب للأسرة العلوية على غيرها . ونصف رواياته بأنها متكاملة واضحة . إلا أنه مع الأسف لا يذكر أسانيد رواياته .

٥ - أما أهم مصادر هذا البحث فهو « تاريخ الرسل والملوك » لمحمد بن جرير الطبرى (ت . ٣١٠ هـ) .

إن هذا الكتاب يعتبر أهم المصادر فى التاريخ الإسلامى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، فهو يذكر لنا الحادثة الواحدة بأكبر عدد من الروايات فى سلسلة من الإسناد ، ولا يمكن لأى باحث الاستغناء عنه ، ولا يمكن لنا أن نخفى مدى الفائدة التى جنيناها من هذا الكتاب ، فلا تكاد صفحة من

---

(١) وهو اثنا عشر مجلداً وقد أثبتنا رقمه عند ذكرنا المصادر فى آخر هذه الدراسة .

صفحات هذا البحث تخلو من ذكر لتاريخ الطبرى ، بل وتتكرر فى صفحة واحدة عدداً من المرات ، وما ذلك إلا لكثرة فوائده ، وعمق معلوماته ، وصدق رواياته - غالباً - وثقة ونزاهة صاحبه .

٦ - وهناك كتاب « الوزراء والكُتَّاب » . لمحمد بن عبدوس الجهشيارى (ت ٣٣١ هـ) وبرغم أن الكتاب وُضِع أساساً لموضُوع الإدارة والنُظم فى الدولة العباسية ، إلا أنه يحتوى على مادة تهم كاتب الأحوال السياسية ، فهو يعطينا معلومات قيِّمة عن علاقة المهدى بالعلويين التى اتسمت بالهدوء والسلم ، وأنه لم يُعيِّن يعقوب بن داود فى الوزارة إلا من أجل كسب ود العلويين لأن يعقوب هذا يميل إلى العلويون ، وكان العلويون يعرفون ذلك جيداً . لكن المهدى لما شك فى يعقوب وأن هدفه الأول إسقاط الدولة العباسية ، وتحويلها إلى علوية ، نجده يبعده عن الوزارة ويسجنه ، كما ينقل لنا معلومات قصيرة لكنها مفيدة عن المأمون وعلىّ الرضا ، وهناك بعض الفوائد القيِّمة التى استفادها هذا البحث من هذا الكتاب .

٧ - ولا يفوتنا أن نذكر الفوائد القيِّمة التى استقاها هذا البحث من كتاب «تاريخ الموصل » لمؤلفه : يزيد بن محمد الأزدى (ت ٣٣٤ هـ) - حقق هذا الكتاب « على حبيبة » وطبع فى القاهرة عام ١٣٨٧ هـ - ورغم أن هذا الكتاب يعتبر من مصادر التاريخ المحلى إلا أنه أمدنا بمعلومات تاريخية فريدة كوصفه للعلاقة الودية التى بين البيت العباسى والعلوى ، أثناء الدعوة العباسية وفى زمن الخليفة السفاح ، كما يعطينا صورة واضحة عن النزاع العسكرى الذى وقع بين الخليفة المنصور ، ومحمد النفس الزكية ، ويذكر الرسائل التى دارت بينهما قبل هذا النزاع ، كما يبرز لنا مواقف العلماء من حركة محمد وأخيه إبراهيم ، ونستطيع أن نقول إن تاريخ الموصل يكاد يكون الكتاب الأول الذى أمدنا بوفرة من المعلومات

عن مواقف العلماء الجريئة إزاء حركة محمد وإبراهيم ، كما يحدثنا ببعض المواقف الصلبة لهؤلاء العلماء أمام الخليفة المنصور لكن رواياته عن الحسين بن عليٍّ بن الحسن وعن المأمون وعليّ الرضا قليلة ومختصرة جداً . ومهما يكن فالكتاب أفادنا فى الحديث عن حركة محمد وأخيه إبراهيم فائدة كبرى .

٨ - ويظهر لنا ، عليّ بن الحسين المسعودى (ت ٣٤٥ هـ) فى كتابه « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ، وكتاب « التنبيه والاشراف » . بمعلومات وروايات ثمينة انفرد بها عن غيره ، ولا نستطيع أن نحصر مدى الفائدة الذى نالها وكسبها هذا البحث من مؤلفات المسعودى . ونحن نعرف أنه لا يخلو من الميل المعتدل للعلويين ، ولكن هذا لم يؤثر عليه فى كتاباته .

٩ - أما كتاب « مقاتل الطالبيين » . لأبى الفرج الأصبهانى (ت ٣٥٦ هـ) فقد استفاد هذا البحث منه فائدة كبرى ، فقد جاء ذكره فى كل فصل فى هذا البحث فهو كتاب قيِّم فى التاريخ الإسلامى بما يخص الطالبيين ، ويجب على مَنْ يؤرخ للعلويين ، ويستفيد من هذا الكتاب أن يكون على حذر من بعض رواياته ، فلا ينقلها قبل تمحيصها والنظر فيها ، وهو يعتمد على الرواية ، ولكن أكثر هؤلاء الرواة غير معروفين بسبب كثرتهم .

١٠ - وفى حديثنا عن أهم المصادر يجب علينا أن لا نغفل المعلومات الجيدة التى منحنا إياها كتاب « العيون والحدائق » ، لمؤلف غير معروف ، وقد طبع فى أوروبا سنة ١٨٧١ م ونستطيع أن نقول إنه يعتمد فى معلوماته على كتاب «أنساب الأشراف » ، ولكنه ينفرد ببعض الفوائد الهامة لهذا البحث ، والكتاب ناقص من أوله ولم يصلنا إلا الجزء الثالث

الذى اعتمدنا عليه وهو يبدأ بعهد الوليد بن يزيد (سنة ١٢٥ هـ) وينتهى بعهد الخليفة المعتصم العباسى (سنة ٢١٨ هـ) ..

١١ - ونحن نختم الحديث عن أهم المصادر التاريخية لهذه الدراسة لا يفوتنا أن نذكر كتاب « البدء والتاريخ » المنسوب لمطهر بن طاهر المقدسى (قيل توفى ٣٥٥ هـ) لما فى هذا الكتاب من أخبار هامة تهم المؤرخ فى الأحوال السياسية خاصة . وأعظم فوائده على هذا البحث تناوله موضوع أبى سلمة الخلال ومحاولته صرف الدعوة العباسية إلى العلويين . مع غيرها من الفوائد المتفرقة هنا وهناك .

ولا يفوتنى أن أنوِّه بما بذله معى الأستاذ المشرف الدكتور « عبد المقصود نصار » ، وما قدَّم لى من توجيهات ، وإرشادات نافعة ، فشكر اللّٰه تعالى له وأجزل مثوبته .

كما يجب علىَّ أن أشكر كل مَنْ أسهم وقدَّم لى العون لإتمام هذا البحث . وأخص بذلك زوجتى الفاضلة التى قدَّمت لى الراحة والعون .. فجزاهم اللّٰه عنى خير الجزاء .

وأسأل اللّٰه تعالى لى ولهم التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته

عبد اللّٰه بن على المسند

المدينة المنوَّرة - الجامعة الإسلامية

* * *

تمهيد

الحجاز موطن آل البيت

١ - تعريف عام بالحجاز .

٢ - العَلوِيُّون .

٣ - العَبَّاسيون .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١ - تعريف عام بالحجاز :

سمى الحجاز حجازاً لأنه حجز بين نجد وتهامة ، ولامتداده بينهما ، وقيل : سمى بذلك لما احتجز به من الجبال [١] وقال المسعودى : « الحجاز حاجز بين الشام واليمن والتهائم ، وهو بلد جدب قحط » [٢] .

والحجاز يتوسط الطريق التجارى القديم المشهور بين الشام واليمن .

كما عاشت على أرضه والتقت فيه : الوثنية ، واليهودية ، والنصرانية .. والذى زاد من أهميته وجود البيت الحرام فيه ، فكان مقصداً لكل العرب ، ولما جاء الإسلام عظمت منزلته وقدسيته ، وأصبح بعد ذلك قِبْلة المسلمين ، ومحط أنظارهم . كما كان عاصمة للدولة الإسلامية فى عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين الثلاثة من بعده .

وأغلب أرض الحجاز جبال وأودية [٣] .. فالجبال والأودية تحيط به من ثلاث جهات ، أما الرابعة فهى البحر الأحمر ، وكان يعتمد فى اقتصاده على مصر والشام ، وعلى ذلك فكان من السهل حصاره اقتصادياً ، وهو ليس مكاناً خصباً للحركات العسكرية ، فجميع الحركات التى شبتً فيه انتهت بالفشل غالباً .. وإذا أُطلق الحجاز انصرف إلى أهم مدنه ، وهى : مكة ، والمدينة ، والطائف . وتُعتبر إمارة الحجاز من أشرف إمارات الأمصار ، ولذلك يتسابق المقرَّبون لدى الخليفة فى تولى هذا المنصب الشريف الهام ، حتى يكسبه شرفاً ورفعة ويضعه بين الولاة فى منزلة سامية .

---

(١) صبح الأعشى : ٢٤٦/٤

(٢) مروج الذهب : ٦٢/٢

(٣) صبح الأعشى : ٢٤٦/٤

أما سكان الحجاز .. فشأنهم شأن بقية بلاد العرب ، حياة البدو ، وحياة الحَضَر .. ولما كان غالب أرضه صحارى وجبال غلب على سكانه الطابع البدوى .

وتسكن الحجاز عِدَّة قبائل ، وأهم ما يعنينا من هذه القبائل فى هذه الدراسة هى قبيلة « جهينة » وهى تنتسب إلى جهينة بن زيد بن الحافى بن قضاعة، ومساكنهم ما بين المدينة وينبع [١] ، وتتركز منازلهم عند وادى القرى فى « العيص » [٢] ، وهذه القبيلة هى التى لعبت الدور الكبير فى مساندة العلويين فى صراعهم الدامى مع العباسيين ، والتى دارت رحاها فى الحجاز فى العصر العباسى الأول [٣] .

كما قاتلت من قبل مع الرسول ﷺ فى فتح مكة . واشتركت بألف رجل مع الرسول ﷺ فى القتال فى غزوة حنين (سنة ٨ هـ) وقد امتدحهم الرسول ﷺ وأثنى عليهم [٤] .

* * *

٢ - العلويون :

ينتسب العلويون إلى علىٍّ بن أبى طالب رضى اللّٰه عنه من أبناء فاطمة رضى اللّٰه عنها وغيرها ، لكن الذى لعب الدور السياسى والعسكرى من أبناء علىَّ هم الحسن والحسين وأبناؤهما .

---

(١) البكرى : معجم ما استعجم : ٣٥/١ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب : ٢١٦/١

(٢) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٣.

(٣) أحمد النويرى : (مخطوطة) أخبار مَنْ نهض فى طلب الخلافة من الطالبيين فى العصر العباسى ورقة (٢) .

(٤) معجم قبائل العرب : ٢١٧/١ ، عن صحيح مسلم : ١٧٨/٧ ، وانظر : أحمد بن حنبل : المسند : ٧٨٩١/١٥ طبع دار المعارف ١٣٧٥ هـ ، ١٩٥٦ م) .

أما محمد ابن الحنفية وابنه عبد الله فقد قاما بدور سياسى فقط واقتصر نشاطهم فى العصر الأموى .

استشهد علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بالكوفة فى ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ ، وخلفه ابنه الحسن دون وصية منه ، إلا أنه لم يجد بُدَاً من التنازل عن الخلافة لمعاوية حقناً للدماء ، بعد أن تبيَّن له أنه لا قِبَلَ له بمنازلة معاوية وجنده ، وبعد غدر شيعة أهل العراق به ، على أن يكون أمر الخلافة شورى بين المسلمين بعد معاوية ، ودخل معاوية الكوفة حيث بايعه أهلها ، وكان ذلك فى اليوم الخامس والعشرين من ربيع الثانى سنة ٤١ هـ وهذا العام سمى بعام الجماعة لاجتماع كلمة المسلمين على خليفة واحد هو معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما .

عمد معاوية فى آخر حياته إلى تولية ابنه يزيد ولاية العهد ، ومن أجل ذلك بدأ يتلطف للناس ويصلهم ويستعمل ما لديه من الدهاء والحكمة ، كما ذهب إلى المدينة المنوَّرة مقر كبار المهاجرين والأنصار لإقرار البيعة ليزيد . فى حديث طويل لا محل لذكره هنا ، وتوفى معاوية رضى الله عنه فى رجب سنة ٦٠ هـ واعتلى عرش الخلافة فى دمشق بعده ابنه يزيد ، والذي وصل إلى الخلافة دون رضا أكثر المسلمين .

رأى أن من واجبه أخذ البيعة من الحسين بن علىّ ورفاقه الذين رفضوا بيعته، فكتب إلى عامله على المدينة المنوَّرة « الوليد بن عتبة بن أبى سفيان » بأخذ البيعة دون هوادة أو رحمة من هؤلاء [١] . طلب الوليد بن

---

(١) البلاذرى : أنساب الأشراف : ٤/١٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٣/٢٦٣ ، محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية ص ١٠٥

عتبة حضورهم ، وحاول معهم أخذ البيعة ليزيد ، لكن الحسين بن عليّ استطاع أن يستميله حتى هرب ليلاً إلى مكة [١] .

كانت شيعة العلويين في الكوفة يتحينون الفرص لقيامهم ضد الحكم الأموى ، فما إن سمعوا بوفاة معاوية ، وتولى ابنه يزيد الخلافة ، كما وصلت إليهم الأخبار أن حسيناً امتنع عن مبايعة يزيد ، وهرب إلى مكة .

وجدت شيعة الكوفة فى ذلك الفرصة للتخلص من الحكم الأموى ، وإعادة عاصمة الدولة الإسلامية إلى مدينتهم الكوفة إلى ما كانت فى خلافة عليّ بن أبى طالب . وجدوا خير شخصية يلتفون حولها هو الحسين ابن عليّ ، ولا سيما بعد أن عرفوا عدم رضاه عن اعتلاء يزيد الخلافة وهروبه إلى مكة ، فكاتبوه ومنوه بالمجئ إلى الكوفة لمبايعته [٢] ولكنها الأمانى التى حُمِلَت لأبيه وأخيه الحسن من قبل .

كثرت عليه الكتب الواردة من الكوفة التى تحمل توقيعاتهم مع توقيعات عدد كبير من أنصاره بالعراق [٣] .

أراد الحسين أن يجس نبض هؤلاء وأن يكشف صدقهم من كذبهم ، فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل ، فقابل الشيعة ، ولمس منهم صدق نيِّتهم ، وصفاء عزيمتهم ، وأخذ منهم العهود والمواثيق [٤] . وأرسل إلى

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٣٧٦/٤ ، ٣٧٧ ، المقدسى : البدء والتاريخ : ٩/٦ ، ١٣ ، تاريخ ابن الوردى : ٢٥٨/١

(٢) الدينورى : الأخبار الطوال ص ٢٢٩ ، المسعودى : مروج الذهب : ٦٤/٣

(٣) البياسى : (مخطوطة) الاعلام فى الحروب الواقعة فى صدر الإسلام : ٢٦/٢ ، ٢٧

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٢٦٧/٣ ، محمد الطيب النجار : الدولة الأموية فى الشرق ص ٨٨ - ٩٢

الحسين بمكة يطلب منه الحضور بعد أن كشف له مقدار حبهم له ، والتفانى فى نُصرته ، وأخبره أنه بايعه اثنا عشر ألفاً من الكوفة [1] .

وعزم الحسين على الخروج ، فنصحه أخوه محمد ابن الحنفية ، وابن عمه : عبد الله بن عباس بعدم الخروج ، وذكروه بغدر أهل الكوفة ، لكنه لم يقبل ذلك منهم [2] .

خرج الحسين من مكة قاصداً الكوفة فى اليوم العاشر من شهر ذى الحجة سنة ٦٠ هـ مصطحباً معه أسرته وبعضاً من مؤيديه [3] .

ولما علم عبيد الله بن زياد أن الحسين خرج إلى الكوفة ، أمر بمراقبة الطريق الذى يربط ما بين الكوفة والحجاز ، وعهد إلى قوة من ألف فارس لانتظار مقدم الحسين ، وكان رسول الحسين لأهل الكوفة ابن عمه مسلم بن عقيل قد لقى مصرعه على يد عبيد الله بن زياد قبل خروج الحسين من مكة بيومين (أى فى ٨ من ذى الحجة سنة ٦٠ هـ) [4] .

شعر الحسين بعد وصوله بخيبة الأمل ، بعد أن تخلت عنه شيعته فى الكوفة ، وهم الذين كاتبوه وأعطوه العهود والمواعيد بالأمس [5] .

---

(١) المسعودى : مروج الذهب : ٦٤/٣ ، ٦٥ ، ابن عساكر : تاريخ دمشق : ٣٣٥/٤ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٠٦ .

(٢) الدينورى الأخبار الطوال ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ابن عساكر : تاريخ دمشق : ٣٣١/٤ ، ٣٣٤

(٣) الدينورى : الأخبار الطوال ص ٢٤٤ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٠٧

(٤) المسعودى : مروج الذهب :٦٨/٣ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البَشر : ١٠٥/١

(٥) عن الحسين بن على ، نفضل الرجوع إلى كتاب « الحسين بن على أمام محكمة التاريخ » للدكتور : عبد العزيز غنيم فهو أحسن كتاب صدر يتناول موقف الحسين من الخلافة .

فطلب إما العودة من حيث أتى ، أو يلحق بأحد الثغور الإسلامية ، أو الذهاب إلى دمشق لمقابلة الخليفة يزيد .. ولكن طلبه هذا رُفِض ، فلم يكن له بُدٌ من التصادم ، فقاتل هو وأصحابه الذين خرجوا معه من الحجاز قتالاً مميتاً انتهى باستشهاده ، ومعه أكثر رجاله وأهل بيته بكربلاء فى اليوم العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ .

شاع مقتل الحسين فى العالم الإسلامى فنبهَّت مَنْ كان نائماً، وأقامت مَنْ كان قاعداً ، وزاد حب العلويين له وتعاطف معهم مَنْ لم يكن معهم بالأمس ، فبكى المسلمون هذه المذبحة الأليمة التى هزَّت المسلمين ، فزاد التشيع والتعاطف لآل البيت ، بحيث امتد – ولأول مرة – إلى بلاد فارس [١] فحقدوا على الأمويين ، وتمنوا زوال دولتهم ، فكانت هذه من الأسباب التى قضت على دولتهم ، على يد العباسيين الذين جنوا ثمارها فيما بعد .

صمم الذين أعطوا الحسين بن علىّ المواثيق ، وتخلوا عنه وقت الشدة على الأخذ بثأر الحسين ، وليحاسبوا أنفسهم من جديد ، فأسسوا لأنفسهم حزب « التَّوابين » [٢] وطافوا بالحجاز واليمن والعراق وفارس ليكسبوا من وراء ذلك الأنصار .

على إثر النكبة التى منى بها العلويون باستشهاد أكبر زعيم علوى فى موقعة كربلاء ، بدأت الانقسامات تدب وتوهن هذا الحزب ، فاختلفت الشيعة العلوية فيما بينها وتفرقت وانقسمت إلى فرقتين :

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٤ ، على إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامى العام ص ٢٨٥

(٢) عبد الرحمن بن خلدون : التاريخ : ١٧٢/٣ ، محمد الطيب النجار : الدولة الأموية فى الشرق ص ١٠٤ – ١١٠ .

الفرقة الأولى :

وهى التى تقول إن الإمامة فى ولد علىّ من فاطمة رضى اللّه عنهما فقط ، وهذه - أيضاً - انقسمت وتشعبت إلى عدة فرق أهمها :

١ - الفرقة الإمامية [١] وأساس العقيدة عندهم أن الإمامة بالنص والتعيين لا بالاختيار ، فهم يقولون « بإمامة علىّ رضى اللّه عنه بعد النبى ﷺ نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين [٢] . ثم يسوقون الإمامة بعد علىّ فى أولاده : الحسن ، ثم الحسين ، ثم يسوقونها بعد ذلك فى ولد الحسين فقط ، فبعد الحسين ابنه علىّ زين العابدين ، ثم ابنه محمد الباقر ، ثم ابنه جعفر الصادق ، وهؤلاء يقولون « بالتوقف والانتظار والرجعة » [٣] .

٢ - وهناك فرقة تسمى الإثنا عشرية [٤] تجعل الإمامة بعد جعفر الصادق فى أولاده ، فقالوا بإمامة موسى الكاظم ، ثم ابنه على الرضا ، ثم ابنه محمد التقى ، ثم على بن محمد التقى ، وبعده الحسن العسكرى ، ثم ابنه محمد القائم المنتظر .

٣ - ثم ظهرت فرقة إسماعيل بن جعفر الصادق ، المسماة : الفرقة الإسماعيلية [٥] . لم تقف انقسامات الإمامية على الإثنا عشرية والإسماعيلية ، بل كانوا أكثر فرق الشيعة تشعباً وأشدها اختلافاً .

---

(١) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى : ٢٢٩/١٣ ، أحمد أمين : ضحى الاسلام : ٢١٢/٣ - ٢٢٦

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل : ١٦٢/١

(٣) المصدر السابق : ١٦٤/١

(٤) المصدر السابق : ١٦٩/١ وهؤلاء يقولون بالسوق والتعدية (ص ١٦٥)

(٥) المصدر السابق : ١ / ١٩١ ، البغدادى : الفَرق بين الفِرق ص ٦٢ ، أحمد أمين : فجر الإسلام ص ٢٧٢

وهؤلاء ينظرون إلى أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم على أنهم مغتصبون للخلافة فهم يتبرؤن منهم ، ويطعنون فى إمامتهم ، ويصل بهم ذلك إلى تكفيرهم ومعهم أكثر الصحابة [١] .

وعقيدتهم قائمة على عصمة الأئمة وتقديسهم ، فالإمام يتلقى علمه من الله عن طريق الوحى ، فهم معصومون من الذنوب ، ويقولون بـ « التَّقيَّة » [٢] وهى ركن من أركان عقيدتهم ، ولذلك فهم لا يشترطون فى أئمتهم الخروج .

٤ - وهناك فِرق لا داعى لذكرها ، لِقلَّة أتباعها ، ولضآلة عملها [٣] .

٥ - الفِرقة الزيدية .. وهذه الفِرقة ظهرت بزعامة زيد بن علىّ بن الحسين ابن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وهى التى أجازت إمامة أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم .

وهم يقولون : إن الإمامة فى كل فاطمى عالِم شجاع سخى خرج منادياً بالإمامة سواء أكان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين ، وعلى ذلك فقد أيَّدوا حركة محمد النفس الزكية وأخاه إبراهيم فى البصرة [٤] وهم لا يقولون بفكرة « التَّقيَّة » لأنهم يقولون بوجوب خروج الإمام ، وشهر السيف ، أمام أئمة الجور [٥] وذلك لإزالة الظلم وإقامة الحق ، والفِرقة الزيدية تخالف سائر

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل : ١ / ١٦٤

(٢) « التقية » هى : التستر والحذر والمداراة والتخفى .

(٣) المسعودى : مروج الذهب : ٣ / ٢٢٠ ، القلقشندى : صبح الأعشى : ٢٣٦/١٣ - ٥٢٢ . وانظر : الملل والنحل ، والفَرق بين الفِرق ، فى مواضع متفرقة .

(٤) الشهرستانى : الملل والنحل : ٢٠٧/١ ، القلقشندى : صبح الأعشى : ٢٢٧/٣ ، البغدادى : الفَرق بين الفِرق ص ٢٢ .

(٥) الأشعرى : مقالات الاسلاميين : ١٢٩/١ ، ١٤١

فِرق الشيعة ، فهم لا يقولون بعصمة الأئمة [1] ولا يؤلهونهم ، والأئمة عندهم -أيضاً- ليسوا محاطين بكل العلوم كما أفتوا « بجواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل » [2] . وهم أبعد الفرق الشيعية عن الخرافات والعقائد الفاسدة ، وهم -أيضاً- أقرب هذه الفِرق إلى أهل السُنَّة والجماعة .

* *

الفرقة الثانية :

وهى التى حوَّلت ولاءها من الحسين بعد استشهاده إلى أخيه - من أبيه - محمد بن علىّ بن أبى طالب - المسمى بابن الحنفية - والتى سميت بـ « الكيسانية » [3] . وهؤلاء يعتقدون أن الأئمة أربعة هم : علىّ ، وبنوه

---

(١) أحمد محمود صبحي : نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثنى عشرية ص ١٣٣ وما بعدها .

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل : ١/١٥٥ بخلاف غيرها من الفِرق الشيعية .. انظر كتاب : نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثنى عشرية ، لأحمد محمود صبحى ص ١٥٦

(٣) الكيسانية : إحدى فرق الشيعة الخمس الأساسية ، ويختلف الباحثون حول هذه التسمية ، فيرى جماعة منهم الشهرستانى (الملل والنحل : ١/١٤٧) أنها نسبة إلى كيسان مولى أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فاختارها المختار بن أبى عبيد اسماً لجماعته .

وقال آخرون (البغدادى ، الفَرق بين الفِرق ص٢٧ ، والأشعرى : مقالات الإسلاميين : ١/٨٩) : هم أتباع المختار بن أبى عبيد الذى قام يطالب بثأر الحسين ابن علىّ بعد استشهاده بكربلاء ، وكان المختار يلقب بكيسان ، ولذلك سمى جماعته بالكيسانية .

وهؤلاء الكيسانية يزعمون أن محمد ابن الحنفية حى بجبال رضوى ، أسد عن يمينه ، ونمر عن شماله ، يحفظانه ، يأتيه رزقه غدوة وعشية إلى وقت خروجه ، وزعموا أن

الثلاثة : الحسن ، والحسين ، ومحمد ابن الحنفية [١] .

وفى ذلك قال كثير عزة (ت ١٠٥ هـ) :

ألا إن الأئمةَ من قريشٍ ولاة الحق أربعة سواء

علىٌّ والثلاثةُ من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء

فسِبط سِبط إيمان وبر وسِبط غيَّبته كربلاء

وسِبط لا تراه العين حتى يقود الخيل يتبعها اللواء

تغيَّب لا يُرَى فيهم زماناً برضوى عنده عسل وماء

ومحمد ابن الحنفية كان زاهداً عن الخلافة ولا يتمناها ، مخالفاً بذلك شيعته ، وكثيراً ما تبرأ من الآراء الخطيرة التى تحملها الكيسانية [٢] .

= السبب الذى من أجله صبر على هذا الحال أن يكون مغيباً عن الخلق أن لله تعالى تدبيراً لا يعلمه غيره (الأشعرى : ١/ ٩٠) .

(١) الشهرستانى : الملل والنحل : ١/ ٢٠٠ البغدادى : الفَرق بين الفِرق ص ٢٣ - ٣٨ ، أحمد أمين : فجر الإسلام ص ٢٧٣

(٢) المسعودى : مروج الذهب : ٣/ ٨٥ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى : ٥/ ٩٨ ، ١٠٠ ، الشهرستانى : الملل والنحل : ١/ ١٩٨ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٤/ ٤٠٤ .

من الآراء التى تدين بها الكيسانية :

١ - القول بالتناسخ والحلول

٢ - أن الإمام لا يموت ولا يجوز أن يموت حتى يرجع .

٣ - أن الدين هو الإمام أو طاعة أى رجل ينوب عنه كالمختار بن أبى عبيد .

٤ - تأويل أركان الإسلام على رجال .. فهذه الأركان تترك بعد الوصول إلى طاعة رجل .

وبعد مصرع عبد الله بن الزبير بالحجاز (سنة ٧٣ هـ) كتب محمد ابن الحنفية إلى الخليفة عبد الملك بن مروان قائلاً [١] : « إني اعتزلتُ الأمة عند اختلافها ، فقعدتُ في البلد الحرام الذي مَنْ دخله كان آمناً ، لأُحْرِزَ ديني ، وأمنع دمي ، وتركت الناس : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً ﴾ [٢] .. وقد رأيتُ الناس قد اجتمعوا عليك ونحن عصابة من أمتنا لا تفارق الجماعة . وقد بعثتُ إليك منا رسولاً ليأخذ لنا منك ميثاقاً » .

ولما وصل الرسول إلى دمشق ، وقرأ الخليفة رسالة محمد ابن الحنفية فرح بها وأجابه قائلاً : « قد بلغني كتابك بما سألته من الميثاق لك ، وللعصابة التي معك ، فلك عهد الله وميثاقه أن لا تُهاج في سلطاننا غائباً ولا شاهداً ولا أحد من أصحابك ما وفوا ببيعتهم ، فإن أحببتَ المقام بالحجاز فأقم فلن ندع صلتك وبرك ، وإن أحببتَ المقام عندنا فأشخص إلينا ، فلن ندع مواساتك ، ولعمري لئن ألجأتك إلى الذهاب في الأرض خائفاً لقد ظلمناك ، وقطعنا رحمك ، فاخرج إلى الحجاج فبايع ، فإنك أنت المحمود عندنا ديناً ورأياً ، وخيراً من ابن الزبير وأرضى وأتقى » [٣] .

ثم كتب له بالبيعة قال فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله ، عبد الملك أمير المؤمنين . من محمد بن عليّ . أما بعد : فإني لما رأيتُ الأمة قد اختلفت اعتزلتهم فلما أفضى هذا إليك وبايعك الناس ، كنتُ كرجل منهم أدخل في صالح ما دخلوا فيه ، فقد بايعتك وبايعتُ الحجاج لك وبعثتُ إليك ببيعتي ورأيتُ الناس قد اجتمعوا عليك ، ونحن نحب أن

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٤/ ٤٠٠ .

(٢) الإسراء : ٨٤

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٤/ ٤٠٠ .

تؤمننا ، وتعطينا ميثاقاً على الوفاء فإن الغدر لا خير فيه ، فإن أبيتَ فأرضُ اللّه واسعة »[1] .

فأجابه عبد الملك قائلاً : « إنك عندنا محمود . أنت أحب وأقرب بنا رحماً من ابن الزبير ، فلك العهد والميثاق وذمة اللّه وذمة رسوله ألا تُهاج ولا أحد من أصحابك بشئ تكرهه . ارجع إلا بلدك واذهب حيث شئتَ ولستُ أدع صلتك وعونك ما حييت »[2] .

هكذا وقف محمد ابن الحنفية أكبر شخصية علوية فى ذلك الوقت محايداً بين الحزبين المتصارعين : الأموى والزبيرى ، ولكن بعد أن انجلى الموقف لصالح عبد الملك وذلك بالقضاء على ثورة عبد اللّه بن الزبير ومصرعه (سنة ٧٣ هـ) بايعه ، كما طلب منه القدوم عليه ، فرحب بذلك عبد الملك ، فوفد عليه سـنة ٧٨ هـ بدمشق ، وأسكنه بمنزل قريب منه ، وأكرمَهَ وأكرم مَنْ مَعَه ، كما فرض له ولأولاده ومَنْ معه من شيعته عطاءً دائماً[3] ، ثم انصرف محمد ابن الحنفية إلى المدينة المنوَّرة حيث توفى بها فى المحرم سنة ٨١ هـ[4] .

* *

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى : ١١١/٥ ، وانظر أعلام العرب (عدد ١٠) ص٢٢٧

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى : ١١١/٥

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى : ١١٢/٥

(٤) المسعودى : مروج الذهب جـ ٣ ص ١٢٣ ، ابن الأثير : ٧٥/٤ ، الذهبى : تاريخ الإسلام : ٣٠٢/٣ ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب : ٨٨/١

كانت شيعة محمد ابن الحنفية تسميه المهدى وفى ذلك قال كثير عزة (نسب قريش ص ٤١) :
=

٣ - العباسيون :

ينتسب العباسيون إلى العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ ، فهم فرع من بنى هاشم ، ولم يكن لهم حزب منظم مستقل يُعرف باسمهم طيلة القرن الأول ، كما كانت الأحزاب آنذاك - الشيعة ، والأمويون ، والخوارج ، والزبيريون - التى تطالب بالخلافة وترى أحقيتها فى الخلافة دون غيرها .

ولم تكن لهم أطماع تُذكر فى طلب الخلافة ، بل كان العباسيون يشعرون بارتباطهم الهاشمى ، ولذلك رفض العباس أن يمد يده إلى أبى سفيان ليبايعه وليكون العباس خليفة بعد وفاة الرسول ﷺ [١] ، ثم حاول بعد ذلك أن يبايع على ابن أبى طالب بالخلافة [٢] ، وكان ذلك منه قبل أن تتضح له أن أحقية الخلافة لأبى بكر الصدِّيق رضى الله عنه ، كما ارتضاه عامة المسلمين .

كما بايع ابنه عبد الله علياً وساعده قبل أن يعتزل السياسة إلى طلب العلم ، حيث أطلق عليه : حَبْر قريش ، أو حَبْر الأمة وترجمان القرآن [٣] .

= هو المهدى أخبرناه كعب   أخو الأحبار فى الحقب الخوالى

وقال أيضاً (أنساب الأشراف : ٣/١٩٧) :

هـديتَ يا مهـدينا ابن المهدى   أنت الذى نرضـى بـه ونرتجـى

أنت ابن خير الناس من بعد النبى   أنت إمـام الحـق لسنا نمتـرى

ويقول صاحب الطبقات الكبرى (٥/٩٤) : كانت جماعة محمد ابن الحنفية يسلمون عليه : سلام عليك يا مهدى ، فقال : أجل أنا مهدى أهدى إلى الرشد والخير .. وقال لهم : إذا سلَّم أحدكم فليقل سلام عليك يا محمد .

(١) ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة : ٦/١٨

(٢) أنساب الأشراف : ١/٥٨٣ ، ٥٨٦ ، المسعودى : مروج الذهب : ٣/٢٥٢

(٣) الجاحظ : البيان والتبيين : ١/٣٣١ ، القيروانى : زهر الآداب : ٤/١٠٦٧ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ : ١/٤٠ ، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير : ٣/٣٠

وبعد قتل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه (سنة ٤٠ هـ) وفد على معاوية بن أبى سفيان ، فأكرم وفادته ، وألحقه ببيت المال فى البصرة [١] وبقيت علاقته مع أولاد عمه العلويين حسنة [٢] رغم مبايعته ليزيد بن معاوية بالخلافة [٣] .

وقف العباسيون بعيداً عن كل الأحداث والمعارك التى خاضها العلويون فى طلب الخلافة ، فكان القتل والتعذيب والمطاردة والفشل من نصيب البيت العلوى ، وكثيراً ما كان البيت العباسى ينصح أولاد عمهم بعدم الخروج على الحكم الأموى فيمتنعون عن مساعدتهم أو تأييدهم فى حركاتهم فى طلبهم للخلافة [٤] . فتركوهم يلاقون مصيرهم بأنفسهم ، وهم ينظرون إلى مجرى الأحداث فيستفيدون منها ، ويجعلونها لهم عبرة ودرساً .

وفى عهد عبد الملك بن مروان وفد عليه علىّ بن عبد الله بن العباس من الحجاز هرباً من عبد الله بن الزبير ، الذى يتحين الفرص للفتك به ، حيث إن والده عبد الله بن عباس ناصب عبد الله بن الزبير العداء ، ورفض الدخول في طاعته ، أو التأييد لخلافته ، فنفاه مع محمد ابن الحنفية إلى الطائف ، فخاف على ابنه علىّ فأوصاه بالهرب إلى دمشق حيث أكرمه عبد الملك بن مروان وبره [٥] .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية : ٣٠٨/٨ ، شرح نهج البلاغة : ٢٥١/١٥ ، بروكلمان : تاريخ الشعوب ص ١٦٦ ، وانظر الطبرى : ١٥٨/٥

(٢) فاروق عمر : طبيعة الدعوة العباسية ص ١٢١

(٣) أنساب الاشراف : ٣٣١/٣ ، ٣٣٢ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٢٦٥/٣ ، أحمد الشريف : دور الحجاز فى الحياة السياسية ص ٤١٨

(٤) محمد حلمى : الخلافة والدولة ص ٤٥

(٥) الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ابن عساكر : تاريخ دمشق : ٤٠٢/٧ ، ابن الجوزى : مخطوطة ، المنتظم فى أخبار الأمم ص ٩ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : ٢٨٧/٣ ، ابن الأثير : ٣٧٦/٣

إلا أن عبد الملك إرتاب بعد ذلك في عليّ وداخلته الشكوك في تطلعاته للخلافة ولكن عبد الملك والحالة هذه ما زال يتودد ، ويلين له الجانب ، حتى لا يكسبه شُهرة بين الناس ، فدام حُسن العلاقة بينهما مدة خلافة عبد الملك (١) .

لم يدم الصفاء لعليٍّ بن عبد الله ، بل تغيَّرت الأحوال وساءت باعتلاء الوليد ابن عبد الملك الخلافة ، فقد سجن علياً مرتين وضربه بالسياط ، ولم يكتف بذلك ، بل عمد إلى التشهير به أمام الناس ، فقد جعل إنساناً يدور به قائلاً وبأعلى صوته : « هذا عليّ بن عبد الله الكذّاب » ، فقال له قائل وهو على تلك الحال : ما الذي نسبوه إليك من الكذب يا أبا محمد ؟ قال : بلغهم قولي أن هذا الأمر سيكون في ولدي .. (٢) ، هكذا روى المؤرخون .

خاف الوليد بن عبد الملك من علي فأراد أن يكون دائماً تحت عينه فإن هو رجع إلى الحجاز موطنه ومسكن أسرته ، فلا يأمنه خشية أن يكون له أتباع ، وتذيع شهرته خاصة لقربه من الرسول ﷺ ، فأراد الوليد أن يجعله على مقربة منه ليسهل عليه مراقبة حركاته وسكناته ، وليكون بعيداً عن موطنه وشيعته . فاختار له ولأسرته بلدة صغيرة هي الحميمة (٣) لتكون مقراً لسكناهم (٤) .

---

(١) البلاذري : أنساب الأشراف : ٢٢٦/١١ ، ٢٥٤ ، الطبري : ١١١/٧

(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : ١٤٦/٧ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ١٠٣/٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : ٢٧٦/٣ ، المقدسي : البدء والتاريخ : ٥٧/٦ ، المبرد : ٢١٧/٢

(٣) « الحميمة » : قرية صغيرة إلى الجنوب من البحر الميت على مقربة من العقبة .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان : ٢٧٨/٣ ، فاروق عمر : العباسيون الأوائل : ٤٠/١

ثم إن العباسيين كان لهم إقطاع فى الحميمة ، أقطعهم إياه معاوية بن أبى سفيان أثناء وفادة عبد الله بن عباس على معاوية ، فأختاروا الحميمة ليستمتعوا بإقطاعهم هذا [1] واتخذوها مستقراً لهم إلى أن آتت دعوتهم ثمارها، فرحلوا منها إلى الكوفة سنة ١٣٢ هـ . وكان علىّ بن عبد الله فى هذه الأثناء يزور الخليفة هشام بن عبد الملك فى دمشق ، فيسأله عن حاجته ، ويأمر بقضائها إلى أن توفى (فى بلدة الحميمة) سنة ١١٨ هـ [2] .

استقر العباسيون بقريتهم الصغيرة متمتعين بإقطاعهم ، وحتى سنة ٩٨ هـ لم يدع أحد منهم لنفسه بالخلافة ، بل تركوا الأمر لأبناء عمومتهم العلويين ، الذين يطالبون بالخلافة على أنها حق شرعى لهم ، معلنين أن الأمويين اغتصبوا ذلك منهم بالقوة . ولعل الأسباب التى جعلت العباسيين بعيدين عن مجرى الأحداث ، والخوض فى غمارها والسعى إلى طلب الخلافة هى :

١ - لم يكن العباسيون يجارون أبناء عمومتهم فى طلب الخلافة ، لأنه لم يكن لديهم الشيعة ولا الأدلة الكافية للمطالبة بالخلافة ، والتأثير بها على الناس .

٢ - لم يكن جدهم العباس ولا ابنه عبد الله لديهم الطموح من الناحية السياسية فى التفكير بالخلافة فقد رأينا - قبل - كيف بايع العباس ابن أخيه علىّ بن أبى طالب ، وتبعه بعد ذلك ابنه عبد الله - وتعاون معه فى

---

(١) عبد المقصود نصار : ملامح من تاريخ الدولتين (الدولة العباسية) ص ٨ ، محمد حلمى: الخلافة والدولة ص ٢٨

(٢) الأزدى : تاريخ الموصل ص ٤٦ ، ٤٨ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ١٠٤/٥ ، ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة : ١٤٧/٧ ، ابن الجوزى : مخطوطة - المنتظم فى أخبار الأمم ورقة (٧٠) .

أول الأمر ، ثم وفد على معاوية بعد مقتل عليّ ، وبايع يزيد بالخلافة بعد ذلك ، ثم نراه أيضاً يخالف ابن الزبير وطموحاته السياسية حتى نفاه ابن الزبير إلى الطائف .

٣ - عرفوا أنهم غير قادرين على الوصول إلى أهدافهم ، ما دامت الدولة الأموية فى عزها وشبابها ، فعليّ رضى اللّه عنه قُتل سنة ٤٠ هـ ولم يحقق آماله فى إخضاع معاوية . وهذا الحسين بن عليّ يُقتل سنة ٦١ هـ دون هوادة أو رحمة .

٤ - ونظرتهم كانت أبعد ، فلا يمكنهم زعزعة الدولة الأموية والوقوف أمامها وقد رأوا ما حَلَّ بالعلويين ، فكان من الحكمة الانتظار حتى تتهيأ الفرصة المناسبة ، وقد تمثلت فى الصراع الدامى بين الأمويين ، والعلويين ، والزبيريين ، والخوارج . حتى إذا ما انهارت هذه القوى قاموا يطالبون لأنفسهم بالخلافة ، حيث رأوا أن الأمويين اهتزوا بسبب الأحداث التى أتعبتهم والرأى العام غاضب عليهم لجور وظلم بعض خلفائهم . الأمر الذى جعل الشعب الإسلامى - وخاصة الفُرس - يتمنون زوال دولتهم ، ولا ننسى غضبة الموالى وكراهيتهم للحكم الأموى .. كل هذا جعل العباسيين يشعرون بالأمل فى الوصول إلى الخلافة . مستغلين أبناء عمهم من العلويين

* * *


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول

العلويون خلال الدعوة العباسية

- الحميمة ودورها السياسى .
- خراسان ودورها العسكرى .
- العلويون يَدْعون إلى عقد مؤتمر بالأبواء .
- أبو سلمة الخلاَّل والعلويون .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الحميمة .. ودورها السياسى

بعد موت محمد ابن الحنفية بالمدينة المنوّرة ، افترق أتباعه ، ففرقة لا زالت متمسكة بآرائها الكيسانية ، والتى قالت : إنه غائب حى ولا بد من رجعته [١] .

وفرقة مالت إلى القول بإمامة ابنه عبد الله - المكنى بأبى هاشم - من بعده وسميت بالفِرقة الهاشمية [٢] وهي تُعتبر من أكبر الفِرق العلوية [٣] .

عُرِف أبو هاشم هذا برجاحة عقله ، وسعة علمه ، وحُسن تدبيره ، ومعرفته بأحوال الفِرق ، فزادت شيعته بعد وفاة والده ، فأخذ يدبر الأمور ، ويبعث الدعاة ، مع السرية التامة ، لنشر مظالم بنى أمية ، ولبيان أحقيته فى الخلافة ، التى هى لهم دون الأمويين - وذلك فى نظرهم - .

---

(١) مروج الذهب : ٨٧/٣

قال السيد الحميرى (ت ١٧٣ هـ) - وهو كيسانياً - فى محمد ابن الحنفية :

ألا قل للوصىُّ فَدَتْكَ نفسى ... أطلت بذلك الجبل المقاما

أضــرَّ بمعشــــر والوك منَّا ... وسمُّوك الخليفة والإماما

وقال أيضاً :

سنين وأشهراً ويرى برضوى ... الشعب بين أنمار وأسد

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل : ١٥٠/١ الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) .

الهاشمية : هم الذين قالوا بانتقال محمد ابن الحنفية إلى رحمة الله وتحول الدعوة إلى ابنه عبد الله .

(٣) ابن خلدون : التاريخ : ١٧٢/٣ ، محمد كرد على : خطط الشام : ١٤١/١

وصل إلى أسماع الخليفة سليمان بن عبد الملك ما كان يدبره أبو هاشم في الخفاء وأن له شيعة في العراق يدعون إلى إمامته [١] .

ولما وفد عليه « ومعه عدد من الشيعة ... وكلّمه سليمان ، عجب منه » لما رأى من قوة حُجَّته ، وسعة علمه ، وقال : « ما كلّمتُ قرشياً قط يشبه هذا ، ما أظنه إلا الذي كنا نتحدث عنه » [٢] .

عزم أبو هاشم على الخروج إلى الحجاز ، فأوعز الخليفة إلى مَنْ يلحق به في قارعة الطريق ، ويضع له السم في اللبن ، حيث يتناوله عند العطش [٣] .

ورغم خوفه من هذا اللبن ، إلا أنه شربه ، ولما أُحسَّ بالألم يسرى في بطنه ، وعرف أن ذلك ما هو إلا مقدمات الموت ، أخذ نفسه مسرعاً وعرج على الحميمة ، حيث تلميذه وصديقه محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس يسكن هناك [٤] ، أخبر محمد بن عليّ وأطلعه على أسرار دعوته « فقد أفضى إليه بالأمر ، وكشف له حال الدعوة والدعاة ، وأعطاه العلامات ، كما سلّم إليه خاتمه الذي في أصبعه والذي يختم به كتبه إلى الدعاة ، كما كتب كتاباً لدعاته بتحول الدعوة إلى محمد بن عليّ العباسي » [٥] .

---

(١) مؤلف مجهول : العيون والحدائق : ١٨١/٣ ، ابن قتيبة : الإمامة والسياسة : ١٣١/٢

(٢) محمد بن حبيب : مخطوطة - أسماء المغتالين من الأشراف ورقة (٥٦) .

(٣) مخطوطة : أسماء المغتالين ورقة (٥٦) ، المسعودي : التنبيه والاشراف ص٢٩٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٤٧٥/٤

(٤) مخطوطة : أسماء المغتالين ورقة (٥٦) ، المصعب بن الزبيرى : نسب قريش ص ٧٥

(٥) (مؤلف مجهول) منسوب لابن مسكويه : العيون والحدائق : ١٨١/٣

ومثل هذا النص ذكره المصعب بن الزبيرى حيث قال [١] : « ... كان أبو هاشم صاحب الشيعة فأوصى إلى محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، وصرف الشيعة إليه ، ودفع كتبه إليه ، ومات عنده » .

ويحدثنا البلاذرى ، فى رواية عن المدائنى . عن تحول الدعوة من أبى هاشم إلى محمد بن عليّ قائلا : « وفد أبو هاشم ، عبد الله بن محمد ابن الحنفية ، على سليمان بن عبد الملك فوصله ، ولما تجهز للسفر وأتى سليمان ليودعه حبسه سليمان حتى تغدى عنده ، وكان فى يوم شديد الحر - وفى طريقه « مَرَّ بأخبية فعدل إلى خباء منها فاستسقى فسقى ففتر وسقط ، فأرسل رسولاً إلى محمد بن عليّ ... وقال له : إن هذا الأمر أمر أنت أول مَنْ يقوم به ولولدك آخره » [٢] .

أما فى روايته عن أبى مسعود الكوفى فقال : « ... فلما شرب اللبن المسموم أحس بالشر فعدل إلى الحميمة ، فمات هناك عند محمد بن عليّ ابن عبد الله بن عباس ، وقال له : يابن عم ، إنَّا كنا نظن أن الإمامة فينا ، فقد زال الشك ، وصرح اليقين بأنك الإمام دون أبى رحمه الله ، وأعطاه كتبه ، وسمى له شيعته [٣] » ونعاهم نفسه ، وأمرهم بالطاعة لمحمد بن عليّ ، والعمل من أجله .

وفى رواية ثالثة رواها البلاذرى قال فيها [٤] : « ... فلما سُمَّ أبو هاشم فى طريقه وهو يريد الحجاز عدل إلى محمد بن عليّ بن عبد الله

---

(١) نسب قريش ص ٧٥

(٢) أنساب الأشراف : ١٨٩/٣

(٣) أنساب الاشراف : ١٨١/٣

(٤) البلاذرى : أنساب الأشراف : ٢٢٦/٣

ابن عباس بالحميمة ، فأوصى إليه وأعطاه كتبه ، وجمع بينه وبين قوم من الشيعة فقال : إنَّا كنا نظن أن الامامة والأمر فينا ، فقد زالت الشبهة وصرح اليقين بأنك الامام ، وأن الخلافة في ولدك ، فمال إليه الناس ، وثبتوا إمامته وإمامة ولده » .

ويحدثنا محمد بن سعد في طبقاته قائلاً [(١)] : « ... كان أبو هاشم صاحب عِلم ورواية وكان ثقة قليل الحديث ، وكانت الشيعة يلقونه ويتولونه ، وكان بالشام مع بني هاشم ، فحضرته الوفاة ، فأوصى إلى محمد بن عليّ ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب وقال : أنت صاحب هذا الأمر ، وهو في ولدك وأصرف الشيعة إليه ، ودفع كتبه وروايته ، ومات بالحميمة في خلافه سليمان بن عبد الملك بن مروان » .

أما اليعقوبي في تاريخه فقال [(٢)] : « ... ولما استقر السم في جوفه قال لمن معه : أنا والله ميت ... فقال : ميلوا بي إلى ابن عمي محمد بن عبد الله بن عباس فإنه بأرض الشراة ، فأسرعوا السير حتى أتوا محمد بن عليّ بالحميمة من أرض الشراة ، فلما قدم عليه قال له : يابن عم ، أنا ميت وقد صرت إليك وهذه وصية أبي إليَّ وفيها أن الأمر صائر إليك وإلى ولدك والوقت الذي يكون ذلك والعلامة وما ينبغي لكم العمل به على ما سمع وروى عن أبيه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه . فأقبضها إليك ، وهؤلاء الشيعة استوص بهم خيراً ، وهؤلاء دعاتك وأنصارك فاستبطنهم فإني قد بلوتهم بمحبة ومودّة لأهل بيتك ، ثم هذا الرجل « ميسرة » فاجعله صاحبك بالعراق ، فأما الشام فليست لكم ببلاد .. » .

---

(١) الطبقات الكبرى : ٣٢٧/٥ - ٣٢٨

(٢) الجزء الثالث ص . ٤٠ ، ٤١

هكذا تحولت دعوة أبى هاشم إلى العباسيين ، والتى كان يعمل من أجلها حوالى خمس عشرة سنة [1] وفى سنة ٩٨ مات أبو هاشم متأثراً بمرضه هذا [2] .

وعلى ضوء ما قدَّمناه من النصوص التاريخية التى تثبت حقيقة هذا التنازل نستطيع أن نقول : ليس هناك مانع من تنازل أبى هاشم عن دعوته لمحمد بن علىّ العباسى لما نراه من أسباب نجملها فيما يأتى :

فالذى نراه أن دعوته كانت قابلة للنجاح والفشل ، بل إنها كانت للفشل أقرب ، فلا مانع من التنازل عنها ، ولأنه لا أمل له فى الوصول إلى الخلافة بعد أن أحس بقرب ميتته بسبب ما شربه من اللبن المسموم - ويرجِّح ما نراه - أن أبا هاشم لم يكن له ولد يخلفه [3] فيوصى له بالأمر من بعده .

كما كان بينه وبين أولاد عمومته - الحسن والحسين - خلاف حول نظرية الخلافة ، فهم يرون أن أحقية الخلافة لأبناء علىّ من فاطمة ، أما هو فكان يراها فى أبناء علىّ مطلقاً [4] .

يُضاف إلى هذا ما كان بين أبى هاشم ومحمد بن علىّ العباسى من علاقات ودية ، ولقاءات علمية ، وصداقة قوية ، الأمر الذى يساعد على القول بتنازله عن الدعوة لمحمد هذا .

---

(١) عبد الجبار الجومردى : أبو جعفر المنصور ص ٤٥

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان : ١٨٧/٤ ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب : ١١٣/١

(٣) المصعب بن الزبيرى : نسب قريش ص ٧٥ ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب : ١٦٦/١

(٤) محمد بن يعقوب الكلينى : مخطوطة - الكافى ورقة (٦٦) .

ولعل أبا هاشم قد عَرَّف كبار شيعته ودعاته من أهل العراق وخراسان بمحمد ابن على أثناء ترددهم عليه ، وأن الأمر صائر إليه بعد وفاته [1] إذا علمنا أن أكثر دعاة محمد ابن الحنفية لا يفرِّقون بينه وبين محمد بن علىّ العباسى ، فقد كانت الشيعة العلوية تنزل فى دار محمد العباسى ، وتظن أنه ابن الحنفية [2] .

وكان أبو هاشم يستعين بآراء محمد بن علىّ حول موضوع الدعوة والدعاة فى العراق وخراسان ، ولما عُرِف عن محمد من رجاحة العقل والدهاء ، وحُسن التدبير والتصرف ... ولعلاقته القوية بأبى هاشم حيث كان صديقه وتلميذه .

وهذا التنازل من أبى هاشم لمحمد بن علىّ العباسى لا يُعتبر تنازلاً من كل العلويين عن حقوقهم فى الخلافة ، بل كان تنازلاً شخصياً من أبى هاشم عن حقه .

لم يدر بخلد الأمويين أن موقع الحميمة القرية الصغيرة الهادئة فى أرض الشراة سوف يكون لها دوراً فعالاً فى تنظيم دعوة تخطط لقلب نظام الحكم الأموى ، ولذلك لم تحفل كثيراً بمراقبتها ، وعمل الأرصاد من حولها ، ولم يكن ساكنها علىّ بن عبد الله بن العباس إلا صديقاً مسالماً لهم ، ليست له مطامع ، فكثيراً ما يفد عليهم فيجزلون له العطاء ، وهو مع هذا يميل إلى الزهد والعبادة [3] ، ولم تكن قصته مع الوليد بن عبد الملك عندما سجنه

---

(١) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٩٢ ، ابن الأثير : ١٥٩/٤ ، ابن خلدون : التاريخ : ١٧٢/٣

(٢) أنساب الأشراف : ٣٢٥/٣ ، المقريزى : مخطوطة - المقفى الكبير ورقة (٦٥) . الجزء الثانى .

(٣) البلاذرى : أنساب الأشراف : ٢٢٦/١١ ، ٢٢٤ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣١٣/٥

وضربه بالسياط مرتين وألزمه سكنى الحميمة بدل الحجاز إلا ليكون على قُرب منه عندما داخلته الشكوك فى أمره [1] ولكن لم يلبث أن توطدت علاقته بالأمويين بعد ذلك .

على أن الذى لعب الدور السياسى الكبير لم يكن علياً بل ابنه محمد الذى عُرِف برجاجة العقل ، وسعة الذكاء ، ومعرفته بالأخبار ، وقد استفاد من الأحداث فى عصره ، فقد نظر إلى الصراع الدامى الذى كثيراً ما يقع بين الأمويين وأولاد عمه العلويين وغيرهم ، وأن هذه الحركات والخلافات لم يكن لها من نتيجة إلا القتل والتشريد ومن ثَمَّ الفشل الذريع .

وصل كبار دعاة العلوية إلى الحميمة مُعزِّين فى وفاة إمامهم عبد اللّه بن محمد ابن الحنفية ، ومهنئين لتلميذه وإمامهم الجديد محمد بن علىّ العباسى بتولى زمام أمور الدعوة ، معاهدين له على الإخلاص والتفانى لنجاح هذه الدعوة ، مواصلين جهادهم باذلين نفوسهم من أجل نجاحها [2] .

ثم كتب إلى كبار الدعاة كتاباً ليكون لهم مثالاً وسيرة يسيرون عليها قائلاً : « أما الكوفة وسوادها فشيعة علىّ وولده ، وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف ، تقول : « كن عبد اللّه المقتول ، ولا تكن عبد اللّه القاتل » ، وأما الجزيرة فحرورية مارقة ، وأعراب كأعلاج ، ومسلمون فى أخلاق النصارى ، وأما أهل الشام فلا يعرفون إلا معاوية وطاعة بنى أمية ، وعداوة راسخة ، وجهل متراكم ، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ، ولكن عليكم بأهل خراسان فإن هناك العدد الكثير ، والجَلَد

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٥/١٠٣ ، ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة : ١٤٦/٧

(٢) الدينورى : الأخبار الطوال ص ٣٣٢ ، ابن الأثير : ١٥٩/٤ ، تاريخ ابن خلدون : ١٧٢/٣

الظاهر ، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة ، لم تتقسمها الأهواء ، ولم تتوزعها النحل ، ولم يقدح فيها فساد ، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل ، وأصوات هائلة ... وبعد ، فإني أتفاءل إلى المشرق ، وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق » [١] .

نظر محمد بن عليّ إلى المكان الذى يصلح لنمو الدعوة ، فوجد بُغيته هذه فى خراسان ، حيث الأمة الغاضبة المقهورة ، وحيث الرجال وشيعتهم وسندهم هناك ... وصف محمد بن عليّ لدعاته الولايات الإسلامية وصفاً دقيقاً ، يعطينا شاهداً على سعة معرفته وثقافته ، وحنكته السياسية ، حيث يختار المكان المناسب لهذه الدعوة .

فقد قال عن مكة والمدينة بأنهما قد غلب عليهما أبو بكر وعمر مما جعل الحجاز يميل إلى السلم ، والبُعد عن الفتن والثورات ما أمكن ذلك ، فلا أمل فى الاعتماد عليهما لزرع بذور الدعوة .

أما الشام .. فإن أهله لا يعرفون غير بنى أمية ، فقد وقفوا مع معاوية فى محاربة الخليفة الرابع عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، مع علو منزلته ، ورفعة شأنه فى قلوب المسلمين ، كما قاتلوا أهل المدينة طاعة ليزيد ، واشتركوا فى قتال ابن الزبير فى خلافة عبد الملك ، وما هذه الأعمال إلا من أجل إرضاء الأمويين .

والبصرة - فى نظر محمد بن عليّ - هى الأخرى لا تصلح لهذه الدعوة ، فهى مدينة سكانها متنوعة الأجناس ، متعددة الأديان ، ففيها العرب والموالى والفُرس والزنج والزط ... جاءوا فى طلب الرزق والتجارة ، لما

---

(١) ابن قتيبة : عيون الأخبار : ١/ ٢٠٤ ، المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم : ٣/ ٢٩٣ - ٢٩٤ ، المقريزى : مخطوطة - المقفى ص ٦٥ ، المقريزى : مخطوطة - منتخب التذكرة ورقة (٨١) .

للبصرة من مركز اقتصادى ، فمن أجل غاياتهم هذه ، ولتفككهم العِرقى والدينى يؤثرون الهدوء والمسالمة .

أما الكوفة .. فهى شيعة علىّ وولده ، فهى لا تقبل دعوة غير علوية ، فأهل الكوفة يرون أن الخلافة هى حق من حقوق العلويين فقط .

وتعطينا هذه الرسالة دليلاً واضحاً إلى أن الدعوة لم تَخْفَ على كبار بعض الدعاة المقرَّبين والخلصاء لمحمد بن علىّ العباسى ، أنها دعوة عباسية خالصة .

أما السواد الأعظم من الدعاة فهم يجهلون حقيقة الدعوة ، بل إنهم يرون أنها علوية خالصَة لأن شعارها : « الرضى من آل محمد » - فى نظرهم - لا يعنى إلا العلويين .

أخذ محمد بن علىّ يخطط إلى دعوة منظمه تنظيماً دقيقاً يلبسها السرية التامة ، ولا يجعلها فى شخص بعينه ، حتى إذا مات أو قُتِل أو سُجِن صاحبها فشلت هذه الدعوة ، ثم إنه لم يربطها بأسرة بذاتها ، بل كانت دعوة عامة تجذب إليها الجماهير من الناس وهى الدعوة لآل البيت ، وقد اختار لهذه الدعوة رجالاً اتصفوا بالذكاء والشجاعة وممن آمنوا بها عن عقيدة واقتناع ، معاهدين الله وصاحب الدعوة على الإخلاص له ، وبذل كل غال ونفيس - وحتى حياتهم - من أجل نجاح هذه الدعوة [١] .

انتقل محمد بن علىّ بعد دراسة وتفكير إلى تنظيم الدعوة تنظيماً

---

(١) الدينورى : الأخبار الطوال ص ٣٣٢ ، ابن الأثير : ١٩٣/٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون : ٧٣/١ ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب ص ٢٦

محكماً ورسم الطريق الذى سوف يسيرون عليه ، مما ينهض بالدعوة إلى غايتها وكان ذلك فى أوائل القرن الثانى الهجرى [١] .

جعل محمد الدعوة تتحرك فى ثلاثة محاور ، حيث جعل الحميمة مكاناً للتخطيط والتنفيذ فهى المركز الأول للدعوة . والكوفة للإشراف على الدعوة لنقل تعاليم الإمام الصادرة من الحميمة إلى الدعاة فى خراسان وغيرها [٢] .

أما خراسان .. فقد أصبحت مسرحاً للدعوة ، كما أصبحت فيما بعد منطلقاً للعمل الحربى . اتخذ محمد للدعوة شعاراً جذّاباً هو أن الدعوة لواحد من آل البيت . وهذا الشعار الذى نادى به محمد بن علىّ يخدم العلويين والعباسيين على السواء ، ولهذا اعتقد العلويون أن الدعوة لهم ، ومن حق العباسيين أن يعتبروها لهم .

أكد محمد لدعاته عدم ذكر اسمه ، وأن تكون دعوتهم غاية فى السرية فهو يقول لأبى عكرمة السراج عندما أرسله إلى خراسان وأمره بالسير على طريقة بكير بن ماهان : « فلتكن دعوتك إلى الرضا من آل محمد ، فإذا وقعت بالرجل فى عقله وبصيرته فاشرح له أمركم ... وليكن اسمى مستوراً عن كل أحد إلا عن رجل عدلك فى نفسك .... وتوثقت منه وأخذت بيعته » [٣] .

كما حذّر محمد بن علىّ دعاته من أهل الكوفة قائلاً : « ولا تستكثروا من أهل الكوفة ولا تقبلوا منهم إلا أهل النيّات الصحيحة » [٤] .

---

(١) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٩٢ ، الطبرى : ٥٦٢/٦ ، ابن الأثير : ١٥٩/٤ ابن كثير : ٩ / ٢١١

(٢) الطبرى : ٧ / ٣٥٣

(٣) فاروق عمر : طبيعة الدعوة العباسية ص ١٥٥

(٤) المصدر السابق ص ١٥٤

واحتاط لنفسه أن يبعد الشكوك التى تحوم حول الحميمة ، فقد جعل دعاة خراسان يتصلون بالكوفة بدل الحميمة [1] حتى لا يلفت أنظار الأمويين فينكشف أمره ، ولضمان السرية التامة لدعوته أمر كبار دعاته بأن يسلكوا فى طريقهم إليه الطرق الرئيسية ، وأن يحاولوا التستر بزى التجار ، كما يقللوا التردد على الحميمة ما أمكن ذلك .

نظم الدعاة تنظيماً دقيقاً يوحى بأنها دينية كدعوة الأنبياء والرسل - عليهم السلام - يقول فى تنظيم ذلك ما نصه [2] : « بسم الله الرحمن الرحيم ... إن السُنَّة فى الأولين والمثل فى الآخرين ، وإن الله يقول : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا ﴾ [3] .. ثم قال فى آية أخرى : ﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً ﴾ [4] . وإن رسول الله ﷺ وافاه ليلة العقبة سبعون رجلاً من الأوس والخزرج فبايعوه ، فجعل منهم اثنى عشر نقيباً ... فإن سُنَّتكم سُنَّة بنى إسرائيل وسُنَّة النبى عليه السلام » .

وبمقتضى هذا التنظيم الدقيق السرى توزع الدعاة فى العراق وخراسان حيث وجُه للكوفة ميسرة العبدى (١٠٢ - ١٠٥ هـ) [5] وخلفه بعد ذلك بكير بن ماهان (١٠٥ - ١٢٧ هـ) [6] ثم أبو سلمة الخلال (١٢٧ - ١٣٢ هـ) [7] ، أما دعاة خراسان فقد وجُه ثلاث دعاة دفعة واحدة هم :

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : ٣٥٣/٧ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ١٥٩/٤

(٢) (مؤلف مجهول) أخبار الدولة العباسية ص ٢١٥ ، مجلة المؤرخ العربى ، العدد العاشر ، مقال الدعوة العباسية للدكتور حسين أمين ص ١٣

(٣) الأعراف : ١٥٥

(٤) المائدة : ١٢

(٥) الدينورى : الأخبار الطوال ص ٣٣٢ ، ابن الأثير : ٤ / ١٥٩، ابن كثير : ٩ / ٢١١

(٦) الأخبار الطوال ص ٣٣٤ ، ابن الأثير : ٤ / ١٩٣

(٧) الطبرى : ٧ / ٣٢٩ ، ابن الأثير : ٤ / ٢٩١

محمد بن خنيس ، وحيان العطار ، وأبا عكرمة زياد بن درهم السرّاج - وهو أبو محمد الصادق [1] .. وهؤلاء هم رؤساء الدعوة العباسية فى الكوفة وخراسان ، ويسمون رؤساء النقباء أيضاً .

اختار أبو عكرمة السرّاج بعد ذلك اثنى عشر نقيباً [2] ، وهؤلاء مع رؤساء النقباء هم الذين يعرفون الإمام ، وأسرار الدعوة ، ويلى هؤلاء نظراء النقباء وعددهم عدد النقباء ، ونظير النقيب يخلف النقيب فى حالة سفره أو وفاته [3] ، ثم يأتى بعد ذلك الدعاة وعددهم سبعون داعياً [4] ، ثم يليهم دعاة الدعاة وعددهم ما يقارب الـ ٣٦ داعياً [5] .

وفى خراسان أراد أبو عكرمة السرّاج أن يُعرِّف الإمام على مدى تقبل وفرح أهل خراسان بدعوتهم ، فطلب من زعمائهم أن يكتبوا للإمام محمد ابن علىّ بما يؤكد له إيمانهم وإخلاصهم لهذه الدعوة ، التى تهدف إلى خلاصهم من ظلم الأمويين ، فأرسلها إلى الكوفة حيث ميسرة العبدى ، الذى دفعها بدوره إلى محمد بن علىّ فى الحميمة [6] « ففرح بها واستبشر وسرَّه أن ذلك أول مبادئ أمر الدعوة» [7] .

---

(١) الطبرى : ٦ / ٥٦٢ ، ابن الأثير : ٤ / ١٥٩ ، ابن كثير : ٩ / ٢١١

(٢) محمد بن حبيب : المحبر ص ٤٦٥ ، الطبرى : ٥٦٢/٩ ، تاريخ الموصل ص ٢٦ أخبار الدولة العباسية ص ١١٦ ، ابن الأثير : ٤ / ١٥٩ ، ابن كثير : ٩ / ٢١١

(٣) أخبار الدولة العباسية ص ٢١٩ ، فاروق عمر : تقويم جديد للدعوة العباسية ص ٧٧

(٤) الطبرى : ٦ / ٥٦٢ ، أخبار الدولة العباسية ص ٢٢١

(٥) أخبار الدولة العباسية ص ٢٢٢ ، فاروق عمر: طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٣ ، تقويم جديد للدعوة العباسية ص ٧٧

(٦) ابن الأثير : الكامل : ٤ / ١٥٩

(٧) ابن كثير : البداية والنهاية : ٩ / ٢١١

أوصى محمد بن عليّ الدعاة أن يقضوا حوائجهم بالكتمان ، وأن يكون ظاهر عملهم التجارة ، وغايتهم الدعوة إلى آل البيت قائلاً [1] : « انطلقوا أيها النفر فادعوا الناس فى رفق وستر ، فإنى أرجو أن يُتم اللّه أمركم ، ويُظهر دعوتكم .. ولا قوّة إلا باللّه » .. ثم قال لهم [2] : « فإن سئلتم عن اسمي فقولوا : نحن فى تقية ، وقد أُمرنا بكتمان اسم إمامنا » .

أرسل محمد بن عليّ دعاته فى الآفاق ، يدعون الناس سراً ، ظاهر أمرهم الاشتغال بالتجارة ، وباطنه الدعوة للرضا من آل البيت ، واصفين إياه بالتُقى والصلاح والزهد والورع ، غايته تطبيق شريعة اللّه ، شعاره العدل والمساواة ، ويُحق الحق ، ويُبطل الباطل ، وسيملأ الدنيا صلاحاً وعدلاً ، كما ملأها بنو أمية فسقاً وجوراً - كما يدّعون - .

استخدم الدعاة مهنة التجارة يستخفون وراءها لنشر الدعوة التى أُسندت إليهم ، وأخذوا يجوبون البلاد طولاً وعرضاً للاتصال بأكبر عدد من الناس فكانت مهمتهم أسهل ، ومراقبتهم أصعب . ثم إن هؤلاء الدعاة لم يكونوا من عامة الناس ، بل تسلّحوا بسلاح الثقافة ، والمعرفة ، والإخلاص للدعوة ، والتفانى فى سبيلها ، فبذلوا الأموال [3] ، ولاقوا السجن والقتل والتمثيل [4] ، وكانت لديهم الحنكة لاجتذاب الأنصار . يقول صاحب

---

(١) الدينورى : الأخبار الطوال ص ٣٣٢

(٢) الدكتور حسين أمين : مجلة المؤرخ العربى : العدد العاشر - مقال « الدعوة العباسية » .

(٣) الدينورى : الأخبار الطوال ص٣٣٣ ، وفيات الأعيان : ١٩٦/٢ ، ابن الأثير : ١٩٣/٤

(٤) الأخبار الطوال ص ٣٣٤ ، تاريخ الموصل ص٢٦ ، البدء والتاريخ : ٦٠/٦ ، مخطوطة - المنتظم فى أخبار الأمم ورقة (٧٦) ، ابن الأثير : ٤ / ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٢١

كتاب العالَم الإسلامى فى العصر العباسى [١] : « لقد لبست الدعوة العباسية لبوساً ثقافياً ، وأغلب الدعاة تعمقوا فى العلوم الإسلامية وبرعوا فى الحديث أو الفقه أو اللغة ، وتولُّوا التعليم ، وأخذ الناس عنهم ، ونعتقد أن ثمة مدرسة للدعوة العباسية برزت فى هذه الفترة تدرب هؤلاء وتعدهم نفسياً وثقافياً وعسكرياً وتعدهم لليوم المرتقب » .

على إثر هذا التنظيم الدقيق السرى للدعوة العباسية - الذى عرضنا جانباً منه - رأينا كيف حرص العباسيون على سرية هذه الدعوة ، وإعطاء أوامرهم إلى كبار دعاتهم بعدم الاعتماد على الكوفة ، شيعة علىّ وأولاده .

كما نصحوا أتباعهم بعدم الانخراط فى أى حركة علوية تقوم فى العراق أو خراسان [٢] .

فى هذه الاثناء ظهر فجأة زيد بن علىّ (سنة ١٢١ هـ) وأعلن حركته وقُتِل بعد ذلك ، فلم يقف معه أحد من العلويين ، إلا ما قيل عن جعفر الصادق الذى أيَّده ودعا له بالنصر [٣] . ثم قام ابنه يحيى بن زيد وفشلت حركته وقُتِل (سنة ١٢٥ هـ) ، وليس من اختصاصات هذه الدراسة أن تتعقب الحركات العلوية فى العصر الأموى إلا أننا نود أن نذكر أن الطموح السياسى عند الحسنيين بدأ يظهر حقيقة بعد مقتل زيد وابنه يحيى ، على مسرح السياسة ، بعد أن تضعضع بسبب تنازل الحسن بن علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنهما عن الخلافة لمعاوية رضى اللّه عنه ، ولم يكن لهم فى ذلك الوقت منافس من الفرع الحسينى حيث كان زعيمهم جعفر الصادق يبتعد عن السياسة إلى طلب العلم وتعليمه ولا ينشد الخلافة لنفسه [٤] .

---

(١) حسن محمود ، وأحمد الشريف : العالَم الإسلامى فى العصر العباسى ص١٤

(٢) فاروق عمر : طبيعة الدعوة العباسية ص ١٢٢ ، ١٥٥

(٣) ابن الأثير : ٤ / ٢٤٦

(٤) الشهرستانى : الملل والنحل : ١ / ١٦٦

أما عبد الله بن الحسن - زعيم العلويين فى ذلك الوقت ، وخاصة الحسنيين منهم - فلم يكن له طموح بالخلافة لنفسه ، بل كان يرشح لها ابنه محمداً ويسميه المهدى والنفس الزكية (١) .

والذى زاد فى غموض هذه الدعوة أمام أعين أكثر الناس ، دخول بعض الأسرة العباسية (٢) فى حركة عبد الله بن معاوية (٣) .

فقد أعلن عبد الله هذا حركته فى الكوفة سنة ١٢٧ هـ وغلب على البصرة وهمدان ، وقم ، والرى ، وأصبهان (٤) ، ولكن ما لبثت هذه الحركة أن فشلت فهرب إلى خراسان (٥) حيث دعوة آل البيت ، فقبض عليه رجال الدعوة ، فسجنه أبو مسلم الخراسانى وقتله ، وكان ذلك سنة ١٢٩ هـ (٦) .. ويظهر لنا من اشتراك العباسيين فى هذه الثورة ، زيادة فى غموض

---

(١) البلاذرى : أنساب الأشراف : ٢ / ٧٣٢

(٢) أنساب الأشراف : ٤٧٧/٣ ، الطبرى : ٣٧٢/٧ ، مقاتل الطالبيين ص١٦٧ ، وممن دخل فى هذه « عبد الله بن علىّ ، عيسى بن علىّ ، المنصور ، السفاح » .

يقول الطبرى (٧ / ٣٧٤) : وأسر عبد الله بن علىّ بن عبد الله بن عباس بعد فشل ثورة عبد الله بن معاوية ، فقيل له : « ما جاء بك إلى ابن معاوية وأنت تعرف خلافه مع أمير المؤمنين ؟ فأجاب قائلاً : « كان علىّ دَيْن فأديته » .

(٣) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، كان جواداً فارساً شجاعاً ولكنه كان سيئ الخُلُق ، ردئ المذهب ، قتالاً ويرمى بالزندقة (مقاتل الطالبيين ص ١٦٢) .

(٤) الطبرى : ٣٠٢/٧ وما بعدها ، ٣٧١ وما بعدها ، مقاتل الطالبيين ص١٦١ وما بعدها .

(٥) الطبرى : ٧ / ٣٧٢

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ٣٠٧/٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ١/ ٣١٠

الدعوة ، حتى يظن الدعاة العلوية ، أن الدعوة المرفوعة فى خراسان - دعوة آل البيت - لا تحتمل غير العلويين ، وكذلك تضليل العلويين إلى أن العباسيين يؤيدون الحركات العلوية ويمدون لها يد العون ، ومن ثمَّ فشل هذه الثورة ، حتى يكتب لثورتهم النجاح المحقق .. وقد كان ما أرادوا .

* * *



• خراسان (*) ودورها العسكرى :

تعمقت الدعوة فى النفوس ، وكثرت الأتباع ، وتشوّق الناس لها ، وانتشرت فكرة الدعوة ، وعلّقوا الآمال بها ، فهى دعوة آل البيت ، وهى التى سوف تخلصهم من الدولة الأموية ، وهى - بجانب هذا - ستعيد لهم عزهم وسلطانهم التليد ، فتمسكوا بها وناصروها ، فاتسعت خلايا الدعوة ، وتعمقت جذورها فى السهول والجبال ، فعمّت المدن والقرى والأقاليم .

وفى هذه الفترة الحرجة - فترة عز ونشاط الدعوة السرية - مات صاحب الدعوة ومنظمها محمد بن على بالحميمة فى ذى القعدة سنة ١٢٥ هـ [١] وأوصى بتولى أمر الدعوة إلى ابنه إبراهيم الذى تسمى فيما بعد بـ « الإمام » [٢] ، وكان رئيس دعاة الكوفة « بكير بن ماهان » موجوداً فى هذه الأثناء بالحميمة فحمل هذه الوصية إلى خراسان وأبلغها إلى النقباء فصدّقوه ودفعوا إليه ما اجتمع قبَلهم من نفقات الشيعة وخُمس أموالهم ، ورجع إلى الحميمة ، حيث طمأن الإمام عن سير الدعوة فى خراسان ، وأبلغه إخلاص هؤلاء الدعاة لإمامهم الجديد وسلّم إليه ما لديه من الأموال ، فعاد إلى الكوفة [٣] ومعه بعض الشيعة العباسية بعد أن تعرّفوا على إمامهم الجديد ، وقد حثوه على تعجيل إعلان الثورة المسلحة

(*) خراسان - بضم الخاء - : وهى تشمل الآن إيران وجزء كبير من أفغانستان وتركستان الغربية .

(١) ابن الأثير : ٢٦١/٤ ، العقد الفريد : ٤٧٩/٤ ، البدء والتاريخ : ٦٠/٦ .

(٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٩٣ ، تاريخ ابن خلدون : ١٧٣/٣ . طبعة ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) .

(٣) الطبرى : ٢٩٤/٧ ، ٢٩٥ ، ابن الأثير : ٢٧٧/٤ ، العيون والحدائق : ١٨٣/٣ ، شوقى ضيف : تاريخ الأدب العربى - العصر العباسى الأول - ص ١١

قائلين [1] : « وحتى تأكل الطير لحوم أهل بيتك وتسفك دماؤكم ، تركنا زيداً مصلوباً بالكناسة وابنه « يحيى » مطروداً فى البلاد ، وقد شملكم الخوف ، وطالت عليكم مدة أهل البيت السوء » .

ولما مرض بكير بن ماهان أرسل إلى إبراهيم الإمام يستأذنه بتولية زوج ابنته « أبو سلمة الخلال » رئاسة الدعوة بدلاً منه ، فكتب إبراهيم إلى أبى سلمة يأمره بالقيام بعمل بكير بن ماهان ، كما أرسل إلى خراسان يخبرهم بتولى أبو سلمة أمر الدعوة ، فأجابوه بالطاعة والتصديق له فمات بكير بعد ذلك بقليل (سنة ١٢٧ هـ) [2] .

والحديث عن دور العمل العسكرى يسوقنا إلى التعرف على شخصية مهمة كانت بجانب إبراهيم الإمام ، والتى قامت بأهم أدوار هذا العمل الحربى ثم بعد ذلك فى تكوين الدولة العباسية ، والقضاء على معارضيها فى أول الأمر ، تلك هى شخصية « أبى مسلم الخراسانى » .

اختلفت الروايات فى أصله ، ولكن آكدها أنه فارسى الأصل يدعى « إبراهيم بن عثمان بن يسار »، وُلِد فى قرية قرب « أصبهان » [3] ، قيل : إنه اتصل بإبراهيم الإمام فى حياة والده محمد بن علىّ (سنة ١٢٤ هـ)

---

(١) فاروق عمر : طبيعة الدعوة العباسية ص ١٦٢

(٢) الطبرى : ٣٢٩/٧ ، الجهشيارى : الوزراء والكتّاب ص ٨٤ ، ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١١١ ، ابن الأثير : ٢٩١/٤ ، الدينورى : الأخبار الطوال ص ٣٣٤ ، شلبى : فى قصور الخلفاء العباسيين ص ١٧

(٣) الدينورى : الأخبار الطوال ص٣٣٧ ، الطبرى : ١٩٨/٧ ، أثر الفُرس السياسى ص ١١٤

وانضم إلى الدعوة وسمى نفسه « عبد الرحمن بن مسلم » وتكنى بـ « أبى مسلم » ، وكان عمره آنذاك خمس عشرة سنة [1] .

وربما كان أبو مسلم عند اتصاله الأول بإبراهيم مملوكاً ثم اشتراه بعد بكير ابن ماهان ، وأهداه إلى إبراهيم الإمام [2] .

فى هذه الظروف كانت الأحوال مواتية لإعلان الثورة المسلحة فى خراسان :

١ - فقد قامت حركات تمرد فى أنحاء خراسان ضد السُلطة الأموية حيث قام بها زعماء القبائل مثل : جديع بن علىّ الكرمانى [3] .

٢ - وهناك ثورة قد اشتعلت بالكوفة قام بها عبد الله بن معاوية من ولد جعفر بن أبى طالب ، وانضم معه الكثير من الغاضبين مما فَتّ من عضد الدولة وأريكها ، وقد دخل فيها بعض أفراد الأسرة العباسية ومن بينهم أبو جعفر والسفاح وعمهم عبد الله بن علىّ ، الذى ربما قصدوا من وراء ذلك إفشال هذه الثورة ، وقد حدث ذلك ، حيث كانت نهايته على أيدى رجال الدعوة العباسية فى خراسان ، ولأن خرسان لا تحتمل أكثر من دعوة هى الدعوة العباسية [4] .

---

(١) ابن الأثير : ٤/٢٥٢ ، ٢٩٥

(٢) ابن كثير : ٣٨٢/٩ ، المقريزى : النزاع والتخاصم ص ٥٣

(٣) الطبرى ٢٨٥/٧ ، ٣٧٠ ، ابن الأثير : ٢٩٢/٤ ، الدينورى : الأخبار الطوال ص ٣٥٧

(٤) الأزدى : تاريخ الموصل ص ١٠٧ ، الطبرى : ٣٠٢/٧ ، ٣٧١

٣ - وفى الشام حروب طاحنة بين الأمراء الأمويين على السُلطة [١] حتى إن الدولة الإسلامية بقيت فترة دون خليفة حاكم [٢] .

٤ - اشتداد العصبية القَبلية فى خراسان والعراق والشام [٣] ، فقد كانت تتخبط بالانقسامات والفوضى . وحتى الأندلس وصلت العصبية فيه إلى حروب طاحنة بين المضرية واليمنية [٤] .

٥ - خروج الضحاك بين قيس الشيبانى فى العراق والجزيرة [٥] .

٦ - ثورات الخوارج فى كل مكان فى العراق ، والحجاز ، واليمن [٦] .

٧ - عصيان كثير من المدن ، فى سوريا وفلسطين والأردن حيث خرجت عن طاعة الخليفة [٧] .

على ضوء هذه الأحداث وغيرها ، جَدّ إبراهيم الإمام بعد ذلك إلى نقل الدعوة العباسية السرية ، إلى طور العمل والنضال الحربى ، فعرض القيادة

---

(١) الطبرى : أحداث ١٢٦ هـ ، ١٢٧ هـ ، النجوم الزاهرة : ٣٠٣/١ ، ٣٠٤ ، محمد سرور : الحياة السياسية ص ١٧١

(٢) فاروق عمر : طبيعة الدعوة العباسية ص ١٦٥ ، الجومردى : أبو جعفر المنصور ص ٧٥

(٣) العيون والحدائق : ١٨٦/٣ ، على إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامى العام ص ٣٣٢

(٤) تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ص ١٦٠ - ١٧٠

(٥) الطبرى : ٣١٦/٧ ، ابن الأثير : ٢٨٩/٤

(٦) الأزدى : تاريخ الموصل ص ٧٧ ، ٨١ ، ١٠١ ، المسعودى : مروج الذهب : ٢٥٧/٣ ، الطبرى : ٣٧٤/٧

(٧) الطبرى : ٢٦٢/٧ - ٢٦٦ ، ٣١٢ ، ابن الأثير : ٢٧٦/٤

العامة للجيش على « سليمان بن كثير » رئيس دعاة خراسان فرفض ذلك ، ثم عرضها بعد ذلك على « إبراهيم بن سلمة » فرفض هو الآخر هذا الطلب [١] وكانا بالحميمة موفدين من قِبَلِ الشيعة العباسية ، لطلب الموافقة من إبراهيم الإمام لإعلان الثورة المسلحة ، وأن الدعوة السرية لا تستحق أكثر من هذا .

استقر رأيه بعد ذلك على تولية القيادة العامة لأبى مسلم الخراسانى ، وكان ذلك (سنة ١٢٨ هـ) [٢] ولما يتجاوز عمره - آنذاك - تسع عشرة سنة [٣] ، وقد كتب معه كتاباً إلى شيعته فى الكوفة وخراسان قائلاً [٤] : « إن هذا أبو مسلم ، فاسمعوا له وأطيعوا ، وقد وليته على ما غلب عليه من أرض خراسان » .

أخذ أبو مسلم هذا الكتاب ليعرضه على الدعاة ، وكان أول ما عرضه على « أبى سلمة الخلاّل » بالكوفة ، وهو بطريقه إلى خراسان ، ولكنه لم يجد منه قبولاً ، فقد استصغره وحقره ، وتوجه إلى خراسان بعد ذلك حيث عرض هذا الكتاب على كبار الدعاة فيها ، فتخوَّفوا من عواقب ذلك وردوه ، لأنه غلام عديم التجربة ، فلا يمكن أن يكون لمثل هذه الأمور الخطرة ، فأرسل وأرسلوا إلى إبراهيم الإمام بالحميمة حول هذا الموضوع ، فأجابهم الإمام إلى وجوب الالتقاء به عند موسم الحج .

---

(١) الطبرى : ٣٤٤/٧ ، ابن الأثير : ٢٩٥/٤

(٢) الطبرى : ٣٤٤/٧

(٣) ابن الأثير : ٢٩٥/٤

(٤) الطبرى : ٣٤٤/٧ ، ابن الأثير : ٢٩٥/٤ ، ابن كثير : ٣٢/١٠ ، العيون والحدائق : ١٨٤/٣ ، ابن قتيبة : الإمامة والسياسة : ١٣٧/٢

خرج هؤلاء والتقوا بإبراهيم الإمام فى مكة ، فأخبر أبو مسلم أن هؤلاء رفضوا الطاعة والانقياد له . فقال لهم الإمام : « لقد عرضت هذا الأمر على غير واحد ، لكنهم رفضوا ذلك فاستقر رأيى على أبى مسلم لتولى رئاسة الجيش ، فأمرهم بالسمع والطاعة له ، فكتب فى ذلك كتاباً قال فيه : « يا عبد الرحمن ؛ إنك رجل منا أهل البيت فاحفظ وصيتى ، وانظر هذا الحى من اليمن فأكرمهم ، وحل بين أظهرهم ، فإن الله لا يسمى هذا الأمر إلا بهم ، وانظر هذا الحى من ربيعة فاتهمهم فى أمرهم ، وانظر هذا الحى من مُضَر فإنهم العدو القريب الدار ، فاقتل مَن شككت فى أمرهم ومَن كان فى أمره شُبهة ومَن وقع فى نفسك منه شئ ، وإن استطعت ألا تدع بخراسان لساناً عربياً فافعل ، فأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله ، ولا تخالف هذا الشيخ - يعنى سليمان بن كثير الخزاعى - ولا تعصه ، وإن أشكل عليك أمر فاكتفِ به منى »[1] .

فى بداية عام ١٢٩ هـ أرسل إبراهيم الإمام من الحميمة إلى أبى مسلم الخراسانى يطلب منه أن يوافيه فى حج هذا العام بمكة ، فخرج أبو مسلم مع سبعين من رجال الدعوة ، فى منتصف جمادى الثانية قاصداً الحجاز ، وفى أثناء الطريق عرض له رسول إبراهيم حاملاً كتاباً إليه ، وآخر لسليمان ابن كثير ، وكان فى كتاب أبى مسلم : إنى قد بعثتُ إليك براية النصر فارجع من حيث ألفاك كتابى ووجه إلىَّ قحطبة بما معك يوافينى به فى

---

(١) الطبرى : ٣٤٤/٧ ، ابن قتيبة : الإمامة والسياسة : ١٣٧/٢ ، وابن الأثير : ٢٩٥/٤ ، العيون والحدائق : ١٨٤/٣ ، ابن كثير : ٣٢/١٠ ، المقريزى : النزاع والتخاصم ص ٥ .

وَنَقَد هذه الرسالة وَرَدَّها الدكتور فاروق عمر . انظر : طبيعة الدعوة العباسية ص١٦٥ وما بعدها .

الموسم « فأعطى قحطبة ما معه من الأموال والعروض وعاد إلى خراسان ، فوصل إلى مرو يوم الثلاثاء التاسع من شهر شعبان ، وسلّم كتاب الإمام إلى سليمان بن كثير وكان فيه : « أن أظهر دعوتك ولا تربص فقد آن ذلك » (١) .

وفى ليلة الخميس لخمس بقين من شهر رمضان (٢) عقد أبو مسلم راية النصر التى بعثها إليه إبراهيم الإمام وهى اللواء - يدعى الظل - على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً . والراية - تدعى السحاب - على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً وهما سوداوان وهو يتلو (٣) : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (٤) .

كانت ساحة خراسان فى هذه الأثناء تشهد صراعاً دامياً ، فقد كان ابن الكرمانى ، وشيبان الحرورى يقاتلان نصر بن سيار ، فكانت الفرصة مواتية لأبى مسلم أكثر ، فدخل هذا المعترك بعد أن ضعفت قوة نصر وانضمت إلى أبى مسلم كل الفئات الغاضبة فى خراسان ...

أخذ نصر بن سيار عامل خراسان يستصرخ ويطلب النجدة من الخليفة مروان ابن محمد وابن هبيرة واليه على العراق ، ولكن لا جدوى فى ذلك فقد كان مروان مشغولاً بحروبه مع الخوارج فى كل مكان . أما ابن هبيرة فقد كان يتساهل فى ذلك حيث كان يحتجز كتب نصر ويطويها عنده ، لئلا يقوم لنصر بن سيار قائمة عند الخليفة ، وكان فى ابن هبيرة حسد شديد (٥) .

---

(١) الطبرى : ٣٥٤/٧ ، ٣٥٥ ، العيون والحدائق : ١٨٦/٣ ، والمقريزى (مخطوطة) منتخب التذكرة ص ٩١

(٢) ابن كثير : ٣٥/١٠ ، العيون والحدائق : ١٨٦/٣

(٣) الطبرى : ٣٥٦/٧ ، ابن الأثير ٣٠٠/٤ .

(٤) الحج : ٣٩

(٥) العقد الفريد : ٤٧٧/٤

بدأت المدن تسقط واحدة تلو الأخرى ، وهكذا إلى أن انتهى هذا الصراع الدامى الطويل بسقوط الدولة الأموية ، وتولى العباسيين السُلطة (سنة ١٣٢ هـ) .

لقد استفاد العباسيون من الصراع الدامى الذى يقع بين حين وآخر بين الأمويين والعلويين فهو يشغل الأمويين عن خراسان أولاً ، كما يصرف أنظار العلويين ثانياً ، ويذكى نار الدعوة فى خراسان ثالثاً . وصار العباسيون يعملون بصمت مذكرين الخراسانيين بضحايا العلويين ، منددين بالفظائع والمفاسد التى يقترفها الأمويون بحق الخراسانيين - كما يدّعون - .

لقد أشعل بنو أمية العداء ما بين القبائل فصعب إتحادهم وتلاؤمهم مع بعضهم ، فتنفست الجاهلية فيهم ، وأصبحت كل قبيلة دولة بنفسها ، حرباً على الأخرى ، لقد ألّف الإسلام بين تلك القبائل ، ومحى عصبية القبيلة ، إلى عصبية الإسلام ، ووسعها ، وأزال ما فى صدورهم من غل وأحقاد ، ولو بذل ما فى الأرض جميعاً ما ألّف بين هذه القبائل ، ولكن الإسلام بسماحته وعظمته ألّف ما بينهم ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الأَرْضِ جَميعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ، إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [2] فجعل بينهم الألفة ، والمحبة ، والتعاون ، وعقيدة واحدة هى عقيدة الإسلام ، وأخوة خالدة هى أخوة الإسلام .

كان العلويون لا يفترون عن بث دعاتهم فى العراق وخراسان ، إلا أن هذه الدعوة كانت عديمة التنظيم ، قليلة الرجال والكفاءات ، فلما جاءت

---

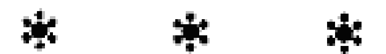
(١) الأنفال : ٦٢ ، ٦٣ .

(٢) الحجرات : ١٠ .

الدعوة العباسية ، اختلطت بهذه الدعوة ، واستغلتها ونظمتها ، وظن الكثير من الناس - ومنهم ابن الكرمانى نفسه - أنها لآل البيت ، وأن هذا الشعار لا يعنى إلا العلويين [١] .

كما ظاهرت الدعوة العباسية شخصيات بارزة ، قوية الشوكة ، وفيرة المال والجاه أمثال « أبى سلمة الخلاّل » [٢] ، و « سليمان بن كثير الخزاعى » [٣] و « بكير بن ماهان » [٤] .

على أنه لم يلبث دعاة الشيعة العلوية أن دخلوا فى الدولة العباسية بعد انتصارها طائعين لها ، لأن هدفهم القضاء على الحكم الأموى أهم من تعيين السلطان .





---

(١) الفخرى ص ١٤٥ . طبعة ١٩٦٦ ، د . محمد الطيب النجار ، الدولة الأموية فى الشرق ص١٤٤ ، فاروق عمر : العباسيون الأوائل : ٨١/١ ، طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٠٩ ، دراسات فى تاريخ العرب : ٢٤/٣

(٢) وفيات الأعيان : ٢ / ١٩٦ ، عصر المأمون : ١ / ٧٣ ، الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١١١

(٣) دراسات فى تاريخ العرب : ٢٦/٣

(٤) ابن الأثير : ١٩٣/٤ ، أخبار الدولة العباسية ص ٢٤٨

• أسباب نجاح الدعوة العباسية :

١ - اختيارهم للدعوة شعاراً جذّاباً ينطوى تحته الكثير من الجماهير وهو أن الدعوة للرضا من آل البيت فأكسب الدعوة الكثير من المتحمسين والغاضبين على الدولة الأموية ، وهى التى وصلت إلى الخلافة بالقوة ، وقد سلبت من آل البيت حقوقهم المشروعة وهى الخلافة - كما يدّعى العلويون ذلك ...

٢ - عدم إغضاب أولاد عمهم العلويين حتى لا يحاولوا إفساد خططهم ، وانفضاض أنصارهم عنهم ، وكشف حقيقة العباسيين ، ومن ثَمَّ إفشال الدعوة ، حتى إن بعض أفراد البيت العباسى دخل فى ثورة عبد اللّه بن معاوية (سنة ١٢٧ هـ) ولربما كان ذلك من العباسيين ليوهموا العلويين بأنهم معهم ، ويعملون لصالحهم ، ومن ثَمَّ إفشالهم الثورة ، لتكون النهاية لنجاح دعوتهم .

٣ - لم يربطوا هذه الدعوة بشخص معيّن حتى إذا سُجِن أو مات أو قُتِل تضعف أو تموت ، بل جعلوها إلى بيت بكامله ، محبَّب لدى عامة الناس « الرضا من آل البيت » .

٤ - جعلوها فى غاية السرية ، حتى لا ينكشفوا للأمة ، وليوهموا العلويين إلى أن هذه الدعوة لهم ، حتى يركنوا ويسالموا إلى أن الأمر صائر لهم .

٥ - أخذهم التأنى فى الدعوة ، وإقناع الرأى العام بالثورة ، مخالفين بذلك طريقة العلويين فى الثورات ، والذين يثورون فجأة فى وجه الأمويين ، مما سبب لهم الهزائم المتكررة ، بل يجب أن تكون هذه الدعوة ، بالإقناع والتحريض ، وفهم العامة الحقيقة من أجلها ، حتى تكسب أنصاراً يقاتلون عن إقناع وتحمس بالفكرة .

٦ - جعل العباسيون محاور الدعوة تدور على ثلاثة : فالحميمة مصدراً لرسم وتنظيم الدعوة ، وتكون الكوفة : نقطة الاتصال بين الحميمة ومسرح العمليات خراسان ، واستفاد العباسيون من هذا حيث لا يكون هناك لفت نظر إلى الحميمة ، وهى القرية البعيدة عن المسارح السياسية والحربية .

٧ - جعل الدعوة ، ومسرح العمليات فى بيئة غاضبة نائية عن مركز الخلافة الأموية بعيدة كل البُعد عن موطن الأحزاب فى الشام والعراق والحجاز ، مستغلين فى الخراسانيين النعرة القومية ، وأن هذه الدعوة سوف تعيد لهم تاريخهم وأمجادهم ، مشيعين - بين حين وآخر - أن الدعوة دعوتهم ، والدولة دولتهم ، فانتصار هذه الدعوة ما هو إلا نصراً وعزاً لهم ، ورجوعاً لسلطانهم .

٨ - انتشار التشيع فى خراسان ، واستغلال العباسيين لضحايا العلويين ، فقد كان ذلك معولاً جاداً ، هدم به العباسيون البيت الأموى ، كما نشر الدعاة بين الخراسانيين فظائع الدولة الأموية ، كدولة غير شرعية ، فهى عنصرية ظالمة، سفَّاكة للدماء .

٩ - الاضطرابات والقلاقل ، والانقسامات والفوضى ، التى عمَّت أرجاء الدولة ، فمن صراع دامى شَبَّ بين الأمراء الأمويين من أجل السُلطة ، إلى ثورات العلويين [١] والخوارج فى كل مكان ، حيث انشغل الأمويون فى إطفاء هذه الحركات .

* * *

(١) ثورة زيد بن علىّ (١٢١ هـ) وابنه يحيى (١٢٥ هـ) وعبد الله بن معاوية (١٢٧ هـ)

• العلويون يدعون إلى عقد مؤتمر فى الأبواء :

اهتزت الأرض من تحت الأمويين فى كل مكان ، فالعصبية القَبلية كشرت عن أنيابها فى كل إقليم ، حتى أقصى الأقاليم ، والأندلس لم يسلم من ذلك (١) .

وكان الأمراء الأمويين هم الذين أحيوا تلك العصبية وشجعوها (٢) ، كما وقعت بين الأمراء أنفسهم حروب طاحنة للوصول إلى السُلطة ، وكان من نتيجة ذلك أن سقط الكثير من الأمراء فى ساحة القتال .

فى هذه الأثناء كثرت الفتوق فى الدولة واتسعت ، فقد قام الخوارج فى خراسان والعراق ، والحجاز ، واليمن .

فى هذا الوقت المشحون بالمخاطر على بنى أمية ، عقد بنو هاشم مؤتمرهم بقرية الأبواء (٣) - بين المدينة ومكة - سنة ١٢٧ هـ (٤) عندما كانت كل البوادر تنبئ بنهاية الأمويين بعد مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك (٥) ، وضم هذا المؤتمر من العباسيين : إبراهيم « الإمام » بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، وأبو جعفر ، والسفاح ، وعمهم صالح بن علىّ ، ومن أعيان الطالبيين : الصادق جعفر بن محمد ، وعبد الله بن الحسن بن الحسن

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ص ١٦٠ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب :٣ / ٢٤٥

(٣) « الأبواء » : قرية من أعمال الفرع من المدينة المنوَّرة ، بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً ، وبالأبواء : قبر آمنة بنت وهب أم الرسول ﷺ .

(٤) العباسيون الأوائل : ١/ ١٧٠ ، شاكر مصطفى : دولة بنى العباس : ٢١٤/١

(٥) البلاذرى : أنساب الأشراف : ٢ / ٧٣٤

ابن عليّ بن أبي طالب (رضى الله عنهم) ، وابناه محمد ، وإبراهيم . ومن غير هؤلاء محمد بن عبد الله ابن عمر بن عثمان بن عفان (أخو عبد الله ابن الحسن من أمه) .

والذى دعى إلى هذا الاجتماع [1] عبد الله بن الحسن حيث كان يطمع فى أن تكون الخلافة لابنه محمد النفس الزكية الذى قال عنه : إنه المهدى المنتظر الذى بُشِّر به [2] .

ووقف صالح بن عليّ يخطب فيهم قائلاً [3] : « قد علمتم أنكم القوم الذين تمتد أعين الناس إليهم ، وقد جمعكم الله فى هذا الموضع ، فاعقدوا بيعة لرجل منكم تعطونه إياها من أنفسكم ، وتواثقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين » .

ويقول صاحب كتاب الفخرى [4] : « اتفق الجميع على مبايعة النفس الزكية إلا الإمام جعفر بن محمد الصادق ، فإنه قال لأبيه عبد الله المحض : إن ابنك لا ينالها - يعنى الخلافة - ولن ينالها إلا صاحب القباء الأصفر - يعنى المنصور ، وكان على المنصور حينئذ قباء أصفر ، قال المنصور : فرتبت العمال فى نفسى من تلك الساعة » .

ويحدثنا البلاذرى قائلاً [5] : « ولما قُتِل الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكانت الفتنة ، كتب الفضل بن عبد الرحمن بن عياش بن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب إلى عبد الله بن الحسن :

---

(١) البلاذرى : أنساب الأشراف : ٢ / ٧٣٤

(٢) البلاذرى : أنساب الأشراف : ٢/٧٣٢ ، النوبختى : فرق الشيعة ص٨٢ ، ٨٣ ، البغدادى : الفَرق بين الفِرق ص ٥٧ ، ابن طباطبا : الفخرى ص ١٢١

(٣) الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ص ٢٠٦ ، ٢٥٦

(٤) ابن طباطبا ص ١٢٠

(٥) أنساب الأشراف : ٢ / ٧٣٤ . وكان ذلك عام (١٢٦ هـ) .

دونـــك أمر قد بدت أشراطه وريشت مـــن نبلـــه أمراطه

إن السبيـــل واضـــح صراطه لم يبق إلا السيف واختـراطه

فدعا عبد الله بن الحسن قوماً من أهل بيته إلى بيعة ابنه محمد ، وأتى جعفر « الصادق » بن محمد فأرادهُ أن يبايع لمحمد فأبى وقال : اتَقِّ اللَّه يا أبا محمد وأبق على نفسك وأهلك فإن هذا الأمر ليس فينا وإنما هو فى ولد عمنا العباس، فإن أبيتَ فادع إلى نفسك وأنت أفضل من ابنك ، فأمسك ولم يجبه ، واستتر محمد بن عبد اللَّه ، وقد بايعه قوم من أهل بيته ومن قريش ، وكان يخرج إلى البادية فيطيل المقام بها » .

ويتفق المقريزى [١] والأصفهانى [٢] مع ابن طباطبا على أن الحاضرين بايعوا محمداً النفس الزكية ، إلا أن الأصفهانى يذكر فى رواية أخرى [٣] أنهم اجتمعوا فى زمن مروان بن محمد وبينما هم مجتمعون وصل رجل من خراسان ومال إلى إبراهيم فقام وتبعه العباسيون . فأخبر إبراهيم أن البيعة قد أخذت لك فى خراسان ، فانفض هذا الاجتماع .

لقد انطلق أتباع العلويين بعد قيام الدولة العباسية يؤيدون دعوتهم فى الخلافة بأن العباسيين قد بايعوا محمداً النفس الزكية وهم بذلك يعتبرون العباسيين قد سلبوا حق العلويين فى الخلافة ، ونقضوا بيعة محمد النفس الزكية .

كما انبرى العباسيون لنفى هذه الإشاعات ، لأن اجتماعهم هذا الذى حضره من العباسيين إبراهيم الإمام ، وأبو جعفر ، والسفاح ، وعمهم صالح

(١) النزاع والتخاصم ص ٥٦

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٢٠٦

(٣) ص ٢٥٧

ابن عليّ ، لم يبايعوا أحداً من العلويين ، وأن مجلسهم انفض بعد أن وصل من خراسان رسولاً أوفده دعاة العباسيين ، ليخبر إبراهيم الإمام أن البيعة قد أخذت له في خراسان ، وأن الدعوة قد آن لها أن تؤتي ثمارها [١] .

ونحن نقول : إن هذا الاجتماع الذى عقد بـ « الأبواء » لبحث الوضع المتدهور فى الدولة الأموية والذى ضم كبار العباسيين ، وأعيان العلويين قد اجتمعوا فعلاً ولكنهم لم يتفقوا على ترشيح خليفة لهم لأن العباسيين أصروا على أن يكون المرشح للخلافة عباسياً .

أما العلويون فقد قام عبد الله بن الحسن داعياً الحاضرين إلى البيعة لابنه محمد مدعياً أنه مهدي هذه الأمة .

فرُفِض هذا الطلب بإجماع العباسيين ، كما عارضه جعفر بن محمد الصادق إلى حد تعبير بعض المصادر ذات الميول العباسية أن الصادق قال لعبد الله بن الحسن : إن الخلافة ليست لك ولا إلى ابنيك ، وإنهما مقتولان ، ولكنها لهذا - مشيراً إلى السفاح - وإخوته وأبنائهم دونكم ، ويظهر لى عدم صحة ذلك ، لأن الدعوة العباسية قد خفيت أهدافها على أكثر الناس ومن بينهم العلويين وخاصة فى هذه الفترة .

ثم إن جعفراً الصادق الصالح التقى الزاهد الذى كرّس حياته للعلم والعبادة هل كان يتكلم عن الغيب ؟! هل كان يعلم أن محمداً وإبراهيم سيُقتلان ، وأن إبراهيم الإمام لن ينال الخلافة ، مع أنه المقدَّم على السفاح وأبى جعفر ؟ هذا فضلاً عن أنه كان المرشح للخلافة بعهد من أبيه ، فلو أن الأمر حقيقة وكما ادعت هذه المصادر لأشار إليه جعفر الصادق أولاً مما يدل على أن هذه الرواية لا أساس لها من الصحة .

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٢٥٧ ، فاروق عمر : العباسيون الأوائل : ١٧١/١

لبّى العباسيون دعوة عبد الله بن الحسن للاجتماع معهم فى المؤتمر لأن ذلك يخدم - فى رأينا - ناحيتين :

أولاهما : إيهام العلويين ، وإبعاد شكوكهم التى كانت تدور حول العباسيين فى أنهم كانوا يعملون لأنفسهم للوصول إلى الخلافة حتى لا يفسدوا عليهم خططهم .

وثانيهما : زيادة فى تضليل الأتباع إلى أن العباسيين والعلويين يسيرون جنباً إلى جنب ، وأن هذه الدعوة ما هى إلا « لآل البيت » [1] .

ولكن والحالة هذه لا يمكن أن يضع العباسيون أنفسهم فى مصيدة العلويين فيبايعونهم وهم يعرفون تمام المعرفة أن دعوتهم فى خراسان تسير قُدماً وما هى إلا برهة من الزمن وتأتى ثمارها ، ولذلك رفضوا مبايعة أى علوى .

---

(١) يقول الدكتور عبد المقصود نصار : « ... فالرضا من آل البيت لم يكن فى مفهومهم - أى العلويين - إلا لواحد منهم ، وكثير من أنصار الدعوة السرية كانوا يتفقون مع العلويين فى هذا الفهم ... » (ملامح من تاريخ الدولتين - الدولة العباسية - ص ٥٣) .

ويقول الدكتور السيد عبد العزيز سالم : « ولا شك أن محمداً بن علىّ يوم وزع دعاته على العراق وخراسان لم يظهر لهم أهدافه الحقيقية فى الاستئثار بالأمر لنفسه ولبيته دون العلويين ، وإنما أظهر أمامهم سعيه لقلب نظام الحكم الأموى وإعادة الحق إلى أصحابه الشرعيين » (دراسات فى تاريخ العرب : ٣ / ٢٤) .

أما الدكتور فاروق عمر فيقول : « ... وأن الكثير من الأنصار الذين ساندوا الثورة ومنهم ابن الكرمانى نفسه لم يكن يعرف أن الرضا من أهل البيت سيكون عباسياً » (طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٠٩ ، والعباسيون الأوائل : ١ / ٨١) .

وخلاصة ذلك : أننا نعترف باجتماعهم فى هذا المؤتمر ولكنهم انفضوا دون اتفاق على شخص الخليفة ، ولا عبرة بما قاله بعض المؤرخين أنهم بايعوا النفس الزكية .

ودليلنا على ذلك :

أولاً : فى الرسالة المشهورة التى أرسلها محمد النفس الزكية إلى الخليفة أبى جعفر المنصور (سنة ١٤٥ هـ) [١] لم يترك فيها أى حُجَّة أو فخر أو تعال يبرهن فيه للخليفة المنصور بأنه أحق منه بالخلافة ، إلا وقد ذكره ، فلو كان أبو جعفر قد بايع محمداً حقيقة لما سكت محمد عن الإشارة إلى هذه البيعة .

ثانياً : ثم خطبته التى خطبها - محمد - فى أهل المدينة [٢] لم يذكر هذه البيعة لا من قريب ولا من بعيد ، بل دارت هذه الخطبة على ثلاثة محاور ذكر فى أولها : أن المنصور بنى القُبَّة الخضراء معانداً لله فى مُلكه ، وثانيها : أن أحق الناس بالخلافة هم أبناء المهاجرين الأوَّلين والأنصار المواسين ، وثالثها : يقسم بالله لأهل المدينة أنه لم يقم بحركته هذه إلا وقد دانت له الأمصار حيث أُخذت له البيعة فيها .

ألم يكن من الأجدر والأولى أن يذكر لأهل المدينة بيعة العباسيين له بالأبواء ، حتى يكسب من وراء ذلك الولاء التام من أهل الحجاز ، ولكنه لم يجد فى نفسه مبرراً لحركته ولكسب ولاء الحجازيين له ، إلا أن المنصور قد بنى قُبَّة خضراء فى قصره ، معانداً لله فى مُلكه ، وتصغيراً للكعبة الشريفة ، وأن أحق الناس بالخلافة المهاجرين والأنصار من أبى جعفر ، ثم

---

(١) انظر الفصل « الثالث » من هذه الدراسة فسوف نذكر - إن شاء الله - فيه الرسالة .

(٢) انظر الفصل « الثالث » من هذه الدراسة .

يقسم بالله أغلظ الأيمان أن الأمصار قد بايعته ، والواقع أن الأمصار لم تبايعه وإنما كانت مؤامرة وتدبير من أبى جعفر المنصور لإخراج محمد من مخبئه والقضاء عليه .

ثالثاً : ذكرت لنا بعض المصادر التاريخية [١] أن بعض علماء الدين وفى مقدمتهم الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - أفتى بجواز الخروج مع محمد النفس الزكية على أبى جعفر المنصور ، فقيل له : إن فى أعناقنا بيعة للمنصور ، فقال : إنما بايعتم مُكْرَهين ، وليس على مُكْرَه يمين .

فلم يذكر - رحمه الله - أن المنصور نفسه قد بايع محمداً حتى يدعم رأيه عندما أفتى بالخروج مع محمد ، ولكنه اكتفى بأن المنصور قد أكرههم على بيعته وليس على مُكْرَه يمين .

رابعاً : تُجمع المصادر التاريخية والتى ذكرت اجتماع العلويين والعباسيين بـ « الأبواء » سنة ١٢٧ هـ أن جعفر بن محمد الصادق قد حضر هذا الاجتماع وأنه لم يبايع ، فكيف بايع العباسيون علوياً هو محمد النفس الزكية ، وشَذَّ الصادق - وهو علوى - ولا يطلب الخلافة لنفسه ؟ فلو كان العباسيون قد بايعوا فعلاً لما شَذَّ جعفر الصادق من بينهم ، وهو الذى تربطه بعبد الله بن الحسن ، وابناه محمد وإبراهيم علاقة حسنة وطيبة ، فضلاً عن حق القرابة .

خامساً : عقد مؤتمر الأبواء (سنة ١٢٧ هـ) وكان الداعى لهذا الاجتماع - كما أسلفنا - عبد الله بن الحسن ، ثم إن إبراهيم الإمام بعد أن تولى زمام رئاسة الدعوة بعد وفاة والده محمد بن علىّ (سنة ١٢٥ هـ)

---

(١) منها : الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ص ٢٧٩ وما بعدها ، الأزدى : تاريخ الموصل ص ١٨٧ وما بعدها ، الشهرستانى : الملل والنحل : ٢١٢/١ ، الطبرى : ٥٦٠/٧.

قد جَدَّ في نقل الدعوة من طورها السرى إلى طور العمل والنضال الحربى ، وقد وصل إلى الحميمة جماعة من الدعاة معزين لإبراهيم الإمام ، ومهنئين لرئاسة الدعوة ، وقد عرضوا عليه بدء العمل لأن الدعوة قد تشعبت فى السهول والجبال فتعمقت واتسعت جذورها ، فلا تستحق أكثر من هذا .

ونقول : إن هذه السنة بالذات ، والتى عُقِد فيها هذا المؤتمر قد ظهرت بوادر انهيار الدولة الأموية ، فالعصبية القَبلية كانت على أشدها ، وثار الخوارج فى كل مكان ، وحروب طاحنة بين الأمراء الأمويين من أجل السُلطة .

فهذه وغيرها زاد فى يقين العباسيين إلى النجاح المحقق لدعوتهم .

فهل يمكن والحالة هذه وقد عرف وتيقن العباسيون أن نجاح دعوتهم قاب قوسين أو أدنى أن يُسلّم العباسيون ثمرة جهودهم بأن يضعوها على طبق من ذهب تحفه الورود ، ويسلموها إلى العلويين وذلك بمبايعة محمد النفس الزكية ؟!

سادساً : وأخيراً نقول : إن موضوع البيعة بكامله هو من صنع الشيعة العلوية ، ويظهر لى أن الكلام عن البيعة لم يُعرف إلا بعد قتل محمد وإبراهيم .

ثم نقول : إن المؤرخين الذين قالوا : إن العباسيين بايعوا النفس الزكية ذوو ميول علوية وكلهم متأخرون ، عدا الأصفهانى الذى عاش فى القرن الرابع الهجرى ، ولكنه يعتبر أديباً أكثر منه مؤرخاً .

وقد سكت عن البيعة مؤرخون موثوق فيهم كالبلاذرى ، والمسعودى ، والدينورى ، واليعقوبى ، والطبرى ، وابن خلدون ، والذهبى ، والسيوطى .... وغيرهم .

وقد ظهر لى جلياً أن هؤلاء المؤرخين الذين قالوا ببيعة العباسيين لمحمد النفس الزكية ، أعرضوا عن ذكر الرسائل التى دارت بين المنصور ومحمد ابن عبد الله مع ما فيها من أهمية تاريخية وأدبية ، ولهذه الأهمية فقد ذكرتها أكثر مصادرنا التاريخية وكذلك الأدبية .

وانفضَّ المؤتمر دون أن ينتفع العلويون منه بأى فائدة حيث إن العباسيين لم يبايعوا النفس الزكية ، بل استمروا فى سياستهم للوصول إلى الخلافة ، جادين مستخدمين وسائل عملية ... خاصة وقد انتقلوا من الحميمة إلى الكوفة ، هنا أحس الخلال بأن الأمر قد يكون للعباسيين فكاتب العلويين .

وهذا ما سنتحدث عنه - إن شاء الله تعالى - .

* * *



• أبو سلمة الخلال والعلويون :

كان أبو سلمة الخلاَّل [١] « حفص بن سليمان » - مولى السبيع من همدان [٢] - قد تولى رئاسة الدعوة العباسية بالكوفة بترشيح من بكير بن ماهان ، وأقرَّه على ذلك إبراهيم الإمام ، فصار حلقة اتصال بين إبراهيم الإمام فى الحميمة ، وبين الدعاة فى العراق وخراسان . رأس أبو سلمة الدعوة أكثر من خمس سنوات (١٢٧ - ١٣٢ هـ) وكانت علاقته بالدعوة العباسية قديمة ، حيث قضى أكثر من ثلاثين سنة فى خدمتهم [٣] .

والظاهر أن أبا سلمة هذا كان من دعاة أبى هاشم (عبد الله بن محمد ابن الحنفية) ولما انتقلت الدعوة من أبى هاشم بعد وفاته إلى محمد بن علىّ ، كان من بين الذين وافقوا على ذلك [٤] ولكنه لم يسطع نجمه إلا فى سنة ١٢٧ هـ حيث تولى رئاسة الدعوة فى الكوفة .

كان حفص بن سليمان ، أديباً فصيحاً ، عالماً بالسياسة والأخبار

---

(١) قيل : فى تلقيبه بالخلاَّل ثلاثة أوجه :

أحدها : أن منزله بالكوفة كان قريباً من محلة الخلاَّلين وكان يجالسهم ، فنُسِب إليهم ، كما نُسِب الغزالى إلى الغزَّالين ، وكان يجالسهم كثيراً .

وثانيها : أنه كان له حوانيت يعمل فيها الخل فنُسِب إلى ذلك .

وثالثها : أنها نسبة إلى خلل السيوف ، وهى أغمادها .

(٢) التنبيه والاشراف ص ٢٩٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : ١٩٥/٢ ، الزركلى : الأعلام : ٢٦٣/٢

(٣) المقدسى : البدء والتاريخ : ٥٩/٦ ، فاروق عمر : العباسيون الأوائل : ٧١/١

(٤) (مجهول) أخبار الدولة العباسية ص ٢٢٤ ، البدء والتاريخ : ٥٩/٦ ، فاروق عمر : طبيعة الدعوة العباسية ص ١٥٤

والأشعار والسير والتفسير . وكان ذا ثراء عظيم ، فأنفق أمواله فى خدمة دعوة بنى العباس وكان من كرمه وجوده يُطعم أصحابه غداءً وعشاءً [١] . وهو أول من لُقِّب بالوزير ، وعُرِف بعدها بوزير آل محمد [٢] .

علم مروان بن محمد - الخليفة الأموى - أن صاحب الدعوة فى خراسان هو إبراهيم الإمام بن محمد بن علىّ العباسى ، فأرسل فى طلبه من الحميمة ، فأُحضر له وسجنه ، وقتله بعد ذلك ، ولما علم بنو العباس بذلك وهم بالحميمة ، عزموا على الانتقال إلى الكوفة ، ولا سيما بعد سماعهم أن الجيوش العباسية قد دخلت الكوفة ، ولما قارب العباسيون الوصول إليها أرسلوا إلى أبى سلمة الخلاّل يخبرونه بوصولهم ، إلا أن أبا سلمة أخفاهم عن كبار الشيعة والقوّاد ، فى مكان خارج الكوفة ، ووكل بهم وكيلاً ، وإذا سُئِل عن الإمام يقول : « لا تعجلوا » [٣] .

كان أبو سلمة ذا ولاء تام لإبراهيم الإمام ، ولكن بعد مقتله ، حاول تغيير وجهة نظره - كما يقول المقدسى - بنقل الخلافة من العباسيين بعد أن قدموا الكوفة إلى العلويين وقال : « ينبغى أن يتربصوا فإن الناس بايعوا إبراهيم وقد مات ، ولعله يحدث بعده أمر ، وأراد أن يصرف الأمر إلى ولد علىّ لأن أول الأمر كان دعوة الناس إليهم » [٤] .

---

(١) الجهشيارى : الوزراء والكتّاب ص ٨٦ ، وفيات الأعيان : ١٩٦/٢ ، الفخرى ص١١١

(٢) مروج الذهب : ٢٨٤/٣ ، التنبيه والاشراف ص ٢٩٣ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ١١٣/٥ ، القلقشندى : صبح الأعشى : ٩٣/١ ، ٤١٧ ، ٢٧٧/٣

(٣) الطبرى : ٤٢٩/٧ ، البدء والتاريخ : ٦٨/٦ ، ابن الأثير : ٢٢٣/٤

(٤) البدء والتاريخ : ٦ ص ٦٦

ويتفق كل من : محمد بن حبيب [١] ، والجهشيارى [٢] ، واليعقوبى [٣] والمسعودى [٤] ، وابن طباطبا [٥] وغيرهم [٦] فى أن الخلاَّل حاول نقل الخلافة من العباسيين إلى العلويين ، حين قُتِل إبراهيم الإمام ، يقول الدكتور الدورى : « ولما كانت غاية الموالى الأولى التخلص من الأمويين انضم الخلاَّل إلى الدعوة العباسية المنظمة لهذا الغرض ، ولكن انتصار الجيوش العباسية ، ومقتل إبراهيم الإمام ، أفسح المجال له ليحقق ما كان يميل إليه حقيقة ، خاصة وأن المدعو له لم يكن معروفاً عند الجمهور » [٧] .

لما سيطر الجيش الخراسانى على الكوفة ، وعرف أبو سلمة الخلاَّل بموت إبراهيم الإمام عزم على نقل الخلافة إلى العلويين ، فأرسل رجلاً من شيعة العلويين يدعى « محمد بن عبد الرحمن بن أسلم » [٨] بثلاثة كتب بنص واحد ، إلى ثلاث شخصيات من العلويين فى الحجاز : جعفر بن محمد الصادق ، وعبد اللّه بن الحسن ، وعمر - الأشرف - بن علىّ زين العابدين ابن الحسين بن علىّ - رضى اللّه عنه - قائلاً له : « العجلَ العجلَ فلا

---

(١) (مخطوطة) محمد بن حبيب : أسماء المغتالين من الأشراف ورقة (٦٢) .

(٢) الوزراء والكتُّاب ص ٨٦

(٣) تاريخ اليعقوبى : ٨٦/٣

(٤) مروج الذهب : ٢٦٨/٣ - ٢٨٤

(٥) الفخرى ص ١١١

(٦) الطبرى : ٤٢٣/٧ ، ابن كثير : ٤٧/١٠ ، ابن الأثير : ٣٢٣/٤ ، العيون والحدائق : ١٩٦/٣ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص ١٢١ ، المقريزى : (مخطوطة) المقفى ورقة (٧٣) - الجزء الثانى .

(٧) عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول ص ٥٢

(٨) مروج الذهب : ٢٦٨/٣

تكون كوافد عاد »[1] . وأمره أن يلقى جعفر بن محمد الصادق أولاً ، فإن قبل ما فى الكتاب مزّق الكتابين . وإن لم يقبل ذلك لقى عبد الله بن الحسن ، فإن استجاب لما فى الكتاب مزّق الكتاب الثالث ، وإن لم يقبل لقى عمر - الأشرف - بن علىّ .

قدم الرسول المدينة المنوّرة حاملاً الكتب الثلاثة من أبى سلمة الخلاّل ، واتصل بجعفر بن محمد الصادق ليلاً ، وأخبره أنه موفد من أبى سلمة الخلاّل ، وسلّمه الكتاب ، فقال الصادق : وما أنا وأبو سلمة ، وهو شيعة لغيرى : فقال الرسول : اقرأ الكتاب وأعطنى الجواب . فقال الصادق لخادمه : أدنِ السراج منى ، فوضع الكتاب على النار حتى احترق وقال : ما رأيتَ هو الجواب لصاحبك[2] ، وتمثل بقول الكميت بن زيد :

أيا موقداً ناراً لغيرك ضوءها ويا حاطباً فى غير حبلك تحطبُ[3]

ثم ذهب الرسول إلى عبد الله بن الحسن - والد محمد النفس الزكية - الذى قبل الكتاب ورحّب به ، وركب بالحال إلى جعفر بن محمد الصادق فعرض عليه الأمر قائلاً[4] : « هذا كتاب أبى سلمة يدعونى فيه إلى الخلافة ، وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان » .

فأخبره الصادق أن هذا الأمر قد عُرِض عليه من قبل ، فلم يقبله ، ونصحه بعدم القبول قائلاً[5] : « ومتى صار أهل خراسان شيعتك ؟

---

(١) مروج الذهب : ٣/٢٦٨

(٢) تاريخ اليعقوبى : ٣/٨٦ ، الفخرى ص ١١٢ ، الجهشيارى : الوزراء والكُتّاب ص ٨٦

(٣) المسعودى : مروج الذهب : ٣/٢٦٩

(٤) مروج الذهب : ٣/٢٦٩ ، العيون والحدائق : ٣/١٩٧

(٥) الفخرى ص ١١٢ ، المقريزى : (مخطوطة) منتخب التذكرة ورقة (٩٥) .

أأنت وجهّت إليه أبا مسلم ؟ . هل تعرف أحداً منهم باسمه أو بصورته ؟ فكيف يكونون شيعتك وأنت لا تعرفهم وهم لا يعرفونك » ؟ فقال عبد الله [1] : « إنما يريد القوم ابني محمداً لأنه مهدى هذه الأمة » ، فقال الصادق : « والله ما هو مهدى هذه الأمة ولئن شهر سيفه ليقتلن » .

لم يقبل عبد الله بن الحسن مشورة الصادق ، فخرج غاضباً « وأرسل إلى جماعة بني أبيه وقال : بايعوا لابني محمد ، فإن هذا الكتاب من أبي سلمة إليّ » [2] .

ولما تأخر عبد الله بالإجابة على أبي سلمة ، رأى محمد بن عبد الرحمن ابن أسلم أن يعرض هذا الأمر على عمر - الأشرف - بن عليّ ، لأن موضوعه الذي جاء من أجله لا يحتمل الأناه أكثر من ذلك ، فقد أوصاه أبو سلمة من قبل بالعجل ، إلا أن عمر الأشرف لم يقبل ذلك فقد رد الكتاب ، واعتذر بأنه لا يعرف الراسل فيجيبه .

أما الدوافع التي جعلت الخلاّل يتصل بالعلويين بعد النجاح الملموس للدّعْوة ، فيختلف المؤرخين في تفسير هذه الدوافع عند الخلاّل فقال بعضهم [3] : « إن أبا سلمة لما قُتِل إبراهيم الإمام خاف انتقاض الأمر وفساده عليه » فيكون نهاية هذه الدعوة الفشل .

ويرى آخر [4] أن الخلاّل أراد أن يكون أمر الخلافة شورى بين بني هاشم من عباسيين وعلويين ، فيختاروا مَن أرادوا ، ولكنه قال : أخاف ألا يتفقوا فيما بينهم ، ففضل أن تكون الخلافة لولد عليّ .

---

(١) مروج الذهب : ٣/٢٦٩

(٢) تاريخ اليعقوبي : ٣/٨٦

(٣) المسعودي : مروج الذهب : ٣/٢٦٨

(٤) العيون والحدائق : ٣/١٩٦ ، عمدة الطالب ص ١٠١ - ١٠٢

إلا أننا نعتقد أنه خاف على مركزه أن يهتز ويتضاءل إن هو ترك الأمور تجرى على طبيعتها ، لأن فى الدولة مَن هم يشاطروه هذا النفوذ أمثال : سليمان بن كثير وأبو مسلم الخراسانى ، وقد عارض الخلاَّل إبراهيم الإمام فى تعيين أبى مسلم قائداً عاماً للجيش (سنة ١٢٩ هـ) فقد حقره واستصغره واستكبر عليه هذا المنصب الهام ، كما كان الخلاَّل يفكر - بعد نجاح الدعوة ، ودخول الجيش الخراسانى الكوفة - فى إسناد الأمر إلى شخصية علوية ، ينصبها خليفة ، ليحتفظ لنفسه بالنفوذ السياسى الكبير ، وبذلك يكون صاحب الفضل على هذا الخليفة الجديد ، فيستطيع بعد هذا أن يصفى خصومه السياسيين أمثال : أبى مسلم الخراسانى ، وأبو الجهم .... ثم نقول أيضاً : لعل الخلاَّل حفص بن سليمان ، كان ممن انخدع بشعار الدولة فظن خطأ أن الدولة ستكون علوية ، وهو يميل إلى العلويين [1] ومن أجلهم أنفق أمواله للدعوة « لآل البيت » ليحظى بالقدر الأكبر عند الخليفة العلوى الجديد . ويضاف إلى ما قلناه - أيضاً - أن المدعو له لم يكن معروفاً ، أو أنه لم يدر بخلده أن الخلافة مقصورة على العباسيين فقط ، بل الخليفة مَن يرتضيه الناس من آل محمد ﷺ وهو شعار الدعوة .

فى هذه الظروف سمع الشيعة العباسية ، أن العباسيين انتقلوا من الحميمة إلى الكوفة ، إلا أنهم لا يعرفون مكانهم ، فتوجهوا إلى أبى سلمة الخلاَّل ، وسألوه عن مقدم الإمام ، لكنه أجابهم بأن الإمام لم يقدم بعد ... وسنبيِّن ذلك فى الفصل القادم - إن شاء الله تعالى - بعد أن تولى العباسيون الخلافة ، وأخذوا يطهرونها من خصومهم أياً كانوا .

* * *

---

(١) عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول ص ٥٢ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ص ٥١٧

الفصل الثانى

العلويون وقيام الدولة العباسية

- إعلان الدولة العباسية .
- موقف العلويين من الخلافة العباسية .
- تأزم الموقف بين العباسيين والعلويين .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

إعلان الدولة العباسية

كانت الدعوة العباسية منذ البداية تأخذ الطابع السرى التام ، متخذة لهذه الدعوة شعاراً سرياً لتكسب من وراء ذلك الأنصار والمؤيدين والغاضبين على الدولة الأموية والعلويين ، وأن هذه الدعوة ما هى إلا لواحد من آل البيت ، غير أن الخليفة الأموى مروان بن محمد اكتشف أن صاحب الدعوة هو إبراهيم - الإمام - بن محمد ، حيث قبض رجال مروان على رسول إبراهيم وهو يحمل رسالة إلى أبى مسلم فى خراسان ، ولما جئ بالرسول إلى مروان نظر فى كتاب إبراهيم ، وقد كُتِبَ بخطه ، يأمر فيه أبا مسلم بالجد والاجتهاد والحيلة على عدوه وغير ذلك ، فاحتبس مروان رسول إبراهيم [1] .

وقيل [2] : إن إبراهيم الإمام لما حَجَّ فى سنة ١٣١ هـ تجمعت عليه الناس ، فوصل ذلك إلى علم الخليفة مروان بن محمد ، الذى عرف بعد ذلك أنه صاحب الدعوة فى خراسان . فكتب إلى الوليد بن معاوية بن عبد الملك وهو عامل دمشق يأمره أن يرسل مَن يأخذ إبراهيم من الحميمة ، فقبض على إبراهيم وهو جالس فى مسجد القرية ، ولما أحس بقرب نهايته ، نعى نفسه لأهل بيته ، وأوصى إلى أخيه أبى العباس بعده وأمر أهل بيته

---

(١) ابن حبيب : (مخطوطة) أسماء المغتالين من الأشراف ورقة (٦١) ، الطبرى : ٤٢٢/٧ ، ابن كثير : ٤٦/١٠ .

(٢) الأزدى : تاريخ الموصل ص ١٢٠ ، العيون والحدائق : ١٩٨/٣ ، المقدسى : البدء والتاريخ : ٦٥/٦

بالطاعة له والانقياد ، كما طلب منهم سرعة الرحيل إلى الكوفة ، خوفاً من غدر مروان بهم ، وكان ذلك فى المحرَّم سنة ١٣٢ هـ [١] .

جَدَّ أبو العباس فى الحال بالرحيل من الحميمة مصطحباً معه أهل بيته ومن بينهم أعمامه وأخوه أبو جعفر ، ولما وصلوا إلى قرب الكوفة (فى أول صفر سنة ١٣٢ هـ) أرسلوا إبراهيم بن سلمة لأبى سلمة الخلاَّل ، يخبرونه بوصولهم ، فقال الخلاَّل : « خاطروا بأنفسهم وعجلوا فليقيموا بقصر مقاتل [٢] حتى ننظر فى أمرنا » فرجع إليهم إبراهيم وأخبرهم ، ولكنهم خافوا على أنفسهم من ملاحقة الأمويين لهم ، فكتبوا له يستأذنوه فى الدخول إلى الكوفة ، ليكونوا فى مأمن « فأذن لهم على كُرْهٍ منه » [٣] وطلبوا منه مائة دينار للجمَّال الذى حملهم من الحميمة إلى الكوفة ولكنه اعتذر عن ذلك [٤] .

وهذا مما يدلنا على نواياه السيئة للعباسيين ، وأنه ما كان يفكر فى أن الدعوة التى أنفق أمواله وصرف عليها جهده من أجلها أنها ستكون عباسية ، فلم يَبْذُل كل ذلك إلا من أجل أن يحقق الخلافة للعلويين .

أنزل أبو سلمة العباسيين فى بنى أود ، فى دار الوليد بن سعد الجمَّال - مولى بنى هاشم - « وكتم أمرهم نحواً من شهرين عن جميع القُوَّاد

---

(١) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٩٣

(٢) « قصر مقاتل » : على مرحلتين من الكوفة .

(٣) الأزدى : تاريخ الموصل ص ١٢٠ ، العيون والحدائق : ١٩٨/٣ ، الجهشيارى : الوزراء والكتَّاب ص ٨٥

(٤) الطبرى : ٤٢٤/٧ ، تهذيب ابن عساكر : ٣٨١/٤ ، ابن الأثير : ٣٢٤/٤

والشيعة » [١] وإذا سُئل عن الإمام يقول : « لا تعجلوا » [٢] وأن الإمام « لم يفد بعد ، وليس هَذا وقت خروجه » [٣] ، وكان أبو سلمة الخلاّل قد أرسل إلى كبار العلويين بالمدينة المنوّرة - كما أسلفنا - بقبول منصب الخلافة ، واضعاً العباسيين بما يشبه الإقامة الجبرية ، مبيّناً لهم أن عمله هذا من مصالح الدعوة ، وكان بهذا العمل ينتظر جواب مَنْ كاتبهم من العلويين [٤] .

إلا أن الشيعة العباسية استطاعت أن تعرف مكان العباسيين ، حيث توجه إليهم كبار الشيعة والقُوّاد ، متوشحين بأسلحتهم ، يتقدمهم أبو الجهم بن عطية - من موالى باهلة - ولما دخلوا سألوا عن إمامهم - إبراهيم - فأخبروهم أن مروان بن محمد قبض عليه وقتله ، وأنه أوصى بالخلافة بعده إلى أبى العباس - السفاح - فعزّوه وبايعوه ، وسألوه عن سبب مقامهم هنا ، فأخبرهم أن أبا سلمة الخلاّل أنزلهم تلك الدار ، وكتم أمرهم نحواً من شهرين ، فخرج أبو الجهم تاركاً أصحابه وأمرهم أن لا يقبلوا من الخلاّل عُذراً ، وأن يقطعوا رأسه إذا وصل إليهم .

بعد أن سمع أبو سلمة الخلاّل أن كبار القُوّاد والشيعة قد توجهوا إلى أبى العباس وبايعوه ، اضطر هو الآخر إلى الإسراع إليهم ، فلما دخل استقبل القِبْلة فسجد ثم سلّم ، ثم بايع واعتذر [٥] .

---

(١) ابن حبيب : (مخطوطة) أسماء المغتالين من الأشراف ورقة (٦٣) ، مروج الذهب : ٣/ . ٢٧ ، الوزراء والكتّاب ص ٨٥ « وقيل : كتم أمرهم نحواً من أربعين ليلة » ، (الطبرى : ٤٢٣/٧) .

(٢) (المخطوطة) السابقة ورقة (٦٢) ، البدء والتاريخ - للمقدسى : ٦٨/٦

(٣) الطبرى : ٤٢٩/٧ ، العيون والحدائق : ١٩٨/٣

(٤) المقدسى : البدء والتاريخ : ٦٨/٦

(٥) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٨٧ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص١٢١ ، المسعودى : مروج الذهب : ٢٧/٣

فقال له أبو العباس : « عذرناك يا أبا سلمة ، غير مفنَّد ، وحقك لدينا معظَّم ، وسابقتك فى دولتنا مشكورة ، وزلَّتك مغفورة »[١] .

« وكانت مدة تقليد أبى سلمة الأمور - منفرداً بها إلى أن بويع لأبى العباس بالخلافة - شهرين ونصف »[٢] .

وفى صباح الجمعة التالى - لمبايعة كبار القُوَّاد والشيعة السفاح - فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ[٣] - حضر إلى أبى العباس كبار القُوَّاد والشيعة العباسية ، وقد لبسوا السلاح ، واصطفوا لخروجه من منزله الذى اختفى فيه ، فركب هو وأسرته الدواب ، وتوجهوا إلى الإمارة ، ثم خرجوا إلى مسجد الكوفة ، وصعد أبو العباس المنبر ، فخطب الناس خطبة الجمعة وصلَّى بهم ، ولما فرغت الصلاة ، صعد أبو العباس ثانية إلى أعلا المنبر ، ومن دونه عمه داود بن عليّ ، فخطب - أبو العباس - على المنبر قائماً « فضج الناس وقالوا : أحييتَ السُنَّة يابن عم رسول الله ﷺ ، وكانت بنو أمية تخطب قعوداً »[٤] .

وكان مما قال فى هذه الخطبة[٥] :

---

(١) الوزراء والكتَّاب ص ٨٧ ، تاريخ الموصل ص ١٢٣ ، المقدسى : البدء والتاريخ : ٦٩/٦

(٢) الوزراء والكتَّاب ص ٨٧

(٣) المقدسى : البدء والتاريخ : ٨٨/٦ ، ابن الأثير : ٣٢٤/٤ ، أبو الفداء : المختصر فى أخبار البَشر : ١٣١/١ ، الكتبى : (مخطوطة) عيون التواريخ ورقة (٢) ، وعند محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) فى كتابه المحبر ص ٣٣ أنه : ١٣ ربيع الآخر .

(٤) مروج الذهب : ٢٦٦/٣ ، الكتبى : فوات الوفيات : ٢١٥/٢

(٥) الطبرى : ٤٢٥/٧

« الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تكرمة ، وشرّفه وعظّمه ، واختاره لنا وأيدّه بنا ، وجعلنا أهله ، وكهفه ، وحصنه ... وألزمنا كلمة التقوى ، وجعلنا أحق بها وأهلها ، وخصّنا برحم رسول الله ﷺ وقرابته ... ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع ، وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتاباً يُتلى عليهم فقال عزّ من قائل : ﴿ إنّما يُريدُ اللّهُ ليُذْهبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً ﴾ [1] ، وقال : ﴿ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاَّ المَودَّةَ فِي القُرْبَى ﴾ [2] .

وزعمت السبيئة الضُلاّل ، أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا ، ..... بِمَ ولِمَ أيها الناس ؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم ، وبَصّرهم بعد جهالتهم ... وأظهر بنا الحق ، وأدحض بنا الباطل .. يا أهل الكوفة ، أنتم محل محبتنا ، ومنزل مودتنا ، أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ، ولم يثنكم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم ، حتى أدركتم زماننا ، وأتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا ، وأكرمهم علينا ، وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم ، فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المبير » .

وكان متوعكاً فاشتد به الوعك فجلس على المنبر ، فقام عمه داود بن عليّ ، فخطب ، ومما قال فيها [3] : « ... أيها الناس ، إنّا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكثر لجيناً ولا عقياناً ، ولا نحفر نهراً . ولا نبني قصراً ، وإنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم حقنا ، والغضب لبني عمنا - يقصد العلويين - وما كرثنا من أموركم ، وبهظنا من شؤونكم ، ولقد كانت

---

(١) الأحزاب : ٣٣

(٢) الشورى : ٢٣

(٣) الطبري : ٤٢٧/٧

أموركم تُرْمِضُنا ونحن على فرشنا ويشتد علينا سوء سيرة بنى أمية فيكم ... » .

ثم قال : « لكم ذمة الله تبارك وتعالى ، وذمة رسول الله ﷺ ، وذمة العباس - رحمه الله - أن نحكم فيكم بما أنزل الله ، ونعمل فيكم بكتاب الله ، ونسير فى العامة منكم والخاصة بسيرة رسول الله ﷺ ... » .

ولما فرغ أبو العباس وعمه داود من خطبتيهما غادر المسجد مع كبار شيعتهم ، وبقى بعدهم أبو جعفر - المنصور - بالمسجد ليأخذ البيعة لأخيه ، وما زال يأخذ البيعة حتى صلّى بالناس صلاة المغرب .

لقد تضمن خطاب السفاح وعمه داود ذكر أحقيتهم بالخلافة ، فهم أهل البيت ومن نسل العباس عم النبى ﷺ والوارث له ، فهم أولى الناس به .

ودلّلا على ذلك بآى من القرآن الكريم ، كما ندّدا بالحكم الأموى ، أهل المفاسد والمظالم ، المدّعين لأنفسهم حق الخلافة .

وأنه ليس للعباسيين مطامع فى خروجهم هذا ، إلا أنه حق من حقوقهم المشروعة ، والتى سلبها الأمويون منهم ، وأن هدفهم الأخذ بثأر أبناء عمومتهم العلويين ، والذين قاسوا فى حكم الأمويين أبشع القتل والتعذيب ... كما تألم العباسيون لما أصاب الناس من الأمويين من ظلم وعدوان ، فقد استذلوا العامة ، وحرموهم أعطياتهم ، ولذلك زادهم - السفاح - فى أعطياتهم مائة درهم .

وأقسم داود بالله ، وعاهدهم بتطبيق الشريعة الإسلامية على الأمة ، ليُحِق بذلك الحق ، ويُبطل الباطل ، وأنهم سوف يسيرون بالناس سيرة الرسول ﷺ .

ثم قال داود بن علىّ : « يا أهل الكوفة ؛ إنَّا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا ، حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان » .. يظهر لنا أنه يقصد بذلك محاولة الخلاَّل فى نقل الخلافة إلى العلويين ، وأنه لولا مناصرة شيعتهم الخراسانيين لهم ، لذهب حقهم ، فهم الذين كشفوا محاولة الخلاَّل وأبطلوها ، بعد أن كاد الأمر يفلت من أيديهم .. كما تناسى داود ابن علىٍّ خلافة الشيخين وعثمان - رضى الله عنهم - فقد ذهب مذهب الراوندية وهم شيعة العباسيين من أهل خراسان ، وقصد أيضاً إرضاء أغلب الشيعة العلوية والتى لا تقر بخلافة الشيخين وعثمان ، يقول المسعودى وابن خلدون [1] : « ولبنى العباس أيضاً شيعة يسمون الراوندية من أهل خراسان يزعمون أن أحق الناس بالإمامة بعد النبى ﷺ هو العباس لأنه وارثه وعاصبه لقوله تعالى : ﴿ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [2] ، وأن الناس منعوه من ذلك وظلموه إلى أن رده الله إلى وَلده ، ويذهبون إلى البراءة من الشيخين وعثمان ويجيزون بيعة علىٍّ لأن العباس قال له : يابن أخى ؛ هلم أبايعك فلا يختلف عليك اثنان » .

ولذلك قال داود بن علىّ فى خطبته : « ألا وإنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله ﷺ إلا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب ، وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد - وأشار بيده إلى أبى العباس - » .

وفى ختام خطبته أثبت أن هذا الأمر - يقصد الخلافة - فيهم وليس بخارج عنهم حتى يسلموه إلى عيس ابن مريم ، أراد بذلك أن يردع النفوس التواقة إلى الثورة ، والتى تطمح إلى تحويل هذا الأمر إلى العلويين أو غيرهم ...

---

(١) مروج الذهب : ٣/٢٥٢ ، تاريخ ابن خلدون : ٣/١٧٣

(٢) الأنفال : ٧٥

ولما بويع السفاح بالخلافة قرّب أبا سلمة الخلاّل له حيث جعله وزيراً له ، وأصبح من خاصته ، فعل ذلك مع أبى سلمة لأن له شعبية فى خراسان ، وأن الجماهير هناك تؤمن به ، وتلتف حوله ، وتستجيب لتوجيهاته ، لذلك قرّبه منه ليضمن ولاء الخراسانيين ، وهم عصب الدولة وأركانها ...

غير أن السفاح ارتاب فى أبى سلمة وخاف منه ، وهو الذى أراد صرف الدولة إلى العلويين ، فدبّر الأمر لقتله والتخلص منه ، فكتب إلى أبى مسلم الخراسانى يُعلمه ما هَمَّ به الخلاّل من الغش والغدر ، وليطلع على رأيه فيه ، فأجابه أبو مسلم : « إن كان أمير المؤمنين قد اطلع على ذلك فليقتله » [١] .

لكن داود بن علىّ - عم السفاح - نصحه أن يقدم على قتله ، خوفاً من انتقاض أبو مسلم والخراسانيين وهم عصب الدولة وقوّتها ، وأمره أن يكتب إلى أبى مسلم الخراسانى ليرسل مَن يقتله ، فكتب إليه : « أن وَجّه أنت مَن يقتله ، فقد وهبتُ جُرمه لك » فأرسل أبو مسلم « مرار بن أنس الضَّبى » وقال له : انطلق إلى الكوفة واقتل أبا سلمة حيث لقيته ، فقدم مرار الكوفة ، واتصل بالخليفة ، وأخبره سبب قدومه ، ودبّر الخطة معه لقتل الخلاّل ، وكان أبو سلمة يسمر ليله عند أبى العباس فجلس له مرار بن أنس فى طريقه فى ظُلمة فقتله ، وفى الصباح أشيع بين الناس أن الخوارج قتلوا أبا سلمة [٢] وكان ذلك فى رجب سنة ١٣٢ هـ وبعد خلافة السفاح

---

(١) (مخطوطة) : أسماء المغتالين من الاشراف ورقة (٦٣) ، الطبرى : ٤٤٩/٧ ، العيون والحدائق : ٢١٢/٣ ، ابن كثير : ٣٣٦/٤

(٢) تاريخ اليعقوبى : ٨٩/٣ ، ابن قتيبة : الإمامة والسياسة : ١٤٥/٢ ، الطبرى : ٣/ ٤٥٠ ، ابن كثير : ٦٣/١٠ ، نوادر المخطوطات (تحقيق عبد السلام هارون) : ١٨٨/٢

بأربعة أشهر [1] ، أما موقف العلويين من قتل أبى سلمة ، فلم تذكر المصادر التاريخية التى أمكننى الاطلاع عليها عن موقفهم تجاه ذلك الحدَث الكبير شيئاً .

ويمكن أن نقول : لا بد أن يكون موقفهم سلبياً ، وذلك لأن قيام الدولة وإفلات زمام الخلافة منهم ، وما عانوه من مرارة وآلام بالإضافة إلى اهتمامهم الكبير باختفاء محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم عن الأنظار بعد قيام الدولة العباسية ، والسؤال المتكرر من أبى العباس عنهما ... كل ذلك جعل العلويين ينسون أو يتناسون مقتله . ثم نقول أيضاً : وماذا يفيدهم إذا وقفوا تجاه السفاح موقفاً عدائياً ؟

لا شك أنهم لا يستطيعون أى عمل تجاه فقدهم لزعيم شيعى متحمس لقضيتهم يرى أن الخلافة من حقوقهم المشروعة ، وقد ذهب ضحية حماسه هذا .

* * *

---

(١) تهذيب ابن عساكر : ٣٨٢/٤ ، وفيات الأعيان : ١٩٦/٢ ، المقريزى : (مخطوطة) منتخب التذكرة ورقة (٩٦)

• موقف العلويين من الخلافة العباسية :

لما وصل العباسيون إلى الخلافة ، أثبتوا أن حقهم فى الخلافة نابع من قرابتهم للرسول ﷺ ، فادَّعوا أن العباس هو وارث الرسول ﷺ فحقهم فى الخلافة مشروع جاءهم بالميراث وبحق العصبة والعمومة [1] . وأنكروا أن للعلويين أى حق فى الخلافة ، وتناسوا تنازل أبى هاشم لهم عن حقه فى الإمامة ، مع ملاحظة أن هذا التنازل لم يكن من كل العلويين ، ساعدهم على ذلك أن بعضاً من الشيعة العلوية انخرطوا فى الدعوة العباسية ظناً منهم أن الدعوة علوية ، وبعد أن تحققت الدولة للعباسيين دخلوا فيها رهبة أو رغبة فى العز والسلطان .

كما وقف العباسيون على رسالة محمد النفس الزكية إلى يزيد بن هبيرة - والى العراق لمروان بن محمد - رداً على رسالته التى بعثها له يزيد ، والتى كانت هذه الرسالة سبباً فى قتل يزيد ، رغم إعطائه الأمان . قال محمد النفس الزكية فى رده على يزيد : « لا تعجل بالخروج وماطلهم حتى يستتب أمرنا ، فقد ذكرتَ أن قبلك من فرسان العرب ثلاثين ألفاً ، فدافع القوم بتأكيد الأمان » [2] فعلم العباسيون إلى أن العلويين لن يركنوا لهم أو يسالموهم .

وعلى هذا حاول العباسيون أن يتجنبوا الصراع مع العلويين ، وأن يخطبوا ودهم ، فذكروا فى كل مناسبة أن عملهم هذا - بجانب أحقيتهم

---

(١) رسائل الجاحظ للسندوبى ص ٧٧

(٢) محمد بن حبيب : (مخطوطة) أسماء المغتالين من الاشراف ورقة (٦٥) ، وانظر : نوادر المخطوطات ، تحقيق : عبد السلام هارون : ٢/ ١٩٠.

للخلافة - إنما هو للأخذ بثأر أبناء عمهم العلويين ، لما نالهم من القتل والتشريد من قِبَلِ الحكم الأموى ...

ولم تكن هذه المسالمة من جانب العباسيين للعلويين فى بادئ الأمر إلا لإعطاء الدولة الجديدة الفرصة لتثبيت نفسها . فلم يكن هَمُّ الخليفة الجديد - السفاح - إلا تعقب الأمراء الأمويين فى كل مكان .

ويظهر لى أن العمل الذى عمله العباسيون فى الأمويين ، لم يكن كل هذا من أجل ثأر لإبراهيم الإمام ، أو لأحد من العلويين ، كما تظاهروا بذلك فى كل وقت ، ولكنه يخدم قضيتين فى آن واحد هما : الرغبة ، والرهبة للعلويين .

أما جانب الرغبة .. فهو الميل إلى تعاون العلويين معهم ، والتقرب لهم ، ليتفادوا من وراء ذلك شرهم ، لأن العباسيين قد أخذوا بثأر العلويين فيركنوا إلى الدعة ، والمسالمة ، وعدم الثورة .

وأما جانب الرهبة .. فحتى يُشْعِرُوا العلويين أنهم متى قاموا فى وجه العباسيين فإنهم سيلاقون نفس المصير والمآل ، الذى آل إليه الأمراء من بنى أمية ، وأن العباسيين - لا يعرفون الرحمة والرأفة بكل مَن تُسوِّل له نفسه بالخروج على الخلافة ، ولهذا قضوا على الحزب المعادى لهم - الأمويين - لأنهم قد استأثروا بالخلافة ، دون أصحابها الشرعيين بنى العباس .

قال السفاح فى آخر أول خطبة له فى الكوفة : « فأنا السفاح المبيح » لقد حقق كلمته هذه بالفعل حيث طارد الكثير من الأمويين فى الشام والعراق والحجاز وقتلهم ، ولم يكتف بذلك بل عمد إلى الأموات مع الأحياء ، ولم يسلم من ذلك إلا جثة عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - [١] . (هكذا ذكر بعض المؤرخين) .

---

(١) المسعودى : مروج الذهب : ٢١٩/٣ ، المقريزى : النزاع والتخاصم ص ٥٤

إن هذا العمل لا تجيزه الشريعة الإسلامية ، وهم الذين ذكروا فى كل مناسبة أنهم سيطبقون القرآن والسُنّة ، وما كان فعلهم هذا إلا خروجاً عن تعاليم القرآن الكريم ، والسُنّة المحمدية .

لقد أعلن أبو العباس فى خطبته فى الكوفة ، أن الخلافة عباسية ، وستبقى عباسية ، وأنه ليس لأحد أى حق فيها ، قاصداً بذلك العلويين ، كما أكد هذه المفاهيم عمه داود بن علىّ فى خطبته فى الكوفة ، والتى تلت خطبة أبى العباس ، حيث أكد هو الآخر أن الخلافة عباسية ، وستبقى إلى خروج عيسى ابن مريم ، حيث يسلمونها إليه . أما خطبته - داود - فى مكة [٢] فكانت تميل إلى اللين والمرونة حيث يقول فيها : « ... واللَه لقد كنا نتوجع لكم ونحن فى فُرشنا ، أمن الأسود والأحمر ، لكم ذمة اللَّه ، لكم ذمة رسول اللَّه ﷺ ، لكم ذمة العباس ، لا ورَبِّ هذه البِنيَة - وأشار بيده إلى الكعبة - لا نهيج منكم أحداً » .

ثم تلا داود بن علىّ بعد هذه الخطبة ، مولى بنى هاشم « سديف بن ميمون » ، والذى كرر الادعاء العباسى بأحقيتهم بالخلافة ذاكراً الحُجَج والبراهين على ذلك قال : « ... لم يُرَ مثل العباس بن عبد المطلب اجتمعت له الأمة بواجب حق الحرمة ، أبو رسول اللَّه بعد أبيه ... ، لا يرد له أمراً ، ولا يعصى له قسماً ، إنه واللَّه - معشر قريش - ما اخترتم لأنفسكم من حيث اختار اللَّه لكم طرفة عين قَط » [٢] .

كان جعفر بن محمد الصادق ، وعبد اللَّه بن الحسن من أبرز الشخصيات العلوية عند قيام الدولة العباسية ، أما جعفر بن محمد فلم يكن يطلب

---

(١) المبرد : الكامل فى اللغة والأدب : ٢/ ٣٨ .

(٢) الوثائق السياسية والإدارية - العصر العباسى الأول ص ٨٨ (باختصار) .

الخلافة ، أو يسعى إليها [١] ولذلك فاز بأعلى درجات الإكرام عند الخليفتين : السفاح ، والمنصور والذى لقبه الصادق [٢] .

أما عبد اللّه بن الحسن بن الحسن ، فقد كان يطلب الخلافة لابنه محمد النفس الزكية مروجاً للعامة أنه مهدى هذه الأمة والذى بُشِّرَ به [٣] .

ويبدو لنا أن علاقة العباسيين بالعلويين أثناء الدعوة العباسية حسنة جداً ، ولذلك لبَّى العباسيون حضور مؤتمر الأبواء (سنة ١٢٧ هـ) والذى دَعَى إليه كبير العلويين فى الحجاز ، عبد اللّه بن الحسن ، كما أن إبراهيم - الإمام - ابن محمد العباسى كان يقسم الأموال على العلويين عند زيارته للمدينة المنوَّرة ، حيث أعطى مرة عبد اللّه بن الحسن خمسمائة دينار ، وطلب منه أن يزيده فزاده ، وأعطى إبراهيم بن الحسن خمسمائة دينار ، ومحمد بن عمر خمسمائة دينار ، وجعفر بن محمد ألف دينار ، وبعث إلى جماعة من العلويين بمال [٤] .

وبعد قيام الدولة العباسية ، وصل من الحجاز وفد علوى برئاسة عبد اللّه ابن الحسن ، إلى العراق ، حيث قدَّموا البيعة للسفاح ، فاستقبلهم أحسن استقبال ، وأكرمهم ، وخَصَّ منهم عبد اللّه بن الحسن ، فقد آثره وبرَّه وزاد فى أعطياته .

يقول صاحب كتاب العقد الفريد [٥] : « لما ولى الخلافة أبو العباس السفاح ، قدم عليه بنو الحسن بن علىّ بن أبى طالب ، فأعطاهم الأموال

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل : ٢/٢

(٢) محمد جواد : الشيعة والحاكمون ص ١٤٣

(٣) النوبختى : فرق الشيعة ص٨٢ ، مروج الذهب : ٢٦٩/٣ ، الفخرى ص١٢١

(٤) الأزدى : تاريخ الموصل ص ١٢٢

(٥) ابن عبد ربه : ٧٤/٥

وقطع لهم القطائع ، ثم قال لعبد الله بن الحسن : احتكم عليَّ ، قال : يا أمير المؤمنين ، بألف ألف درهم ، فإنى لم أرها قَط ... ثم إن العباس أُتِيَ بجوهر مروان فجعل يقلبه ، وعبد الله بن الحسن عنده ، فبكى عبد الله . فقال له : ما يبكيك يا أبا محمد ؟ قال : هذا عند بنات مروان وما رأت بنات عمك مثله قَط ، فأعطاه إياه ، وكان يُقدَّر بثمانين ألف دينار » .

وبعد أن أكرمهم السفاح وخَصَّ عبد الله بن الحسن ، سأل عبد الله عن عدم إقدام ولديه محمد وإبراهيم معهم ليبايعا ، فقال والد النفس الزكية : « ما كان تخلفهما لشئ يكرهه أمير المؤمنين » فسكت أبو العباس وكرر ذلك السؤال عند كل ليلة يسمر عنده بنى الحسن ، حتى قال له عمهما حسن : « يا أمير المؤمنين ؛ أُكلِّمك على هيبة الخلافة أو كما يُكلِّم الرجل ابن عمه » ؟ فقال له السفاح : « بل كما يُكلِّم الرجل ابن عمه ، فإنك وأخاك عبد الله بكل منزلة » قال حسن : « يا أمير المؤمنين ؛ إن قدَّر الله لمحمد وإبراهيم أن يليا من هذا الأمر شيئاً فجهدت وجهد أهل الأرض معك أن يردوا ما قُدِّر لهما أتردونه ؟ قال : لا ، قال حسن : فأنشدك الله إن كان لم يُقَدَّر لهما أن يليا من هذا الأمر شيئاً ، فاجتمعا واجتمع أهل الأرض معهما على أن ينالا ما لم يُقَدَّر لهما . أينالانه ؟ قال : لا .

فقال : « يا أمير المؤمنين ؛ ففيم تنغيصك على هذا الشيخ نعمتك التى أوليته وإيانا معه ؟ فقال : فلستُ بعارض لذكرهما بعد هذا اليوم » [1] .

ولما بنى السفاح قصره فى مدينة الأنبار دعى عبد الله بن الحسن إلى رؤية هذا البناء ، وبينما هو يدور به ، ومعهما أبو جعفر المنصور ، قال أبو العباس لعبد الله : هات ما عندك يا أبا محمد ، فأنشد :

---

(١) تاريخ اليعقوبى : ٩٦/٣ ، ٩٧ ، الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ص ١٧٤ ، ابن الخطيب : تاريخ بغداد : ٢٩٤/٧

ألــمْ تَــرَ مالكاً لما تَبَنّى		بناءً نفعُـــه لِبَنِــى بُقَيْلَهْ
يؤمِّــلُ أنْ يعمرَ عمر نوحٍ		وأمــرُ اللّه يحدثُ كلَّ لَيلَهْ

فتغيَّر وجه أبو العباس ، فقال أبو جعفر : « أتراهما ابنيك أبا محمد ، والأمر صائر إليهما لا محالة » !! قال : « لا واللّه ما ذهبتُ هذا المذهب ، ولا أردته ، ولا كانت إلا كلمة جرت على لسانى ، لم ألق لها بالاً » [1] .

وكان فى أثناء وجود عبد اللّه بن الحسن عند الخليفة السفاح تصل الأخبار أن محمداً يدعو لنفسه فيُذكر ذلك لعبد اللّه بن الحسن ، فيقول : « يا أمير المؤمنين : إنَّا نحميها بكل قذاة يخل ناظراك منها » فيقول أبو العباس : « بك أثق ، وعلى اللّه أتوكل » [2] .

ولما أراد بنو الحسن العودة إلى المدينة المنوَّرة ، أكرم أبو العباس عبد اللّه ابن الحسن وزاده فى الإكرام ، كما أعطاه الأموال ليقسمها على العلويين فى المدينة ، وأرسل معهم رجلاً من ثقاته ، وقال له : « قم بإنزالهم ولا تأن فى إلطافهم وكل ما خلوت معهم أظهر الميل إليهم ، والتحامل علينا ، وعلى ناحيتنا ، وأنهم أحق بالأمر منا ، واحص لى ما يقولون ، وما يكون منهم فى مسيرهم ومقدمهم » .

ولما وصل عبد اللّه بن الحسن المدينة « اجتمع إليه العلوين ، فجعل يُفرِّق فيهم الأموال التى بعث بها أبو العباس لهم ، فعظم بها سرورهم فقال لهم عبد اللّه بن الحسن : أفرحتم ؟ قالوا : وما لنا لا نفرح بما كان محجوباً عنا

---

(١) الجاحظ : التاج فى أخلاق الملوك ص ٨١ - ٨٢ ، العقد الفريد : ٧٥/٥ ، القيرواني : زهر الأداب وثمر الألباب : ٨٢/١

(٢) تاريخ اليعقوبى : ٩٧/٣

بأيدى بنى مروان حتى أتى الله بقرابتنا وبنى عمنا فأصاروه إلينا ، قال لهم : أفرضيتم أن تنالوا هذا من تحت أيدى قوم آخرون » ؟ [1] .

وكان الرجل الذى من قِبَلِ السفاح حاضر يسمع ، فلما خرج من المدينة ووصل إلى أبى العباس السفاح ، أخبره بما جرى ، فأخبر أبو العباس أبا جعفر بذلك ، فزادت الأمور تعقيداً وشراً ، وعرفوا أن عدم بيعة محمد وإبراهيم واختفائهما أنهما قد قصدا بالعباسيين شراً ، وأن هذه الأموال التى أغدقها السفاح على بنى الحسن والإكرام الذى نالوه لم تجد معهم نفعاً ، إلا أن هذه العلاقة - وهى علاقة الهدوء والمسالمة بين السفاح والعلويين - دامت مدة خلافته (١٣٢ - ١٣٦ هـ) .

كما أن عبد الله بن الحسن كان صادقاً باراً بوعده للسفاح ، وفى إعطائه العهود والمواثيق ، حيث قاله له : « يا أمير المؤمنين ؛ لك عهد الله وميثاقه ، ألاّ ترى منهما شيئاً تكرهه ما كانا فى الدنيا » [2] .

* * *

(١) أنساب الأشراف : ٣/ ٤٥ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٥/ ٧٤ ، ٧٥

(٢) أبو الفرج الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ص ١٧٧

• تأزم الموقف بين العباسيين والعلويين :

لم تدم المهادنة والتودد طويلاً للعلويين ، فبعد وصول أبى جعفر المنصور إلى الخلافة (سنة ١٣٦ هـ) بدأ وجه جديد لتلك العلاقة ، فأخذ يُصرِّح بين الحين والآخر أنه سيضرب بيد من حديد ، على كل مَن تُسوِّل له نفسه بالخروج على الدولة . وأن عهد الوفاق قد ولّى بوفاة أخيه أبى العباس الذى كان يجامل العلويين ، ويهب لهم الأموال والقطائع ، كما كان يخص عبد الله بن الحسن والد النفس الزكية من بينهم بكثير من النِعَم ، ويسميه « عماً ووالداً »[1] بالرغم من اختفاء ولديه .

أحسَّ الخليفة أبو جعفر أن المعارضة العلوية أصبحت خصماً عنيداً فى وجه الدولة ، كما كانت وكراً يلجأ إليها الغاضبون على الدولة والخارجون ، والذين يعتبرون أملهم المنشود فى التخلص من الدولة العباسية ، التى لم تحقق لهم آمالهم وتطلعاتهم ، فنقلوا ولاءهم ومساندتهم إلى العلويين ، وأشاعوا فى المدن والأقاليم أن محمداً النفس الزكية « هو المهدى المنتظر الذى بُشِّرَ به »[2] .

ولما حَجَّ المنصور - سنة ١٣٦ هـ - عيَّن زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثى ، والياً على المدينة المنوَّرة ، بعد أن ضمن له إحضار محمد وأخيه إبراهيم ، قائلاً له : « يا أمير المؤمنين ؛ ما يهمك من أمرهما .. أنا آتيك بهما »[3] .

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ١٧٣

(٢) عبد القاهر البغدادى : الفَرق بين الفِرق ص ٥٧ ، محمد بن علىّ بن طباطبا : الفخرى ص ١٢١

(٣) الطبرى : ٥١٨/٧ ، ابن الأثير : ٣٧/٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ٣٥٢/١

این صفحه در اصل کتاب ناقص است

این صفحه در اصل کتاب ناقص است

وكلهم يقول : « يا أمير المؤمنين ؛ قد علم أنك تطلبه ، فهو يخافك على نفسه ، وهو لا يريد لك خلافاً » إلا أن أحد الحاضرين وهو « الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبى طالب » قال له : « واللّه ما آمن وثوبه عليك يا أمير المؤمنين ، فإنه لا ينام عنك » [1] . فوقع الخوف فى قلب الخليفة ، وزادت همومه . وساورته الشكوك ، فرأى أنه لا بد من اتخاذ سياسة حازمة إزاء موقف زعيم العلويين .

فبادر بعزل زياد بن عبيد اللّه عن المدينة المنوَّرة ، لأنه وصل إلى علم الخليفة أنه تساهل فى أمر محمد النفس الزكية ، والذى خاف أن يقتله المنصور إن هو قبض عليه ، وسلَّمه إياه ، فيتحمل بذلك دمه ، وقيل : إن زياداً رأى محمداً فى يوم فنصحه قائلاً : « يابن أخي ، اذهب حيث شئتَ من البلاد ، ولا تبق هنا ، فيكون بقاؤك وبالاً علىّ وعليك » [2] . فذهب محمد يجوب البلاد طولاً وعرضاً قضاها بين اليمن ، وبلاد السند ، وفارس ، والكوفة ، حتى استقر بعد ذلك بالحجاز [3] .

وولى الخليفة المدينة المنوَّرة - بعد زياد - محمد بن خالد بن عبد اللّه القسرى فى رجب سنة ١٤١ هـ [4] وأمره بالجد والمثابرة ، بالبحث عن رئيس الدعوة العلوية ، وأعطاه جميع الصلاحيات ، كما أعطاه الأموال العظيمة مع ما فى بيت مال المدينة ، وهى سبعين ألف دينار ، وألف ألف درهم ، لينفقها فى سبيل الحصول عليه ، وأمره أن يبث العيون والجواسيس

---

(١) الطبرى : ٥٢٢/٧ ، مقاتل الطالبيين ص . ٢١ ، ابن الأثير : ٤/ ٣٧ .

(٢) العيون والحدائق : ٢٣٤/٣ ، الجرمردى : أبو جعفر المنصور ص ١٨٣

(٣) الطبرى : ٥٢٢/٧ ، النويرى : (مخطوطة) أخبار من نهض فى طلب الخلافة من الطالبيين ورقة (٣) .

(٤) ابن الأثير : ٣٧٢/٤ ، ابن كثير : ١٠/ ٩٠ .

فى كل مكان فى المدينة وقراها ، وعلى رؤوس الجبال ، فقام الوالى الجديد بإرسال الجنود لتفتيش بيوت المدينة ، وبيوت الأعراب الذين يقطنون خارجها ، ولا سيما بيوتات قبيلتي : جهينة ، ومزينة ، اللذين عرفا عنهما الولاء التام لمحمد النفس الزكية [١] والمعارضة للنظام العباسى ، وسيطرتهم على الحجاز ، الذى لم يطرأ عليه تغيير فى وضعه السياسى ، فقد صار الحجاز فى العهد العباسى كما كان فى العهد الأموى ، ولاية فى دولة بنى أمية ، يفر إليها الغاضبون والمعتزلون للسياسة ، بدل أن يكون عاصمة الدولة الإسلامية ، كما كان فى عهد النبى ﷺ والخلفاء الراشدين .

كتب أبو جعفر إلى ابن القسرى يأمره بكشف المدينة وأعراضها ... « فأمر القسرى أهل المدينة ، فلزموا بيوتهم سبعة أيام ، وطافت رسله والجند بيوت الناس يكشفونها لا يحسون شيئاً ، وقد كتب ابن القسرى لأعوانه صكاكاً يتعززون بها لئلا يعرض لهم أحد » [٢] .

ولم يكتف ابن القسرى بإرسال الجنود والإساءات إلى أهل المدينة المنوّرة والاعراب فيمن يشك فى عدم ولائه للعباسيين ، وتأييده لمحمد النفس الزكية ، بل عمد إلى إرسال العيون والجواسيس ، فأعطى الرجل منهم البعير والبعيرين ، ووهب لهم الأموال وفرّقهم فى طلب محمد ، فتداخلوا مع الأعراب ، مدّعين أنهم تجار ، متظاهرين بالولاء للعلويين ، كما كان أبو جعفر كثيراً ما يرسل الجواسيس من قِبَله أيضاً ويُحمّلهم الأموال والهدايا ، ويطلب منهم أن يتصلوا بعبد الله بن الحسن ، مدّعين أنهم من قِبَل شيعتهم فى خراسان ، ويحملون لابنيه الكتب والأموال والهدايا ،

---

(١) النويرى : (مخطوطة) أخبار مَن نهض فى طلب الخلافة من الطالبيين ورقة (٢) .

(٢) الطبرى : ٧/ ٥٣١

مدَّعين أن شيعتهم طلبت منهم أن يسلموا هذه الهدايا بأيدى محمد وإبراهيم أنفسهم [(١)] ، وبذلك أصبح الحجاز مسرحاً لجواسيس الخليفة العباسى وأعوانه .

ولما استبطأ أبو جعفر ابن القسرى ، ولكثرة ما أنفق من الأموال ، دون جدوى فى إخراج « الثعلب من جُحره » رأى أن يعزله عن المدينة ، ويوليها بدلاً منه مَن يثق بقدرته ، وصلابته على هذا الأمر الهام ، فاستقر رأيه على فتى مغمور من قيس وضيع النسب ، فتَّاكاً هو « رياح بن عثمان بن حيَّان المُرِّى » فاستدعاه وأعطاه كتاب الإمارة ، وأمره أن يرحل من ليلته ، وأوصاه بالجد والحزم فى طلب محمد بن عبد الله بن الحسن ، وإبراهيم ، فخرج مسرعاً ووصل إلى المدينة يوم الجمعة فى ٢٣ رمضان سنة ١٤٤ هـ [(٢)] .

وقبض على ابن القسرى ، فجلده وسجنه ، ثم صعد المنبر ، وخطب أهل المدينة خطبة قال فيها : « يا أهل المدينة ، أنا الأفعى ابن عثمان بن حيان ، وابن عم مسلم بن عقبة المبيد خضراءكم المفنى رجالكم ، والله لأدعها بلقعاً لا ينبح فيها كلب » [(٣)] .

كما جهر بسب محمد وإبراهيم ، وشتم أهل المدينة ، واصفاً إياهم بالفسق والفجور ، فقاموا عليه وسبُّوه ، وتوعَّدوه ، وقالوا له : « والله يا ابن المجلود حَدَّين لتكفَّنَّ أو لنكفنك عن أنفسنا » [(٤)] .

---

(١) العيون والحدائق : ٢٣٤/٣ ، ابن الأثير : ٣٧٠/٤ ، ٣٧١

(٢) الطبرى : ٥٣٢/٧ ، ابن الأثير : ٣٧٣/٤

(٣) تاريخ اليعقوبى : ١١٠/٣

(٤) تاريخ اليعقوبى : ١١٠/٣

فقال : ألصق الله بوجوهكم الذل والهوان ، والله لأكتبن إلى خليفتكم فلأعلمنه غشكم وقِلّة نصحكم .

فقال الناس : لا نسمع منك يا ابن المحدود ، وبادروه يرمونه بالحصى إلى أن دخل منزله ، وأغلق عليه الباب [1] .

أرسل إلى أبى جعفر يذكر له سوء معاملة أهل المدينة ، وعدم طاعتهم له . فأرسل الخليفة رسولاً ومعه كتاب إلى أهل المدينة يتوعَّدهم فيه ويتهدد ، وأمر رياحاً أن يقرأه على المنبر أمام الناس ، فكان مما قال فيه : « يا أهل المدينة ؛ إن واليكم كتب إلىّ يذكر غشكم وخلافكم ، وسوء رأيكم ، واستحالتكم على بيعة أمير المؤمنين ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن لم تنزعوا ليبدلنكم بعد أمنكم خوفاً ، وليقطعن البر والبحر عنكم ، وليبعثن عليكم رجالاً غلاظ الأكباد بعاد الأرحام ، يثوون فى قعر بيوتكم يفعلون ما يؤمرون ، والسلام » [2] .

اتصل بعد ذلك بعبد الله بن الحسن فتوعَّده وهدده ، إن لم يحضر ابنيه قائلاً : « أيها الشيخ ؛ إن أمير المؤمنين والله ما استعملنى لرحم قريبة ، ولا ليد سلفت إليه ، والله لا لعبتَ بى كما لعبتَ بزياد ، وابن القسرى ، والله لأزهقن نفسك أو لتأتينى بابنيك محمد وإبراهيم » [3] .

---

(١) تاريخ اليعقوبى : ٣/ ١١٠ ، والنجوم الزاهرة : ١/ ٣٥٣

(٢) تاريخ اليعقوبى : ٣/ ١١٠ ، الطبرى : ٧/ ٥٣٧ (يقصد بالرجال غلاظ الأكباد .... أهل خراسان ، وقوله : « يثوون فى قعر بيوتكم . يذكرهم بأنهم سيفعلون ما فعل بهم مسلم بن عقبة سنة ٦٣ هـ) .

(٣) الطبرى : ٧/ ٥٣٣ ، ابن الأثير : ٤/ ٣٧٣ ، (مخطوطة) أخبار مَن نهض فى طلب الخلافة من الطالبيين ورقة (٣) .

أراد أبو جعفر أن يقف عن كثب على مدى الأعمال التى عملها رياح بالبحث عن محمد وإبراهيم ، وعن نتائج كل هذه الأعمال ، فقصد الحج مرة أخرى سنة ١٤٤ هـ وذهب بعد ذلك إلى المدينة المنوّرة ، واستقبله العلويون ومن بينهم عبد اللّه بن الحسن قبل وصوله المدينة وأجلسه الخليفة بجواره ، وسأله عن ابنيه ، وكرر عليه السؤال عدة مرات ، فهدّده وقال له : « دلنى على ابنيك وإلا واللّه قتلتك ، فقال عبد اللّه : واللّه لامتحنتُ بأشد مما امتحن اللّه به خليله إبراهيم ، وإن بليتى لأعظم من بليته ، لأن اللّه عزّ وجلّ أمره أن يذبح ابنه ، وكان ذلك للّه عزّ وجلّ طاعة فقال : ﴿ إنَّ هَذَا لَهُوَ البَلاَءُ المُبِينُ ﴾ [1] ، وأنت تريد منى أن أدلك على ابنى لتقتله ، وقتله للّه سخط ، وقال أبو جعفر : يابن اللخناء . فقال عبد اللّه : وإنك لتقول هذا ؟ ليت شعِرى أى الفواطم لخنت يابن سَلاَمة ، أفاطمة بنت الحسين ! أم فاطمة بنت رسول اللّه ! أم جدتى فاطمة بنت أسد بن هاشم جدة أبى ! أم فاطمة ابنة عمرو بن عائذ بن مخزوم ! قال أبو جعفر : ولا واحدة من هؤلاء » [2] .

ولما أغلظ المنصور عليه القول ، قال عبد اللّه بن حسن : « واللّه لو كانا تحت قدمىَّ ، لما رفعتهما عنهما ، سبحان اللّه ! آتيك بولدىَّ لتقتلهما » ؟

غضب المنصور من هذا الجواب « وأمر بسجنه ، وببيع رقيقه ، ومصادرة جميع أمواله » [3] .

---

(١) الصافات : ١٠٦

(٢) تاريخ اليعقوبى : ٣/١٠٥ - ١٠٦

(٣) الكتبى : (مخطوطة) عيون التواريخ ورقة (١٦٥) ؛ الفخرى ص ١٢٠ ؛ ابن كثير : ٩٤/١٠

أشار رياح على الخليفة بسجن بنى الحسن جميعهم كوسيلة لحمل محمد النفس الزكية على تسليم نفسه ، أو يخرج حتى يستريح الخليفة منه ، وهو الذى عاش فى حالة نفسية حادة ، بسبب اختفاء محمد وإبراهيم طيلة الاثنتي عشر سنة التى اختفى فيها .

قبض رياح على بنى الحسن [1] ووضع فى أرجلهم القيود ، وفى أعناقهم الأغلال ، وأودعهم بسجن الربذة [2] . ولما مَرَّ أبو جعفر على الربذة وهو فى طريقه إلى العراق ، جئ ببنى الحسن إليه ، وأوقفوا فى الشمس ، وهم مكتَّفين ، وسألهم عن محمد وإبراهيم فلم يجيبوه بكلمة واحدة ، عدا عبد اللّه بن الحسن الذى قال : « واللّهِ ما هكذا فعلنا بأسرائكم يوم بدر » ، فثقل على أبى جعفر هذا التلميح والإشارة ، فأخسأه ، وبصق بوجهه [3]

---

(١) مروج الذهب : ٣٠٩/٣ ، ٣١٠ ، الطبرى : ٥٣٩/٧ وما بعدها ، و ص ٥٥ وما بعدها ، ابن الأثير : ٣٧٤/٤ ، ابن كثير : ٩٥/١٠ وهم : (١) عبد اللّه ابن الحسن « والد محمد وإبراهيم » . (٢) محمد بن عبد اللّه العثمانى « من ولد عثمان بن عفان » وهو أخو عبد اللّه بن الحسن من الأم . (٣) الحسن بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب . (٤) إبراهيم بن الحسن . (٥) جعفر بن الحسن - وهؤلاء الخمسة إخوة . (٦) سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علىّ . (٧) وأخوه : عبد اللّه . (٨) محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علىّ . (٩) وأخوه : إسماعيل . (١٠) وأخوه : إسحاق . (١١) عباس بن الحسن بن الحسن ابن علىّ . (١٢) موسى بن عبد اللّه بن الحسن - أخو النفس الزكية ، وهذا قبض عليه بالبصرة وألحق معهم فى السجن . (١٣) محمد بن إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن ، وهذا صغير وأبوه إبراهيم الذى خرج بالبصرة - كما سيأتى إن شاء اللّه تعالى - .

(٢) « الربذة » : بلدة صغيرة على ثلاثة أميال من المدينة ، وبها قبر أبى ذر الغفارى رضى اللّه عنه .

(٣) الكتبى : (مخطوطة) عيون التواريخ ورقة (١٦٧) ، وانظر الطبرى ٥٤٢/٧

وأمر بهم أن يُحملوا إلى العراق ، حيث ينتظرهم سجنهم المخصَّص لهم هناك ، فحُمِلوا على جمال عارية دون وطاء ، وهم فى أسوأ حال ، كما وكل على كل واحد منهم جندى ، وودَّعهم بعض العلويين بالبكاء [1] .

أما أبو جعفر فقد خاف من أهل المدينة أن ينتقموا منه ، فاستعد لملاقاتهم ، وجمع رجالاً يمتنع بهم ، ويردوا ما عساه يكون من اعتداء عليه . كما أمر عشرين رجلاً يقيمون فى المسجد النبوى ، لتوزيع أعطيات من الأموال ، إرضاءً لأهل المدينة ، وحتى لا ينضموا إلى محمد النفس الزكية فى خروجه على الحكم العباسى [2] .

وبعد أن تم القبض على بنى الحسن - كما أشرنا إلى ذلك - أُرسلوا إلى الكوفة ، وأودعوا فى سرداب « لا يفرقون بين ضياء النهار وسواد الليل » [3] .

ويقول صاحب كتاب النجوم الزاهرة ، واصفاً سجنهم الذى لا رحمة فيه : « لم يكن عندهم بئر للماء ، ولا سقاية ، فكانوا يبولون ، ويتغوطون فى مواضعهم ، وإذا مات منهم ميت لم يُدفن بل يبلى وهم ينظرون إليه ، فاشتدت عليهم الرائحة ، وكان الورم يبدو فى أقدامهم ، ثم يترقى إلى قلوبهم فيموتون ، ويقال : إن أبا جعفر المنصور ردم عليهم السرداب فماتوا ، وكان يُسمع أنينهم أياماً » [4] .

ولما أودع العلويون فى السجن ، أراد أبو جعفر المنصور ، أن يرضى أهل خراسان شيعة العلويين ، فجمع كبار الخراسانيين ليبرر أمامهم أسباب

---

(١) الطبرى : ٥٤٢/٧ ، البراقى : تاريخ الكوفة ص ٣٥٨

(٢) العقد الفريد : ٧٩/٥

(٣) مروج الذهب : ٣١٠/٣

(٤) ابن تغرى بردى : ٤/٢

سجن العلويين فكان مما قال لهم بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على محمد ﷺ : « يا أهل خراسان ؛ أنتم شعيتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا ، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا خيراً منا ، إن ولد ابن أبي طالب تركناهم والذى لا إله إلا هو والخلافة فلم نعرض لهم لا بقليل ولا بكثير ، فقام فيها علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه فما أفلح وحكّم الحَكَمين ، فاختلفت عليه الأمة ، وافترقت الكلمة ، ثم وثب عليه شيعته وأنصاره وثقاته فقتلوه ، ثم قام بعده الحسن بن علىّ (رضى الله عنه) فوالله ما كان برجل عُرِضت عليه الأموال فقبلها ، ودس إليه معاوية : أنى أجعلك ولى عهدى ، فخلعه وأنسلخ له مما كان فيه وسلّمه إليه ، وأقبل على النساء ، يتزوج اليوم واحدة ويُطلّق غداً أخرى ، فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه ، ثم قام من بعده الحسين بن علىّ (رضى الله عنه) فخدعه أهل العراق ، وأهل الكوفة ، أهل الشقاق والنفاق والإغراق فى الفتن ، أهل هذه المدرة السوء - وأشار بيده إلى الكوفة - فوالله ما هى لى بحرب فأحاربها ، ولا هى لى بسلم فأسالمها ، فرّق الله بينى وبينها ، فخذلوه وأبرأوا أنفسهم منه ، فأسلموه حتى قُتِل ، ثم قام من بعده زيد بن علىّ فخدعه أهل الكوفة وغَرُّوه ، فلما أظهروه وأخرجوه أسلموه ، وقد كان أبى محمد بن علىّ ناشده الله فى الخروج ، وقال له : لا تقبل أقاويل أهل الكوفة فإنّا نجد فى علمنا أن بعض أهل بيتنا يُصلب بالكنّاسة ، وأخشى أن تكون ذلك المصلوب ، وناشده الله بذلك عمى داود وحذّره رحمه الله غدر أهل الكوفة فلم يقبل ، وتم على خروجه ، فقُتِل وصُلِب بالكنّاسة ، ثم وثب بنو أمية علينا ، فابتزونا شرفنا وأذهبوا عزنا ، والله ما كان لهم عندنا تِرَةٌ يطلبونها ، وما كان ذلك كله إلا فيهم وبسبب خروجهم (يقصد العلويين) فنفونا عن البلاد ، فصرنا مرة بالطائف ، ومرة بالشام ، ومرة بالشراة ، حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصاراً ، فأحيا الله شرفنا وعزنا بكم يا أهل خراسان ،

ودفع بحقكم أهل الباطل ، وأظهر لنا حقنا وأصار إلينا أمرنا وميراثنا من نبينا محمد ﷺ ، فقرَّ الحق فى قراره ، وأظهر الله مناره ، وأعزَّ أنصاره ، وقطع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين ، فلما استقرت الأمور فينا على قرارها من فضل الله وحكمة العدل ، وثبوا علينا حسداً منهم لنا وبغياً علينا ، بما فضَّلنا الله به عليهم ، وأكرمنا من خلافته ميراثنا من نبيه ، وجبناً من بنى أمية ، وجراءة علينا .

إنى والله يا أهل خراسان ما أتيتُ من هذا الأمر من جهالة ، ولقد كانت تبلغنى عنهم بعض السقم ، ولقد سميتُ لهم رجالاً فقلت : قم أنت يا فلان فخذ معك من المال كذا وكذا ، وحذوتُ لهم مثالاً يعملون عليه فخرجوا حتى أتوا المدينة فلقوهم فدسَّوا ذلك المال ، فوالله ما بقى منهم شيخ ولا شاب ولا صغير ولا كبير إلا بايعهم لى ، فاستحللتُ به دماءهم وحلت عند ذلك بنقضهم بيعتى وطلبهم الفتنة والتماسهم الخروج علىَّ - ثم قرأ فى درج المنبر - قوله تعالى : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُواْ فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾ [1] .

نلمح فى هذه الخطبة ، أنها كانت فى أهل خراسان ، وليست فى أهل العراق ، وهذا شئ مهم ، لأنه لا يمكن إقناع أهل العراق بما عمله بالعلويين ، لأن الخليفة يعرف تماماً أن أهل العراق لا يمكن أن يتزحزحوا ولا قدر أنملة عن تأييدهم للأسرة العلوية ، وهذا شئ معروف لديه من قبل . فقد حذَّر أبوه محمد بن علىّ الدعاة من أهل الكوفة واصفاً إياهم بشيعة علىّ وأولاده .

---

(١) المسعودى : مروج الذهب : ٣١١/٣ - ٣١٢ ، الطبرى : ٣٣٣/٦ - ٣٣٥ (باختصار) مطبعة الاستقامة - القاهرة ١٩٣٩ - والآية من سورة سبأ : ٥٤

كما أراد الخليفة أن يربط مودّة أهل خراسان بالأسرة العباسية ، فقد ذكَّرهم بفضائلهم أثناء حملهم لدعوتهم ، حيث قال لهم : « أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا » . وهذا ما لا يمكن قوله لأهل الكوفة مثلاً . .

وأراد أن يثبت أمام الخراسانيين حقهم في الخلافة دون غيرهم ولذلك قال لهم : « لم نعرض لهم لا بقليل ولا بكثير » - يقصد بذلك العلويين - فكأن للعباسيين حق الاعتراض على مطالبة العلويين وخروجهم في خلال الدول الأموية ، مطالبين بالخلافة ، فيقول الخليفة للخراسانيين : « فتركناهم حتى فشلوا ، فعليّ (رضى الله عنه) ما أفلح وحكَّم الحَكَمين ، واختلفت عليه الأمة » فقُتِل ، أما ابنه الحسن فقد فضَّل عليها الأموال والنساء . وأما الحسين فخدعه أنصاره وقتلوه .

كما وصف أهل الكوفة بالشقاق والنفاق ... وأنه يتخوف منها ، فهى لم تعلن عليه الحرب حتى يحاربها ، ولم تسالمه فيأمن جانبها ويسالمها ، وهذا يخالف عما قاله عمه داود بن علىّ ، فى أول خطبة ألقاها عليهم بعد قيام الدولة العباسية ، حيث قال : « يا أهل الكوفة : أنتم أهل محبتنا .. » فداود بن علىّ يريد أن لا يُحرِّك ساكناً ، وأن يتقرب من أهل الخوف ليأمن ، وليكسب رضاهم ، ما دامت الدولة فى بداية قوتها ... وما ذلك إلا دهاء تتطلبه السياسة . .

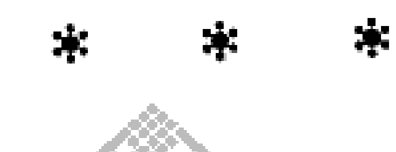
أما الآن .. فالخليفة المنصور لا يبالى بهم ، فالدولة قامت حقيقة ، ولديها القوة لمواجهة أهل الكوفة .. وغيرهم شيعة العلويين .

كما أراد - أيضاً - أن يُظهر للخراسانيين أحقية العباسيين بالخلافة ، فذكر لهم أن أباه محمد بن علىّ ، قد نصح زيد بن علىّ بعدم الخروج وخوَّفه من القتل والصلب لأن ذلك - كما قال - مذكور فى علمهم . والخليفة يقصد بهذا العلم ما كان قد أشاعوه من أن لديهم صحيفة صفراء

ورثها العباسيون عن جدهم العباس الذى ورثها هو الآخر من الرسول ﷺ . ويذكر للخراسانيين الأسباب التى دعت العلويين يناصبون العداء للعباسيين بعد وصولهم للخلافة : « إن هذا حسد لنا وبغى ، لأن الله فضلنا عليهم ، وأكرمنا بالخلافة ، التى هى ميراثنا من النبى ﷺ » .

وذكر لهم أن العلويين قد بايعوا للعباسيين عندما قامت الدولة ، معترفين بأحقية الأسرة العباسية بذلك ، ولكنهم الآن نقضوا البيعة ، وأعلنوا الفتنة ، وتحركوا بالخروج علينا ، فعلى ذلك حلّت دماؤهم لنا .

وهكذا تأزمت العلاقات بين العلويين والعباسيين .





الفصل الثالث

حركة محمد النفس الزكية بالمدينة المنورة

- أسبابها وأهدافها .
- خروج محمد والدعوة لنفسه .
- الرسائل ودراستها .
- أحداثها ونتائجها .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أسباب الحركة وأهدافها

بدأت حركة محمد النفس الزكية تتمخض فى الخفاء فى أواخر الدولة الأموية ما بين عامي (١٢٦ - ١٢٧ هـ) - وبدأ الخلل يدب فى الحكم الأموي ، باشتعال نيران الخلاف بين الأمراء الأمويين وقتل بعضهم البعض - إلى ثورات الخوارج فى كل مكان ، والانقسامات القَبلية التى عمَّت الأقاليم .. كل هذه جعله ينتهز هذه الفرص ، ليضرب ضربته للوصول إلى حق العلويين المغتصب ، والثأر لهم من الأمويين ، فهم أهل الحق - فى نظره - ولهم شيعة ودعاة فى كل مكان ، يعرفون منزلتهم وأحقيتهم فى الخلافة .

كان والده عبد الله بن الحسن زعيم العلويين فى ذلك الوقت [١] ، وكان مشهوراً بلباقته وقوة بيانه ، ولم يكن له رغبة فى الخلافة لنفسه ، بل إن دعوته كانت إلى ابنه محمد النفس الزكية ، وعند اضطراب الدولة الأموية . أعلن أن ابنه محمد هو « المهدى الذى بُشِّرَ به » ، كما روى أحاديث نسبها إلى الرسول ﷺ فحواها أن رسول الله ﷺ قال : « إن المهدى من ولدى ، اسمه اسمى ، واسم أبيه اسم أبى ، يملؤها عدلاً ، كما مُلِئَتْ جوراً » [٢] ،

---

(١) الزبير بن بكار : جمهرة نسب قريش : ٤٨٤/١ ، الكتبي : (مخطوطة) عيون التاريخ ورقة (١٦٩) ، ابن حجر : الصواعق المحرقة ص ٢٠٢

(٢) الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٨٠ ، البغدادى : الفَرق بين الفرق ص٥٧ ، الفخرى ص٥٧ ، ابن عنبه : عمدة الطالب ص ١٠١ - ١٠٤ ، وعن كلمة « المهدى » انظر : أحمد أمين : ضحى الإسلام : ٢٣٥/٣ - ٢٤٦ ، ومحمد الساعدى : الحسنيون فى التاريخ : ٦٢/١

هكذا كانت روايته للتأثير على الناس وأنه المعنى من رسول الله ﷺ [1].
ويهذا الادعاء أصبح فى نظر الناس أنه المنقذ المنتَظر ، الذى سوف ينقذهم من الظلم ، ويوفر لهم حياة أفضل ، ويُسوِّى بين الناس ، وأصبح له شيعة يدعون له فى الحجاز ، والعراق ، وخراسان ، وبدأ يعد العُدَّة ، ويُبيِّن للناس أحقيته فى الخلافة ، تمهيداً لليوم الموعود ، وكان يحيى بن زيد الذى خرج فى خراسان أيام الخليفة الأموى الوليد بن يزيد وقُتِل (سنة ١٢٦ هـ) قد فوَّض أمر الخلافة من بعده لمحمد النفس الزكية [2].

ولما أفضت الخلافة (سنة ١٢٧ هـ) إلى مروان بن محمد ، وصلته الأخبار أن محمداً يدعو لنفسه فى الحجاز ، وأنه يروج للعامة أحقيته وأفضليته فى الخلافة ، وكان والده عبد الله ذات يوم عند مروان ، قد جاء لحاجة عنده ، فقال له مروان : « آتنى بابنك محمد ، فقال عبد الله : وما تصنع به يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا شئ إلا أنه إن أتانا أكرمناه ، وإن قاتلنا قاتلناه ، وإن بَعُدَ عنا لم نهجه » [3].

يظهر أن مروان بن محمد لا يريد النزاع مع محمد لأن ذلك سوف يزيد من شُهرته ، والتفاف الناس حوله ، ولأنه كان مشغولاً بثورات أخرى ، فهناك الخوارج ، والانقسامات القَبلية التى عمَّت الكثير من الأقاليم ، والدعوة العباسية مشتعلة فى خراسان تأكل الرطب واليابس ، ولهذا حاول أن لا يزيد النار اشتعالاً ، فكتب إلى عامله بالحجاز وأوصاه « أن يصونه ،

---

(١) أبو داود أول كتاب المهدى ، ابن ماجه كتاب الفتن « خروج المهدى » ، المسند لأحمد بن حنبل الجزء الأول والثانى فى مواضع متفرقة .

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل : ١/ ٢٦ .

(٣) أبو الفرج الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ص ٢٥٩ ، العيون والحدائق (المنسوب لابن مسكويه) : ٣/ ٢٣١

ولا يعرض لمحمد بطلب ، ولا يخوِّفه ، إلا أن يستظهر حرباً ، وإن استتر بثوب فلا يكشفه عنه ، وإن كان جالساً على جدار فلا يرفع رأسه إليه » وكان مروان يمازح عبد الله بن الحسن عندما يزوره بالشام ، ويقول له : « ما فعل مهديكم » ؟ وعبد الله يقول : « لا تقل ذلك - يا أمير المؤمنين - فليس كما يبلغك » ثم يقول له مروان : « بلى ، ولكن يُصلحه الله ويُرشده » [١] .

وكان مروان يصل عبد الله بن الحسن ويبره ، ويُجزل له العطاء ، ويقول له : اكفف عنى ابنك ! [٢] .

من هذا يتبين لنا أن محمداً كان يدعو لنفسه بالخلافة ، ويتطلع إليها قبل وصول العباسيين إلى الحكم .

لقد أخطأ محمد النفس الزكية فى حساباته وتوقعاته ، فظن أن الدعوة التى انتشرت فى خراسان ، والتى رفعت شعار « آل البيت » ليست إلا للعلويين وهو مرشحهم للخلافة ، فلا أحد ينازعه فيها [٣] ، وأن هذه الدعوة التى قام بها الدعاة سوف يقطف ثمارها ، متى حان وقت نضجها ، ولا سيما أن لهم فى العراق وخراسان دعاة ، ولكن لم يكن عملهم هذا ، أو تحمسهم من أجل وصول العلويين إلى هدفهم وهى الخلافة ، بل هدفهم الأول ، أو هدف الأكثرية منهم ، هو إسقاط النظام الأموى ، والأمل فى أن تعود لهم حريتهم ومساواتهم بالمسلمين العرب كما جاء بذلك الإسلام وطبّقه الخلفاء الأربعة .

---

(١) الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٥٩

(٢) الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ص ٢٥٩

(٣) ابن مسكويه (منسوب له) العيون والحدائق : ٢٣١/٣

ولما تسلم العباسيون السُلطة ، لم يقبل محمد هذا التحول إلى العباسيين ، فالدعوة وُلِدَت فى بيتهم ، ورعاها أشياعهم ، كما نُشِرت باسمهم « لآل البيت ، أو آل محمد » ، كما استغل العباسيون ضحايا العلويين ودمائهم ، فكانت المعول الذى حمله العباسيون لهدم البيت الأموى ، فكلما ذكّر الدعاة الأمة بمقتل الكثير من آل البيت ، مما زاد فى كراهيتهم للأمويين ، وتمنوا زوال دولتهم ، فكسبوا من وراء ذلك كل الجماهير الغاضبة على الأمويين [١] .

ورأى العلويون أن ثمرة ذلك لا تكون للعباسيين ، بل تكون لأهلها الشرعيين وهم العلويين ، فهم أولى بالخلافة منهم ، وأقرب الناس إلى محمد ﷺ .

عرف العباسيون أن محمداً لا يمكن أن يقبل هذا التحول بعد أن عرفوا أهدافه وأطماعه والسعى إلى الخلافة ، قبل وصولهم إلى الحكم ، كما لبوا الدعوة إلى حضور مؤتمرات فى الحجاز فى أواخر الحكم الأموى ، دعا إليها عبد الله بن الحسن ، وكان الهدف منها ترشيح النفس الزكية للخلافة ، بعد سقوط الخلافة الأموية ، ولكن العباسيين كانوا دائماً يعارضون هذا الترشيح ، أما أهل الحجاز فكانوا يرشحون محمداً النفس الزكية [٢] - كما أسلفنا - .

وعندما حاول النفس الزكية أن يخرج فى أيام أبى العباس ، منعه والده ، لما للسفاح من الفضائل عليه ، كما أعطاه العهود والمواثيق بعدم خروج

---

(١) ڤلهوزن : الخوارج والشيعة ص ٢٦٤

(٢) يراجع ما كتبناه عن مؤتمر الأبواء فى هذه الدراسة .

ابنيه محمد وإبراهيم عليه ، فقد قال له مرة [1] : « يا أمير المؤمنين ؛ لك عهد الله وميثاقه ، ألا ترى منهما شيئاً تكرهه ما كانا فى الدنيا » .

ولما تولى الخلافة أبو جعفر شعر أن فكرة « المهدى المنتظر » تشكل عليه خطراً كبيراً ، لأنها تجذب الجماهير وتؤلب عليه الكثير من المشايعين للعلويين وستخرج الأمصار عليه ، وسيتسع الخرق على الراقع .

ولهذا ضيّق الخليفة أبو جعفر المنصور على محمد ، وبثَّ الجواسيس والشُرُط تبحث عنه فى كل مكان ، وأنفق من أجل ذلك الأموال ، فلما عجز عن معرفة مكانه لجأ إلى أخذ والده وأعمامه وعذّبهم ، وسجنهم ، ولهذا وغيره اضطر محمد إلى الخروج .

ويمكن أن نلخص سبب خروجه بما يأتى :

أحدها : ملاحقة العباسيين له ، وتضييقهم عليه ، حتى اضطره ذلك إلى أن تنقَّل فى عدة أقاليم ، وعانى من ذلك الكثير من المتاعب والمشاق ، ناهيك عن فراق البلد والأهل والأتباع .

ثانيها : ما قام به المنصور من التعذيب لوالده وأعمامه ، وأهل بيته ، مما لا طاقه لأحد باحتماله .

ثالثها : كثرة الرسائل التى وصلته للتضليل من أمراء الأقاليم ، وكبار قادة جيش المنصور ، يحثونه على سرعة الخروج ، وأن الدعوة لا تحتمل التأخير .

وما هذه الرسائل إلا خدعة ودهاء من المنصور ، لإخراجه وظهوره ،

---

(١) الأصفهانى : مقاتل الطالبين ص ١٧٧

ولذلك قال مفتخراً عندما سمع بنبأ خروجه : « أنا أبو جعفر ، استخرجتُ الثعلب من جُحره » [١] .

رابعها : اعترف كثير من الناس بإمامته ، ولقبُّوه بأمير المؤمنين ، واعتنق دعوته أهل الحجاز حَضراً وبدواً .

وخامسها : إلحاح أصحابه عليه بالخروج ، ومقابلتهم له باللهجة القاسية ، لأنهم سئموا إجراءات المنصور الشديدة على أهل الحجاز ، فرأوا إما أن يخرج ، أو يُسلّم نفسه ليستريح ويريح .

وسادسها : تأييد والده له بالخروج ، فلم يوافق زوجته عندما جاءته وهو بسجنه بالربذة ، لتستطلع رأيه بتسليم محمد نفسه ، حتى يُخلّص والده وأعمامه من سجن المنصور ، كما كان يقول لهما - لمحمد وإبراهيم - : « إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين ، فلا يمنعكما أن تموتا كريمين » [٢] فكان ذلك تشجيعاً وتأييداً بالخروج من والده عبد الله بن الحسن .

وسابعها : وقد تحدّث عن سبب خروجه قائلاً : « محرج مظلوم » [٣] ،

---

(١) الطبري : : ٥٦٤/٧

(٢) الطبري : ٥٤١/٧ ، ابن الأثير : ٣٧٥/٤

(٣) أنساب الأشراف : ١٣/٣ ، الطبري : ٥٩٥/٧ ، العيون والحدائق : ٢٤٤/٣ ، مقاتل الطالبيين ص ٢٧١ ، (مخطوطة) عيون التواريخ ورقة (١٩٠) ، مجلة الأزهر عدد ربيع أول سنة ١٣٩٧ هـ ، وقد رويت هذه العبارة على : « مجروح مظلوم » وفي رواية أخرى : « ويحكم .. أنا ابن نبيكم محرج مظلوم » قالها في آخر رمق في حياته .

« وأنه قد خرج غضباً لله » [1] ، وقال : « ولولا ما انتهكت أمتى ما خرجت » [2] .

*　*　*



---

(١) الذهبي : دول الإسلام : ١/ ٩٨

(٢) أنساب الأشراف : ٣/ ٣ ، العيون والحدائق : ٣/ ٢٣٨

• خروج محمد والدعوة لنفسه (*) :

فى الوقت الذى كان والد النفس الزكية ومعه بعض من أهله فى سجن الربذة ، وكان محمد ابنه فى ذلك الوقت مختفياً بالمدينة المنوَّرة ، ذهب إلى أمه يستشيرها فى أن يسلم نفسه للمنصور ، حتى يريح والده وأعمامه من عذاب وسجن المنصور لهم ، لكن الأم لم تقبل حتى تستطلع رأى والده ، فذهبت إلى السجن ، وأبلغت والده وأعمامه برأى محمد وأنه سوف يسلم نفسه ليخلصهم من عذاب الخليفة ، لكن الوالد والأعمام أظهروا شجاعة فائقة وتحدياً للعباسيين حيث قالوا : « لا ولا كرامة .. بل نصبر على أمره ، فلعل الله أن يفتح على يديه خيراً ، ونحن نصبر ، وفرجنا بيد الله ، إن شاء فرَّج عنا ، وإن شاء ضيَّق » (١) .

(*) هو أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله (المحض) بن الحسن (المثنى) بن الحسن بن علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه ، وأمه : هند بنت أبى عبيدة بن عبد الله ابن زمعة ... بن عبد العزى ابن قصى . كانت هند تحت عبد الله بن عبد الملك بن مروان قبل أن يتزوجها عبد الله بن الحسن . قيل فى محمد : إنه صريح قريش ، لأنه لم تقم عنه أم ولد فى جميع آبائه وأمهاته وجداته ، وفى أول طفولته تربى عند فاطمة بنت علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

وُلِدَ بالمدينة المنوَّرة سنة ١٠٠ هجرية وكان موضع ثقة عند الجميع يمتاز بها ، كما كان صوَّاماً قوَّاماً ، قليل الاختلاط بالناس . أما صفته : فقد كان شديد السمرة ، كبير الجسم ، قوياً فى منتهى القوة ، فى لسانه تمتمة ، يصعب عليه الكلام .

يقول عنه ابن طباطبا (الفخرى ص ١٢٠) : كان محمد النفس الزكية من سادات قريش ورجالهم فضلاً وشرفاً ، وديناً ، وعلماً ، وشجاعة .. وكان يدعى بالنفس الزكية لزهده ونسكه .

(١) مقاتل الطالبيين ص ٢١٦ ، ابن كثير : ٩٥/١٠ .

ولما حُوِّلوا إلى سجن الكوفة ، وعُذِّبوا أشد العذاب ، بلغ ذلك محمداً ، فكتب إلى والده يستأذنه فى الظهور ، حتى يضع يده فى أيديهم ، ولكن الأب لم يقبل منه ذلك ، فأرسل إليه : « إن ظهورك يا بنى يقتلك ولا يحيينى ، فأقم بمكانك ، حتى يأتى الله بفرج » [(١)] .

جَدَّ محمد بعد ذلك فى الدعوة إلى نفسه فى سرية ، وقام جماعة من أهل بيته وغيرهم يدعون له فى الخفاء ، وعزم على الخروج ليخلص أباه وأعمامه من ظلم المنصور قبل أن يحدث لهم أمر ، واعترف بإمامته كثير من أهل المدينة المنوَّرة ومكة ، وتلقب بأمير المؤمنين ، وذاع صيته ، وعظمت منزلته بين الناس [(٢)] .

لم يكن أمام المنصور إلا أن ينتظر قيام الثورة ، وكانت آماله أن تكون بالمدينة المنوَّرة ليُحكم محاصرتها ، والسيطرة عليها ، والمعروف أن المدينة ليست مكاناً خصباً للحركات فهى قليلة الموارد ، ولا تحتمل الحصار الطويل .

ولما عرف الخليفة أن محمداً يقيم مستخفياً فى المدينة ، أخذ يتقصى أخباره ويستعمل معه المكر والدهاء ، حتى انخدع وقال : « لو التقينا مال إلىَّ القُوَّاد كلهم » [(٣)] .

ظن محمد خطأ أن القواد والأمصار قد تألبت على العباسيين ، وعطفوا عليه لأنه صاحب الحق الشرعى ، ولِمَا حَلَّ بأسرته من المآسى والنكبات .

---

(١) تاريخ اليعقوبى : ١٠٦/٣ .

(٢) دكتور عبد المقصود نصار : ملامح من تاريخ الدولتين ص ٥٦ (الدولة العباسية) .

(٣) الطبرى : ٥٥٩/٧ ، ابن الأثير : ٣/٥ ، النويرى : (مخطوطة) أخبار مَن نهض فى طلب الخلافة من الطالبيين ورقة (٦) .

لقد عاني محمد أشد المتاعب ، وأقسى العذاب ، طيلة ملاحقة العباسيين له ، فمرة بالحجاز واليمن والكوفة ، وأخرى فى خراسان وبلاد السند : تلاحقه جنود العباسيين وجواسيسهم فى كل مكان ، وكأنه مجرم مطالَب بجريمته ، وكثيراً ما يُخفى نفسه فى الشعاب ، وعلى رؤوس الجبال ، وقد حدث أثناء اختفائه على رؤوس الجبال أن هوى من الجبل ابن له رضيع فمات .

وقد وصف محمد النفس الزكية خوفه ، وما عاناه من ملاحقة المنصور له ، وتنقله فى الأقاليم ، قائلاً :

شَـــرَّده الخـــوفُ وأزْرَى بـــه ... كـــذاك مـن يَكْرَهْ حرَّ الجِلادْ [1]

متحـــرق الخفيَّـــن يشكو الوجَى ... تُنَكِّبُـــهُ أطـراف مَرْوٍ حِدادْ [2]

قـــد كان فــــى المـوتِ له رَاحَةٌ ... والموتُ حتمٌ فى رقاب العبادْ [3]

فلقد نكل العباسيون بالعلويين تنكيلاً لا مثيل له فى الحكم الأموى ، فيروى عن محمد النفس الزكية أنه قال [4] : « لقد كنا نقمنا على بنى أمية ما نقمنا ، فما بنو العباس إلا أقل خوفاً للّه منهم ، وإن الحُجَّة على بنى العباس لأوجب منها عليهم ، ولقد كان للقوم - يقصد الأمويين - أخلاق ومكارم وفواضل ليست لأبى جعفر » .

---

(١) « الجلاد » : الحرب .

(٢) « الوجى » : الحفا . « تنكبه » : تنحيه . « المرو » : حجارة بيض برّاقة .

(٣) الطبرى : ٥٣٥/٧ ، القيروانى : زهر الآداب : ١ / ٧٨ ، الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ص ٢٣١

(٤) أبو الفرج الأصفهانى : الأغانى : ١٠٦/١ ، وانظر : نسب قريش : ٤٩٧/١ - ٥٠٢ طبعة المدنى تحقيق محمود شاكر (١٣٨١ هـ) للزبير بن بكار .

وفى مثل هذا قال شاعرهم [1] :

والله ما فعلت أميـــة فيهـم معشار ما فعلت بنو العباس

إن تنقل محمد النفس الزكية لم يكن بالطبع فى صالح الخليفة ، لأن ترحاله هذا يكسبه الجماهير والناقمين على الدولة العباسية ، كما يجعل الخليفة يتخبط فى أمره ، لأنه لا يعلم المكان المُعَد لخروجه ، والخليفة أبو جعفر لم يتوقع أن يكون الحجاز مكاناً لتلك الحركة لعدم صلاحيته على الرغم من معرفته بأن أهل الحجاز يميلون إليه ، ولذلك أخلى الحجاز من جيش مرابط ، وأحكم الحصار على الكوفة أقرب المدن إليه ، والتى تعج بالتشيع . كما ركز اهتمامه أيضاً على فارس حيث ترك ثلاثين ألفاً من الجنود بقيادة ابنه المهدى تحسباً لهذه الحركة ، ولكثرة الغاضبين هناك على الدولة ، ولأن فارس مكاناً خصباً للحركة حيث التشيع للعلويين .

اشتد الضغط على محمد من قِبَل شيعته ومؤيديه ، بضرورة تعجيل الخروج ، وأن الحركة الآن لا تحتمل أكثر من هذا التأجيل ، فدخل عليه جماعة من أصحابه وقالوا له : « ما تنتظر بالخروج ، والله ما تجد هذه الأمة أحداً أشأم عليها منك ، ما يمنعك أن تخرج ولو وحدك » ؟ [2] .

وبعد هذا الإلحاح المستمر من هؤلاء وغيرهم ومن سيل الرسائل التى وصلت من أمراء الأقاليم ، وكبار قُوَّاد جيش المنصور ، والذى انخدع بها ، وبعد أن وصلته الأخبار من الكوفة بما يعانيه السجناء من أهله هناك ، رأى أنه لا بد من إعلان حركته .

---

(١) محمد جواد : الشيعة والحاكمون ص ١٤٢ ، وانظر شرح شافية أبى فراس ص ١٠٤ .

(٢) أبو الفرج الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ص ٢٦١ ، ابن الأثير : ٢/٥

كان محمد قد تواعد مع أصحابه على الخروج فى ليلة معلومة ، فلما اقتربت تلك الليلة ذهب أحد الوشاة إلى رياح بن عثمان - أمير المدينة - وأخبره أن هذه الليلة سوف يخرج محمد فيها ، فخاف وارتعد ، وامتطى حصانه ، ورافقه حرسه ، وأخذ يتجول بالمدينة ويتحسس ، لعله يجد أثراً لمحمد بن عبد الله ، كما ذهب إلى دار مروان التى كانت مكاناً للاجتماع ، لكنه لم يعثر على أحد فرجع إلى دار الإمارة ، وطلب العلويين ، وكبار أهل المدينة ، وسادات قريش للاجتماع به حالاً ، ولما وصلوا إليه أخبرهم أن محمداً ينوى الخروج هذه الليلة ، فأنكروا معرفتهم بذلك ، لكنه توعدهم وهددهم قائلاً لهم : « يا معشر أهل المدينة ، أمير المؤمنين يتطلب هذا الرجل ، فى المشارق والمغارب ، وهو بين أظهركم ، ثم ما كفاكم حتى بايعتموه على السمع والطاعة ...؟ والله لا يبلغنى عن أحد منكم خرج معه ، إلا ضربتُ عنقه » [1] .

وأشار عليه ابن مسلم بن عقبة أن يقطع رؤوس هؤلاء العلويين لأنهم سوف ينضمون إلى محمد ، عند خروجه ، لكنه أبقاهم كرهائن محبوسين عنده [2] .

وبينما هم فى تلك الحالة - ليلة الأربعاء - ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٤٥ هـ - أعلن محمد النفس الزكية خروجه بالمدينة المنوَّرة وتسمى بالمهدى [3] .

---

(١) ابن الأثير : ٣/٥

(٢) الطبرى : ٥٥٣/٧

(٣) الأزدى . تاريخ الموصل ص ١٨١ ، التنبيه والاشراف ص ٢٩٥ ، مقاتل الطالبيين ص٢٦٣ ، العيون والحدائق : ٣ /٢٣٩ (وفى تاريخ ابن خياط : ٦٤٩/٢ أنه خرج فى رجب ..) .

وبايعه من المدينة ولد علىّ ، وولد جعفر ، وولد عقيل ، وولد عمر بن الخطاب ، وولد الزبير بن العوام ، وأكثر أهل المدينة وأعراضها ، وسائر قريش ، وأولاد الأنصار ، كما بايعه خلق كثير من البادية منهم : جهينة ، ومزينة ، وسليم ، وبنو بكر ، وأسلم ، وغفار [1] ، وجاءته صدقات أسد ، وطئ ، والتى قُدِّرت بأربعة وعشرين ألف دينار فكانت قوة لمحمد النفس الزكية [2] .

خرج محمد ومعه مائتان وخمسين رجلاً ، وكان محمد - قبل خروجه - قد اتفق مع أخيه إبراهيم بالخروج فى البصرة فى ليلة واحدة ، وقد قصدا من وراء هذا الاتفاق شغل الخليفة أولاً ولكسب أنصار أكثر من العراق وخراسان ثانياً ، مما يترتب عليه نجاح هذه الحركة ثالثاً . لكن هذا الميعاد المحدَّد بينهما لم يتم على الوجه المطلوب فقد وقع الخطأ من محمد ، لأنه عَجَّلَ بالخروج [3] وكانت الأسباب التى دعته إلى ذلك ، تضييق أمير المدينة الجديد عليه ، والإلحاح المستمر من أصحابه فى الحجاز وغيره بتعجيل الخروج ، ولخوفه أن يُحدث المنصور بوالده وأعمامه أمر ، بعد أن سمع ما يعانيه السجناء من العذاب .

اتجه محمد - بعد خروجه - إلى قصر الإمارة ، وقبض على عامل المنصور بالمدينة - رياح بن عثمان - وعلى ابن مسلم بن عقبة . وسجنهما

---

(١) الطبرى : ٥٨١/٧ ، مروج الذهب : ٣٠٦/٣ ، العيون والحدائق : ٢٣٩/٣

(٢) مصعب الزبيرى : نسب قريش : ٤٢٩/٢ ، ابن حزم الأندلسى : جمهرة أنساب العرب ص ١٦٩

(٣) اختلف جمهور المؤرخين - فى أيهما الذى وقع بالخطأ . هل إبراهيم هو الذى تأخر بسبب مرضه بالجدرى ؟ أم محمد هو الذى عجَّل بالحركة ، قبل موعدها المحدد بينهما ؟ وهذا الرأى الأخير هو ما نراه ، للأسباب التى ذكرناها .

فى دار مروان ، وتوجه إلى السجن وأخرج من فيه ، واتجه بعد ذلك إلى مسجد الرسول ﷺ ، وصلّى بالناس صلاة الصبح ، وقرأ فيها سورة : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً ﴾ [١] ، ثم صعد المنبر وخطب الناس قائلاً - بعد أن حمد الله ، وأثنى عليه وصلّى على نبيه [٢] : أما بعد .. أيها الناس ؛ فإنه كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبى جعفر ما لم يخف عليكم ، من بنائه القُبّة الخضراء التى بناها معانداً لله فى مُلكه وتصغيراً للكعبة الحرام ، وإنما أخذ الله فرعون حين قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ [٣] ، وإن أحق الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين الأوّلين والأنصار المواسين .. اللّهم إنهم قد أحَلُّوا حرامك ، وحرَّموا حلالك ، وأمَّنوا مَن أخفت ، وأخافوا من أمَّنت ، اللّهم فأحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تفارق منهم أحداً .. أيها الناس ؛ إنى والله ما خرجت من بين أظهركم وأنتم عندى أهل قوة ولا شدة ، ولكنى اخترتكم لنفسى ، والله ما جئت هذه وفى الأرض مصر يُعبَد الله فيه إلا وقد أُخذَ لى فيه البيعة » .

الذى نفهمه من هذه الخطبة تهجمه الشديد على الخليفة المنصور ، لأنه اعتلى عرش الخلافة التى هى ليست من حق العباسيين - فى نظره - كما نلاحظ فى هذه الخطبة أنه لم يعتبر نفسه أحق الناس للخلافة ، بل إن أحق الناس بأمر المسلمين هم أبناء المهاجرين الأوّلين والأنصار ، والمعروف أن علياً بن أبى طالب رضى الله عنه كان من السابقين الأوّلين للهجرة ، بخلاف العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه .

---

(١) الفتح : ١

(٢) الطبرى : ٥٥٨/٧

(٣) النازعات : ٢٤

كما اعتبر النفس الزكية القُبَّة الخضراء التى بناها أبو جعفر المنصور فوق إيوانه عناداً لله فى مُلكه ، وتصغيراً للكعبة الحرام ، ولا نعلم كيف عَدَّ النفس الزكية ذلك عناداً لله وتصغيراً للكعبة الحرام ... وما وجه الشبه بين هذه القُبَّة الخضراء والكعبة الحرام ؟ شئ عجيب !

كما أشار - وبطريقة غير واضحة - إلى ما عمله الخليفة . من سجنه لوالده وأعمامه وتعذيبهم ، ومن أجل أن يكسب تأييد أهل المدينة أخبرهم أن خروجه بينهم لم يكن لقوة شوكتهم ، ولكنه اختارهم لأنه أولى من غيره بمناصرته ، ومد يد العون له ، وما ذلك إلا لأنه منهم ، أى من أبناء المهاجرين الأوَّلين . ومن أجل أن يؤكد مساعدتهم له أقسم بالله أنه لم يقم بحركته هذه إلا وجميع الأمصار الإسلامية قد بايعته .

والواقع أن الأمصار لم تبايعه ولكنها خدعة ودهاء أوقعه فيها المنصور ، حيث أرسل للنفس الزكية عدداً من الرسائل باسم ولاة الأمصار ، وكبار قادة الجيوش العباسية تبايعه وتحثه على سرعة الخروج ، وأنهم سوف ينضمون له متى قامت .

وأن هذه السياسة من المنصور لتدل فى وضوح على مدى عمق المنصور فى سياسته وبُعد نظره وسعة حيلته للوصول إلى أغراضه .

وبعد ذلك رتب عُمَّاله ، حيث ولى إمارة المدينة عثمان بن محمد بن خالد الزبير ، وعلى القضاء عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المخزومى ، وعلى بيت السلاح عبد العزيز الدراوردى ، وعلى الشرط - أبا القلمس - عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعلى ديوان العطاء عيد الله بن عبد الرحمن بن المسور بن مخزمة [1] .

---

(١) ابن الأثير : ٣/٥ : الكتبى : (مخطوطة) عيون التواريخ ص ١٧٧

وبعد أن رتب عماله أرسل إلى مكة الحسن بن معاوية - وهو من بنى عمومته آل علىّ - فى سبعين رجلاً ، وسبعة من الخيل ، ولما اقتربوا منها ، ظهر لهم أميرها السرى بن عبد الله العباسى ، ودار بين الفريقين معركة صغيرة ، انهزم فيها والى مكة العباسى ، كما قُتِل سبعة من أصحابه ، فدخل بعد ذلك الحسن بن معاوية مكة ، واتجه إلى المسجد فخطب الناس ، ودعا لمحمد النفس الزكية [1] .

أما الخليفة أبو جعفر فإنه أظهر أمام الرأى العام أنه غير مهتم بموضوع محمد وإبراهيم ، فأخذ يتنقل بين جنوب العراق وشماله بحثاً عن مكان يصلح لبناء عاصمة جديدة لحكمه (هى بغداد) .

وفيما هو منشغل فى العمل فيها ، دخل عليه ليلاً « أوس العامرى » رسول من قِبَل أمير المدينة - رياح بن عثمان - فى السابع من شهر رجب (سنة ١٤٥ هـ) فأخبره بخروج محمد بن عبد الله فلم يهتم أو يضطرب لذلك ، بل فرح به ، وقال مفتخراً : « أنا أبو جعفر ، استخرجتُ الثعلب من جُحره » [2] ، وأمر بسجن الرسول حتى يتبيَّن له الخبر ، وفى الصباح شاع فى العراق خروج محمد ، فأطلق الخليفة الرسول وأكرمه ، وأمر بإيقاف العمل فى بناء مدينته بغداد ، ليتفرغ للنفس الزكية حتى ينجلى الموقف ، وجمع أهل بيته وقُوَّاده ، ومواليه ، وخطب فيهم فقال - بعد أن حمد الله ، وأثنى عليه ، وصلَّى على النبى ﷺ :

ما لى أكفكف عن سعد ويشتمنى وإن شتمت بنـــى سعد لقد سكنوا
جهــلاً علينا وجبناً عــن عدوهــم لبئست الخصلتان : الجهل والجبن

---

(١) الطبرى ٥٧٤/٧ ، أحمد السباعى : تاريخ مكة : ١٣٨/١

(٢) الطبرى : ٥٦٤/٧ ، الفخرى ص ١٢١

« أما والله لقد عجزوا عن أمر قمنا له ، فما شكروا القائم ، ولا حمدوا الكافى ، ولقد مهدوا فاستوعروا ، وغبطوا فغمطوا ، فماذا تحاول منى ؟ أُسقى رنقاً على كدر ؟ كلا والله ، لأن أموت معزّزاً أحب إلىّ من أن أحيا مستذَلاً ، ولئن لم يرض العفو منى ليطلبن ما لا يوجد عندى ، والسعيد مَن وُعِظَ بغيره » .

ثم نزل ، فقال : يا غلام ؛ قدِّم ، فركب من فوره إلى معسكره . وقال : « اللّهم لا تكلنا إلى خلقك فنضيع ، ولا إلى أنفسنا فنعجز ، فلا تكلنا إلا إليك » [1] .

ثم أسرع إلى الكوفة وقال : « أطأ أصمختهم وأقطعهم عن إمداد محمد ابن عبد الله بن حسن فإنهم سراع إلى أهل هذا البيت » [2] فأحكم حصارها ، وحدد فيها ساعات التجول وأخذ يسأل الداخل والخارج .

أما مع أهل خراسان - الذين قلوبهم مع العلويين - فقد رأى أن يثنيهم عن مساعدة محمد ، فقتل محمد بن عبد الله - بن عمرو بن عثمان بن عفان - وهو أخ لعبد الله بن الحسن من الأم لأن أمهما فاطمة بنت الحسين ابن علىّ ، وأرسل رأسه مع جماعة من الشيعة العباسية إلى أهل خراسان ، فطافوا به فى مدن خراسان وهم يحلفون بالله أن هذا رأس محمد بن عبد الله بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ [3] ، وما ذلك إلا كذباً ودهاءً من

---

(١) المسعودى : مروج الذهب : ٣/٣٠٩ ، « الرنق » : الكدر ، أى أُسقى كدراً على كدر ، و « الكدر » خلاف الصفو ، انظر : الصحاح ، مادة « رنق ، كدر » .

(٢) البلاذرى : أنساب الأشراف : ٣/٥ ، ٢٣ ، العيون والحدائق : ٣/٢٤٠ ، و « الصماخ » : الأذن . انظر الصحاح مادة « صمخ » .

(٣) الطبرى : ٧/٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٥١ ، النويرى : (مخطوطة) أخبار مَن نهض فى طلب الخلافة من الطالبيين ورقة (٥) .

الخليفة أبى جعفر ، حتى يظن أهل خراسان أنه رأس محمد النفس الزكية ، وبهذه الحيلة التى دبرها الخليفة أبو جعفر ، استطاع أن يحول بينهم وبين قيامهم بمساندة محمد النفس الزكية ، بعد أن صدّقوا هذه الحيلة - وهى موت النفس الزكية - فسكتت ريحهم خوفاً ورهبة ، وهدأت خراسان على الرغم من أن ميولها علوية .

أما محمد النفس الزكية فقد أرسل قبل خروجه بالمدينة أبناءه وإخوته إلى الأمصار يدعون له .

فقد أرسل إلى الشام ، أخاه موسى للدعوة له ، لكن أهل الشام لم يقبلوا عليه ، وقالوا : « قد ضجرنا من الحروب ، ومللنا من القتال » ، فكتب موسى إلى محمد : « أخبرك أنى لقيت الشام وأهله ، فكان أحسنهم قولاً الذى قال : والله لقد مللنا البلاء ، وضقنا حتى ما فينا لهذا الأمر موضع ، ولا لنا به حاجة ، ومنهم طائفة تحلف لئن أصبحنا من ليلتنا وأمسينا من غد ليرفعن أمرنا ، فكتبتُ إليك ، وقد غيَّبتُ وجهى وخفت على نفسى » [1] . ثم عاد إلى المدينة ، ومنها إلى البصرة حيث أخفى نفسه ، لكن محمد بن سليمان بن علىّ عثر عليه ، وعلى ابنه عبد الله ، وبعث بهما إلى المنصور ، فضربهما بالسياط وحبسهما [2] .

أما مصر .. فقد بعث إليها ابنه علياً ، ظناً منه أن واليها حميد بن قحطبة ذو ميول علوية ، وقبل أن يصلها كان الخليفة قد عزله وولى بدلاً منه يزيد بن حاتم بن قبيصة الطائى ، فى ذى القعدة (سنة ١٤٤ هـ) . وتسامع به الناس فبايعه الكثير من أهل مصر ، وكادت هذه الدعوة تنجح

---

(١) ابن الأثير : ٧/٥ ، ابن كثير : ١٠١/١٠ ، والمخطوطة السابقة ورقة (٩) .

(٢) تاريخ ابن خلدون : ١٩١/٣

لولا وصول رأس إبراهيم ابن عبد الله الذى بعثه الخليفة بالبريد إلى مصر لإحباط هذه الدعوة ، فكان ما أراد ، فعند وصول الرأس فى ذى الحجة سنة ١٤٥ هـ ونصبه فى المسجد أياماً تخاذل الناس وقالوا : مات صاحب الدعوة محمد ، وهذا رأس أخيه إبراهيم ، فقبض يزيد بن حاتم على الداعى « علىّ بن محمد النفس الزكية » وأرسله إلى العراق ، فسجنه الخليفة ، ومات فى سجنه هذا [١] .

وأما فى اليمن .. فقد أرسل إليها ابنه الحسن ، إلا أن والى اليمن من قِبَل المنصور علم به وبدعوته ، فقبض عليه ، وسجنه ، فمات فى السجن [٢] .

وفى خراسان .. أرسل محمد ابنه عبد الله ، لكن جواسيس المنصور التى كانت على كل شبر من خراسان لمراقبة تحركات العلويين ودعوتهم ، أبلغت خبر عبد الله هذا إلى الوالى العباسى ، ولما طلبه هرب إلى السند حيث لقى مصرعه هناك [٣] .

أما فى العراق .. فقد أرسل أخاه إبراهيم ، فاتجه إلى الكوفة لكنه تحول عنها إلى البصرة خوفاً من غدر أهلها ، وقربها من الخليفة ، الذى بَثَّ فيها عيونه وأرصاده ، كما سنذكر ذلك - إن شاء الله تعالى - بالتفصيل عن هذه الحركة . فى الفصل التالى .

---

(١) الكندى : الولاة والقضاة ص ١١١ - ١١٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ٢ / ١ ، ٢

(٢) المسعودى : مروج الذهب : ٣٠٧/٣ ، ٣٠٨

(٣) الزبيرى : نسب قريش : ٥٣/٢ ، ٥٤ ، البلاذرى : أنساب الأشراف : ٣٨/٣ ، مروج الذهب : ٣٠٧/٣

وفى ختام هذا الموضوع نقول : إن محمداً لم يكن موفقاً فى اختيار الزمان حيث الدعوة لم تنتشر ... ولم تتمكن من قلوب الناس ، كما أن الوفود التى أرسلها إلى الأقاليم ، باءت بالفشل ، لأنهم قد صرَّحوا بعلانية الدعوة مما مكَّن ولاة المنصور فى تلك الأمصار إلى القبض عليهم فقُتِل بعضهم وسُجِن البعض الآخر .

كما يظهر أنه لم يقم بالاستعداد للخروج إلا متآخراً وبعد أن ضُيِّق عليه الخناق من قِبَل رياح بن عثمان ومَن لفَّ لفه ، حيث انتشرت الشُرُط والجواسيس فى كل مكان ، حتى وصل به شدة الخوف ، إلى اختفائه فى بعض آبار المدينة .

ونعتبر أنه قام فعلاً بالدعوة لنفسه ، عندما أخذ أبو جعفر المنصور والده وأعمامه ، وسجنهم وعذَّبهم ، فلو كانت لمحمد دعوة سابقة ، قد تعمقت فى نفوس الناس ، وكان له مناصرين فى الأمصار متأهبين فعلاً للثورة ، لما حاول أن يسلم نفسه لأبى جعفر ، عندما أخذ والده وأعمامه فى أوائل سنة ١٤٥ هـ .

كما أن المكان هو الآخر لم يكن موفقاً فيه ، فالمدينة المنوَّرة ليست مكاناً صالحاً للثورات ، وقد سبقت ثورته - هذه - عدة ثورات وانتفاضات فى المدينة ولم تستطع الدفاع عن نفسها ، وكان من الأولى أن يكون ذلك عبرة له ، كما أنه من السهل جداً حصار المدينة اقتصادياً ، حيث تعتمد فى اقتصادها على مصر والشام ، فيكون سقوطها سريعاً فى أيدى العدو ، ثم إن الحجاز يقع بوسط سلسلة جبال تحيط به الصحارى والرمال ، وبعيد عن العراق مما يصعب معه مساعدة أى ثورة تشب فيه ، ولذلك أشار عليه جماعة من أصحابه - ممن مارسوا الحرب - أن يسير إلى مصر ، ليعلن

حركته هناك حيث « الخيل والطعام والرجال والسلاح والمال ... » [1] إلا أنه لم يستجب لتوجيهاتهم مما أدى إلى فشل الحركة .

* * *



(١) مقاتل الطالبيين ص ٢٦٨

• الرسائل ودراستها :

يدأ أبو جعفر المنصور بمراسلة محمد النفس الزكية بهدف حل النزاع سلمياً ، ولعله كان يقصد من وراء هذه السياسة أموراً نلخصها فيما يأتى :

١ – تحميل النفس الزكية مسئولية ما سيكون .

٢ – وليبرئ نفسه أمام الناس ، ولا سيما المتعاطفين مع القضية العلوية .

٣ – وليكسب من وراء ذلك رضا أهل الحجاز ولا سيما أبناء المهاجرين والأنصار .

٤ – وليجعل من نفسه الإنسان المتدين المؤمن باللّه الذى يجنح إلى السِلم .

٥ – كما قصد من وراء هذه المراسلات إرضاء العلماء والفقهاء ، حتى يعتبرون النفس الزكية ، خارجاً على الدولة ، يستحق على ذلك القتل حسب ما نصّت عليه الشريعة الإسلامية .

٦ – وليعطى نفسه الفرصة أكثر ليجمع قوات خراسانية لا تتعاطف مع أهل الحجاز .

٧ – ولتأثير الحصار الاقتصادى على المدينة ، فقد أسرع فى حصارها براً وبحراً لأن اقتصادها يعتمد على مصر والشام ، وبذلك يمنع عنها الأمداد والمساعدة ، مما يساعد على النصر .

ومن أجل ذلك دخل الخليفة أبو جعفر فى سلسلة من المراسلات مع محمد النفس الزكية ، وابتدأ الخليفة الرسالة الأولى بآى من القرآن الكريم فقال : « بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ، من عبد اللّه ، عبد اللّه أمير المؤمنين ،

إلى محمد ابن عبد الله : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلاَفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ، فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [1] .

ولك عليَّ عهد الله وميثاقه وذمة رسوله ﷺ إن تبتَ ورجعتَ من قبل أن أقدر عليك أؤمنك وجميع ولدك ، وإخوتك وأهل بيتك ، ومن اتبعكم على دمائكم وأموالكم ، وأسوغك ما أصبت من دم أو مال وأعطيك ألف ألف درهم ، وما سألتَ من الحوائج ، وأنزلك من البلاد حيث شئت ، وأن أطلق مَن فى حبسى من أهل بيتك ، وأن أؤمن كل مَن جاءك وبايعك واتبعك ، أو دخل معك فى شئ من أمرك ، ثم لا أتبع أحداً منهم بشئ كان منه أبداً ، فإن أردتَ أن تتوثق لنفسك ، فوَجِّه إليَّ مَن أحببت يأخذ لك من الأمان والعهد والميثاق ما تثق به » [2] .

* *

● دراسة رسالة الخليفة :

نرى الخليفة يميل إلى طلب السلم ، ويعمل من أجله ، كما يسعى إلى نبذ الخلافات ، وعدم إراقة دماء المسلمين ، كما نلمح فى رسالة المنصور مزيجاً من الاتهامات للنفس الزكية وأنه يعتبره خارجاً على شريعة الله ، فهو فى نظره أشبه بقُطَّاع الطرق ، مستشهداً على ذلك بقول الله تعالى :

---

(١) المائدة : ٣٣ - ٣٤

(٢) الطبرى : ٥٦٦/٧

﴿ إنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلاَفٍ ﴾ ... الآية ، كما تحمل معنى الوعد ، فقد وعده فى الرسالة بالعفو عنه ، وإعطاؤه العهود والمواثيق ، من كل خطر قد يمسه من الخليفة .

كما هدده بالقتل إذا لم يستجب لما فى الرسالة ، كما يُفهم ذلك من قوله له : « إن تبتَ ورجعتَ من قبل أن أقدر عليك ... » ، فظاهر هذه الرسالة يدعو إلى السِلم والمصالحه ، وباطنها التهديد والوعيد بالقتل ، وإذا جاز لنا التعبير نسمى هذه الرسالة « صفارة الإنذار » .

ويذكر الخليفة للنفس الزكية فى هذه الرسالة ، أنه سوف يعفيه ما أصاب من دم أو مال ، والخليفة أخطأ بذلك ، فليس له - ولا لغيره - الحق أن يعطل حداً من حدود الله ، فالقاتل المتعمد فى الشريعة الإسلامية يُقتل ، كما أن السارق الذى انطبقت عليه شروط السرقة تُقطع يده ، ولا أحد من الناس معفىٌ من ذلك ، مهما كانت منزلته ، فليست الحدود على الضعفاء دون الأغنياء والأشراف ، فأين هو من قول الرسول ﷺ : « وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها » [(١)] .

* * *

● رد محمد النفس الزكية على رسالة المنصور [(٢)] :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ، من عبد الله المهدى ، محمد بن عبد الله ، إلى عبد الله بن محمد : ﴿ طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُواْ

---

(١) صحيح مسلم : ١٣١٥/٣ ، حديث رقم (٨ ، ٩) : كتاب الحدود ، صحيح البخارى : ١١٥/٤ : كتاب الحدود .

(٢) الطبرى : ٥٦٧/٧

عَلَيْكَ من نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بالحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِى الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِى نِسَاءَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ المُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ فِى الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ مِن الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴾ [١] .

وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذى عرضتَ علىَّ ، فإن الحق حقنا ، وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا ، وإن أبانا علياً كان الوصى ، وكان الإمام ، فكيف ورثم ولايته وولده أحياء ، ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحد ، له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا ، لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ، ولا الطُلقاء ، وليس يمت أحد من بنى هاشم بمثل الذى نمت به من القرابة والسابقة والفضل ، وإنَّا بنو أم رسول الله ﷺ ، فاطمة بنت عمرو فى الجاهلية ، وبنو بنته فاطمة فى الإسلام دونكم أن الله اختارنا واختار لنا ، فوالدنا من النبيين محمد ﷺ ، ومن السَلَف أولهم إسلاماً علىّ ، ومن الأزواج أفضلهن خديجة الطاهرة ، وأول مَن صلّى القِبْلة من البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولودين فى الإسلام حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وأن هاشماً ولد علياً مرتين [٢] ، وأن عبد المطلب ولد حسناً مرتين [٣] ، وأن رسول الله ﷺ ولدنى مرتين من قبل حسن وحسين ، وإنى أوسط بنى

---

(١) القصص : ١ - ٦

(٢) يعنى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وعلياً زين العابدين بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب .

(٣) يعنى جده وأبا جده ؛ فهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب .

هاشم نسباً ، وأصرحهم أباً ، لم تعرق فىَّ العجم ، ولم تنازع فىَّ أمهات الأولاد ، فما زال الله يختار لى الآباء والأمهات فى الجاهلية والإسلام ، حتى اختار لى فى النار ، فأنا ابن أرفع الناس درجة فى الجنة ، وأهونهم عذاباً فى النار ، وأنا ابن خير الأخيار ، وابن خير الأشرار ، وابن خير أهل الجنة ، وابن خير أهل النار ، ولك الله علىّ إن دخلتَ فى طاعتى ، وأجبتَ دعوتى ، أن أؤمنك على نفسك ومالك وعلى كل أمر أحدثته ، إلا حداً من حدود الله ، أو حقاً لمسلم أو معاهد ، فقد علمتَ ما يلزمك من ذلك ، وأنا أولى بالأمر منك وأوفى بالعهد لأنك أعطيتنى من العهد والأمان ما أعطيته رجالاً قبلى ، فأى الأمانات تعطينى ، أمان ابن هبيرة ، أم أمان عمك عبد الله بن علىّ ، أم أمان أبى مسلم » .

* *

• دراسة رسالة محمد ردا على رسالة الخليفة :

لم يبدأ النفس الزكية رسالته بأمير المؤمنين كما فعل أبو جعفر ، بل سمى نفسه المهدى ، وهى الفكرة الجذابة التى تستهوى أفئدة العامة من الناس ، سواء أكانوا عرباً ، أو موالى ، ولا سيما المظلومين منهم .

كما شبَّه محمد أبا جعفر بفرعون موسى الذى علا واستكبر ، وكان من المفسدين ، كما يرى أن الخلافة هى حق من حقوقهم ، وأن العباسيين لم يصلوا إلى الخلافة ولم ينالوها إلا باسم العلويين ، حيث خدعوا الجماهير بشعار الدعوة - لآل البيت ، أو آل محمد - وهذا الشعار عند عامة الناس لا يعنى إلا العلويين فقط . فصار الفضل فضلهم ، والشيعة التى ساعدتهم على الوصول إلى الخلافة هى شيعتهم .

ويقول إن علياً هو الوصى والوارث للرسول ﷺ ، وقد ورثتم هذه الولاية مع وجود ولده أحياء ، وهو فى هذا يعتبر الخلافة تورث . وهذا خطأ ، فالرسول ﷺ لا يورث فى ماله ، فضلاً عن الولاية .

ثم الخلافة لو كانت لعليٍّ رضى الله عنه بالوصاية كما ادّعى محمد لما أجمع الصحابة رضوان الله عنهم على مبايعة أبى بكر الصدِّيق فى السقيفة ، ومن بعده بايعوا عمر بن الخطاب ، ومن بعدهما عثمان بن عفان ، فهل الصحابة بذلك يكونوا قد خالفوا أمر الرسول ﷺ ، وهو عمل غير مقبول ، ويُعتبر مستحيلاً بالنسبة لصحابة رسول الله ﷺ المهاجرين منهم والأنصار .

ويفتخر محمد على أبى جعفر بأنه ليس من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء ، أما « اللعناء » و « الطرداء » فهم الذين حاربوا الرسول ﷺ ، أما « الطُلقاء » فهم كفار مكة ممن أسلم بعد فتح مكة (سنة ٨ هـ) ، وهذا الادعاء غير مقبول ، فكيف يتهم العباس بأنه من الطلقاء والمعروف أنه أسلم قبل فتح مكة . وأما حربه للرسول ﷺ فى بدر ، فقد خرج مُكْرهاً ولذلك مَنَّ عليه الرسول بعد أسره لأنه يعلم بأنه خرج مُكَرهاً . ثم إن هذه الأوصاف التى وصف بها محمد العباس ، لو كانت حقيقة - كما ادعى محمد - لا تجعل العباس ولا أولاده لا يستحقون الخلافة : « فالإسلام يَجُبُّ ما قبله » .. أو كما قال صلى الله عليه وسلم [١] .

كما ذكر محمد أنه من نسل فاطمة - رضى الله عنها - ابنة الرسول ﷺ فأحقيته للخلافة جاءت عن طريقين هما : فاطمة وعلىّ الذى تربى فى بيت الرسول ﷺ ، ومن السابقين إلى الإسلام ، وهذا مردود ! فليس لفاطمة ولا لعلىٍّ رضى الله عنهما الحق أن يرثا أو يورثا الخلافة ، فالخلافة لا تُورث .

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٤/١٩٩ ، ٢٠٤ نقلاً عن : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث (لمجموعة من المستشرقين) : ١/٣١٦ . وانظره فى الذهبى : سير أعلام النبلاء : ٣/٤١

وافتخر محمدٌ على أبى جعفر بنسبه الصريح ، فهو ابن لأم عربية حُرَّة ، ولم يكن بين أمهاته أَمَة ، أما الخليفة فهو ابن لأَمَة بربرية تدعى « سلأمة » . والإسلام لا يعترف بأفضلية الأبيض على الأسود ولا العربى على الأعجمى إلا بالتقوى .

واستهزأ محمد بالأمانات التى أعطاها الخليفة لعمه عبد اللّه بن علىّ ، ولأبى مسلم ، ويزيد بن هبيرة ، فقد أعطى الخليفة لهؤلاء الأمانات على أنفسهم ثم قتلهم .

وهذا الموضوع المتعلق بأمر الخلافة قد أفاض فيه العلأمة عبد الرحمن بن خلدون فى مقدمته ، وقد وضع لها الأسس والشروط التى يجب توافرها فى الخلافة ، فمن أراد المعرفة والاستزادة من هذا فليرجع إلى الباب الأول فى مقدمة ابن خلدون تحت عنوان « الخلافة » .

وفى ختام دراسة هذه الرسالة ، نلاحظ تمسك محمد بحدود اللّه ، وذلك ليبرر تمسكه بتطبيق الشريعة الإسلامية ، كيف لا وهو - يعتبر نفسه - المهدى الذى سينقذ الأمة من الظلم والعسف والجور .

☼ ☼ ☼

• رد الخليفة على رسالة محمد :

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ، أما بعد .. فقد بلغنى كلامك ، وقرأتُ كتابك ، فإذا جُلَّ فخرك بقرابة النساء ، لتضل به الجفاة والغوغاء ، ولم يجعل اللّه النساء كالعمومة والآباء ، ولا كالعصبة والأولياء ، لأن اللّه جعل العم أباً ، وبدأ به فى كتابه على الوالدة الدنيا ، ولو كان اختيار اللّه لهن على قدر قرابتهن كانت آمنة أقربهن رحماً ، وأعظمهن حقاً ، وأول مَن يدخل الجنة غداً ، ولكن اختيار اللّه لخلقه على علمه لما مضى منهم واصطفائه لهم .

وأما ما ذكرتَ من فاطمة أم أبى طالب وولادتها ، فإن اللّه لم يرزق أحداً من ولدها الإسلام لا بنتاً ولا ابناً ، ولو أن أحداً رُزِقَ الإسلام بالقرابة رُزِقَه عبد اللّه أولاهم بكل خير فى الدنيا والآخرة ، ولكن الأمر للّه يختار لدينه مَن يشاء ، قال اللّه عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١) . ولقد بعث اللّه محمد عليه السلام وله عمومة أربعة ، فأنزل اللّه عزّ وجلّ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ (٢) .

فأنذرهم ودعاهم ، فأجاب اثنان أحدهما أبِى ، وأَبَى اثنان أحدهما أبوك ، فقطع اللّه ولايتهما منه ، ولم يجعل بينه وبينهما إلاًّ ولا ذمَّةً ولا ميراثاً ، وزعمتَ أنك ابن أخف أهل النار عذاباً ، وابن خير الأشرار ، وليس فى الكفر باللّه صغير ، ولا فى عذاب اللّه خفيف ولا يسير ، وليس فى الشر خيار ، ولا ينبغى لمؤمن يؤمن باللّه أن يفخر بالنار وسترد فتعلم ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (٣) .

وأما ما فخرتَ به من فاطمة أم على وأن هاشماً ولده مرتين ، ومن فاطمة أم حسن ، وأن عبد المطلب ولده مرتين ، وأن النبى ﷺ ولدك مرتين ، فخير الأوَّلين والآخرين رسول اللّه ﷺ ، ولم يلده هاشم إلا مرة ولا عبد المطلب إلا مرة .

وزعمتَ أنك أوسط بنى هاشم نسباً ، وأصرحهم أماً وأباً ، وأنه لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أُمهات الأولاد ، فقد رأيتك فخرتَ على بنى هاشم طراً ، فانظر - ويحك - أين أنت من اللّه غداً ! فإنك قد تعديتَ

---

(١) القصص : ٥٦

(٢) الشعراء : ٢١٤

(٣) الشعراء : ٢٢٧

طورك ، وفخرتَ على مَن هو خير منك نفساً وأباً وأولاً وآخراً ، إبراهيم بن رسول الله ﷺ ، وعلى والد ولده ، وما خيار بنى أبيك خاصة وأهل الفضل منهم إلا بنو أمهات أولاد ، وما وُلِدَ فيكم بعد وفاة رسول الله ﷺ أفضل من عليّ بن حسين وهو لأم ولد ، ولهو خير من جدك حسن بن حسن ، وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن على ، وجدته أم ولد ، ولهو خير من أبيك ، ولا مثل ابنه جعفر وجدته أم ولد ، ولهو خير منك .

وأما قولك إنكم بنو رسول الله ﷺ ، فإن الله تعالى يقول فى كتابه : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِجَالِكُمْ ﴾ [1] ، ولكنكم بنو ابنته وإنها لقرابة قريبة ، ولكنها لا تحوز الميراث ، ولا ترث الولاية ، ولا تجوز لها الإمامة ، فكيف تُوَرَّث بها ! ولقد طلبها أبوك بكل وجه فأخرجها نهاراً ، ومرضها سراً ، ودفنها ليلاً .. فأبى الناس إلا الشيخين وتفضيلهما ، ولقد جاءت السُنَّة التى لا اختلاف فيها بين المسلمين أن الجد أبا الأم والخال والخالة لا يرثون .

وأما ما فخرتَ به من عليٍّ وسابقته ، فقد حضرت رسول الله ﷺ الوفاة ، فأمر غيره بالصلاة ، ثم أخذ الناس رجلاً بعد رجل فلم يأخذوه ، وكان فى الستة فتركوه كلهم دفعاً له عنها ، ولم يروا له حقاً فيها ، أما عبد الرحمن فقدَّم عليه عثمان ، وقُتِل عثمان وهو له متهم ، وقاتله طلحة والزبير ، وأبى سعد بيعته ، وأغلقَ دونه بابه ، ثم بايع معاوية بعده ، ثم طلبها بكل وجه وقاتل عليها ، وتفرَّق عنه أصحابه ، وشك فيه شيعته قبل الحكومة ، ثم حكَّم حَكَمين رضى بهما ، وأعطاهما عهده وميثاقه ، فاجتمعا على خلعه ، ثم كان حسن فباعها من معاوية بخرق ودراهم ، ولحق بالحجاز ، وأسلم شيعته بيد معاوية ، ودفع الأمر إلى غير أهله ، وأخذ مالاً من غير

---

(1) الأحزاب : ٤٠ .

ولائه ولا حِلّه ، فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه ، ثم خرج عمك حسين بن عليّ ، على ابن مرجانة ، فكان الناس معه عليه حتى قتلوه ، وأتوا برأسه إليه ، ثم خرجتم على بنى أمية ، فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل ، وأحرقوكم بالنيران ، ونفوكم من البلدان حتى قُتِل يحيى بن زيد بخراسان ، وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء ، وحملوهم بلا وطاء فى المحامل كالسبى المجلوب إلى الشام ، حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثأركم ، وأدركنا بدمائكم وأورثناكم أرضهم وديارهم ، وسنينا سلفكم وفضلناه ، فاتخذتَ ذلك علينا حُجَّة .

وظننتَ أنَّا إنما ذكرنا أباك وفضَّلناه للتقدمة منا له على حمزة والعباس وجعفر ، وليس ذلك كما ظننتَ ، ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين متسلماً منهم ، مجتمعاً عليهم بالفضل ، وابتُلِىَ أبوك بالقتال والحرب وكانت بنو أمية تلعنه كما تلعن الكفرة فى الصلاة المكتوبة ، فاحتججنا له ، وذكَّرناهم بفضله ، وعنفناهم وظلمناهم بما نالوا منه ، ولقد علمتَ أن مكرمتنا فى الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم ، وولاية زمزم فصارت للعباس من بين إخوته ، فنازَعنا فيها أبوك ، فقضى لنا عليه عمر ، فلم نزل نليها فى الجاهلية والإسلام ، ولقد قحط أهل المدينة فلم يتوسل عمر إلى ربه ولم يتقرب إليه إلا بأبينا حتى نعشهم الله وسقاهم الغيث ، وأبوك حاضر لم يتوسل به ، ولقد علمتَ أنه لم يبق أحد من بنى عبد المطلب بعد النبى ﷺ غيره ، فكان وارثه من عمومته ، ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بنى هاشم فلم ينله إلا ولده ، فالسقاية سقايته ، وميراث النبى له ، والخلافة فى ولده ، فلم يبق شرف ولا فضل فى جاهلية ولا إسلام فى دنيا ولا آخرة إلا والعباس وارثه ومورثه ، وأما ما ذكرتَ من بدر ، فإن الإسلام جاء والعباس يمون أبا طالب وعياله ، وينفق عليهم للأزمة التى أصابته ، ولولا أن العباس أُخْرِجَ إلى بدر كارها ، لمات طالب وعقيل جوعاً ، وللحسا جفان

عُتبة وشيبة ، ولكنه كان من المطعمين ، فأذهب عنكم العار والسُبَّة ، وكفاكم النفقة والمؤونة ، ثم فدى عقيلاً يوم بدر ، فكيف تفخر علينا ، وقد عُلناكم في الكفر ، وفديناكم من الأسر ، وحُزْنا عليكم مكارم الآباء ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبنا بثأركم فأدركنا منه ما عجزتم عنه ، ولم تدركوا لأنفسكم ، والسلام عليك ورحمة الله » [(١)] .

* *

• دراسة رسالة الخليفة للنفس الزكية :

رد أبو جعفر على محمد النفس الزكية فكان مما قال له في قرابة النساء التي فخر بها عليه : إن العم بمكان الأب ، فتكون قرابة العمومة - وهو العباس - أقرب من قرابة النساء - يقصد فاطمة - ولأن العباس أصبح أباً لفاطمة - رضى الله عنها - بعد أن انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، فتكون الولاية أقرب لنا منك ، لأنها جاءت عن طريق العباس ، وهو عم الرسول وعصبه ، كما أن الولاية لا تكون للنساء وإنما للذكور ، وكان العباس قد استجاب لدعوة محمد ﷺ إلى الإسلام ، أما جدك (أبو طالب) فقد أبى إلا الكفر ، ولذلك قطعت ولايته وميراثه .

كما امتدح أبو جعفر الحسين بن عليّ ، وفضّله على أخيه الحسن بن على ... وفضّل جعفراً الصادق على محمد النفس الزكية [(٢)] ، وما كان ذلك من أبي جعفر المنصور ، إلا ليرد افتخاره عليه ، كما رَدَّ على النفس الزكية ادعاءه أنه ابن عليّ بن أبي طالب - وهو من السابقين إلى الإسلام - بأن

---

(١) الطبرى : ٧/٥٦٨

(٢) وأمه عربية هي : هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن قصي بن كلاب ، أما جدة جعفر الصادق فإنها فارسية (نسب قريش : ٢/٥٣) .

الرسول ﷺ عندما حضرته الوفاة أمر أبا بكر ليصلى بالناس واختاره المهاجرون والأنصار خليفة وتركوا أباك ، ثم اختاروا بعده عمر بن الخطاب . وكان أبوك من الستة الذين رشحهم عمر للخلافة فرشحوا عثمان وتركوه ، لأنهم لم يروا له أحقية .

وذكَّر أبو جعفر محمداً بقصة جده الحسن بن علىّ عندما تنازل عن الخلافة مقابل ما فى بيت مال الكوفة [1] ، وعدَّ الخليفة ذلك أن الحسن قد باع الخلافة لمعاوية وقبض ثمنها ، ولذلك قال : « فإن كان لكم فيها شئ فقد بعتموه وأخذتم ثمنه » وقد أخطأ الخليفة فى هذا القول . وهو مردود - فى رأينا - لأن الحسن لم يبع الخلافة ، فالخلافة ليست متاع يُباع ويُشترى ، ولكن الحسن رأى أنه من الأصلح للأمة أن يتنازل عن الخلافة حقناً لدماء المسلمين بعد أن غدر به أهل الكوفة .

كما ذكَّرَ الخليفةُ النفسَ الزكية بما عمله الأمويون بأهل بيته من طرد وسجن وقتل ، وقال له : ولما عجزتم قمنا بالأخذ بالثأر لكم ، فكيف تحسدوننا وتطلبون هذا الأمر منا وهو حق لنا دونكم . وأخبره أن للعباس فضائل فى الجاهلية والإسلام ما لم تكن لجده أبى طالب كما أن عمر بن الخطاب إستغاث بالعباس عندما نزل القحط بأهل الحجاز [2] وكان أبوك - علىّ بن أبى طالب - موجود ، فلم يتوسل به عمر ، وهذا يدل على منزلة العباس .

---

(١) خمسة آلاف ألف درهم (ابن الأثير : ٢٠٣/٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان : ٦٦/٢) .

(٢) عام الرمادة سنة ١٨ هـ ، وقد تسابق الشعراء فى مدح العباس وعدُّوا ذلك من الكرامات وأنه وارث النبى ﷺ . انظر ذلك فى : نهاية الأرب فى فنون الأدب - للنويرى : ٢١٧/١٨

ووصف أبو جعفر العباس أنه وارث محمد ﷺ لأن النبى ﷺ لم يعقب ذكراً . فقرابة العلويين من جهة فاطمة ، والمرأة - حسب ما نصَّت عليه الشريعة الإسلامية - لا تتولى إمامة المسلمين ، والعباس أقرب الناس له . وكأن الخلافة فى نظر الخليفة تورث ، فالنبى ﷺ لا يورث فى ماله ، فكيف يورث فى الولاية ، والعباسيون يروون أحاديث وينسبونها لرسول الله ﷺ أنه قال للعباس : « الخلافة فى ولدك » .

ويرد على محمد النفس الزكية عندما وصف العباس أنه من اللعناء والطرداء ، بأن العباس حقيقة خرج إلى بدر ، ولكنه كان لهذا كارهاً ، ولو لم يخرج لبدر لمات طالب وعقيل جوعاً [1] ، كما فدى عقيلاً من الأسر يوم بدر ، فنحن أفضل منكم وأهل مكارم عليكم فى الأول والآخر .

ويذكر الهمدانى هذه الرسائل المتبادلة بين الخليفة ومحمد النفس الزكية فى مخطوطته « الحدائق الوردية » [2] ولكنه ينفرد عن غيره بذكر رسالة رابعة ، يقول إن اسمها « الدامغة » [3] وهى رسالة جوابية من محمد النفس الزكية ، على رسالة الخليفة الأخيرة ، وفيها ركَّز بالرد على قول الخليفة : إن محمداً ليس له حق فى الخلافة لأن أحقيته هذه جاءت عن طريق النساء ، ويُكثر فى هذه الرسالة التى ذكرها الهمدانى ونسبها لمحمد ذكر الآيات الكريمة ، وهى رسالة طويلة ، ولعدم ثقتنا بصحة هذه الرسالة ، آثرنا الإعراض عن ذكرها ، والتعليق عليها ، وذلك لعدم ذكرها فى مصادرنا التاريخية وحتى الأدبية ، ولأن الهمدانى ذو ميول علوية زيدية متطرفة ، ويبدو لنا ذلك فى مخطوطته هذه .

---

(١) أنظر : محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) المُحبَّر ص ١٦٢

(٢) من ورقة ١٤٦ - ١٤٨

(٣) نفس المخطوطة ورقة (١٤٨ ، ١٤٩) .

ويظهر لنا بعد دراسة هذه الرسائل أن كُلاً من أبى جعفر المنصور ومحمد النفس الزكية قد أخطأ فى إدعائه بأحقيته فى الخلافة ، فقد ذهب كل واحد منهما أن الخلافة حق له من حقوقه المشروعة والواجبة لأنه وارثها من النبى ﷺ وكأن الخلافة فى نظرهما متاعاً يورث ، لذلك نستطيع أن نقول إن دعوتهما فى أحقية الخلافة باطلة لأنها لا تعتمد على أساس شرعى حتى نُسلِّم بها .

لما عرف الخليفة أبو جعفر أن هذه الرسائل لم تجد نفعاً لم يبق أمامه إلا اللقاء ، فالسيف هو الذى يحل هذا الخلاف حيث لم يبق سواه ، بعد أن استنفد كل وسائل السِلم [١] .

* * *

---

(١) قبل أن ننهى هذا الموضوع عن الرسائل ، نحب أن نقول إن هذه الرسائل المتبادلة بين أبي جعفر المنصور ومحمد النفس الزكية ، ذُكِرت في عدة مصادر تاريخية متقدمة مهمة وإن اختلفت هذه المصادر فى سياق هذه الرسائل ، لكنها متفقة فى النص العام فقد ذكرها البلاذرى فى أنسابه : (٣/٥ - ٩) ، والمبرد فى الكامل : (٣٨٢/٢ - ٣٨٨) ، والطبرى فى تاريخه : (٥٦٦/٧ - ٥٧١) ، والأزدى فى تاريخ الموصل : (ص ١٨٢ - ١٨٧) ، والعيون والحدائق : (٢٤٠/٣ - ٢٤١) ، وابن الأثير فى الكامل : (٥/٥ - ٧) ، والنويرى فى مخطوطة : أخبار مَن نهض فى طلب الخلافة من الطالبين : (ص ٧ - ٩) ، والكتبى فى مخطوطة : عيون التواريخ : (ص ١٧٩ - ١٨٣) ، وابن كثير فى البداية والنهاية : (١٠ / ٩٨ - ١٠٠) ، كما ذكرها التبريزى ، وابن الجوزى ، والذهبى وقد سماها أبو جعفر المنصور « تقارع على الأحساب » ، ويقول الكتبى : « إن فيها فصاحة وبلاغة » ، أما تعليق ابن خلدون عنها : « إنها تتعلق بالأنساب والأحوال » وقال عنها ابن كثير : « إن فيها بحث ومناظرة وفصاحة » وأقرب النصوص إلى نص الطبرى ما ذكره القلقشندى فى صبح الأعشى : (٣٣١/١ - ٣٣٥) والأزدي في تاريخ الموصل ، والمبرد فى كتاب =

• أحداثها ونتائجها :

أدرك الخليفة أن الرسائل لم تجد نفعاً بينه وبين محمد النفس الزكية فأخذ في مشاورة معاونيه على مَن يتولى قيادة الجيش للقاء محمد النفس الزكية ، فأشاروا عليه بولى عهده وابن أخيه ، عيسى بن موسى بن محمد ابن عليّ ، فوجد الخليفة فيه ضالته المنشودة لملاقات النفس الزكية ، ولهدف آخر فى نفس المنصور ، هو تحويل ولاية العهد إلى ابنه محمد المهدى إذا ما هُزِمَ وغُلِبَ عيسى أمام النفس الزكية ، وقال : « لا أبالى أيهما قتل الآخر » [1] وأراد أن يضرب عصفورين بحجر واحد .

أرسل الخليفة إلى ابن أخيه عيسى وأسند إليه قيادة الجيش للقاء محمد فقال عيسى : شاور عمومتك يا أمير المؤمنين ، فقال أبو جعفر : « امض أيها الرجل ، فواللّه ما يُراد غيرى وغيرك ، فإما أن تخرج إلى محمد ، أو أخرج أنا ، فقال عيسى : بل أقيك بنفسى يا أمير المؤمنين ، وأكون الذى يخرج إليه ، فجهَّز له جيشاً من أربعة آلاف مقاتل [2] وكان معظم جنوده من الخراسانيين بقيادة حميد ابن قحطبة الطائى [3] ، ولما عزم على الخروج قال له الخليفة : « يا أبا موسى ؛ إذا صرتَ إلى المدينة ، فادع محمد بن عبد اللّه بن الحسن إلى الطاعة ، والدخول فى الجماعة ، فإن

= الكامل ، ولم يذكر الأصفهانى هذه الرسائل ، لا بقليل ولا بكثير ولعل قصده أن لا يذكر ما يدلل على عدم بيعة المنصور لمحمد النفس الزكية ، ولميوله العلوية أثبت هذه البيعة ، وأعرض عن ذكر الرسائل بينهما .

(١) الذهبى : دول الإسلام : ٩٨/١

(٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٣٩٥ ، تاريخ الموصل ص١٨٧ ، الذهبى : دول الإسلام : ٩٨/١

(٣) الطبرى : ٥٧٩/٦

أجابك فاقبل منه ، وإن هرب منك فلا تتبعه ، وإن أبى إلا الحرب فناجزه ، واستعن بالله عليه ، فإن ظفرتَ به فلا تخيفن أهل المدينة ، وأعمهم بالعفو ، فإنهم الأهل والعشيرة ، وذُرِّية المهاجرين والأنصار ، وجيران قبر النبى ﷺ ، فهذه وصيتى إياك ، لا كما أوصى يزيد بن معاوية قائده مسلم ابن أبى عقبة حين وجَّهه إلى المدينة ، وأمره أن يقتل مَن يظهر له إلى ثنية الوداع ، وأن يبيحها ثلاثة أيام ففعل ، ثم اكتب إلى أهل مكة بالعفو عنهم والصفح ، فإنهم آل الله وجيرانه وسكان حرمه وأمنه ، ومنبت القوم والعشيرة ، وعَظِّم البيت والحرم ، لا تُلْحِد فيه بظلم فإنه حرم الله الذى بعث منه نبيه صلى الله عليه وسلم وشرف به آباءنا لتشريف الله إيانا ، فهذه وصيتى لا كما أوصى به الذى وجَّه الحجاج إلى مكة ، فأمره أن يضع المجانيق على الكعبة ، وأن يُلْحِد فى الحرم بظلم ففعل ذلك » . وأخذ المنصور يكرر عليه الرحمة وعدم الشدة بأهل الحجاز حتى مَلَّ عيسى من كثرة هذه الوصايا وقال : يا أمير المؤمنين ؛ إلى كم توصينى ؟ [1] .

لا شك أنه قد ظهر لنا صدق هذه الوصية وفعاليتها عند الخليفة ، حيث إن القائد التزم بكل ما جاء فيها ، فقد عسكرَ على مشارف المدينة ثلاثة أيام ، يطلب من النفس الزكية التسليم ، دون اللجوء إلى إراقة الدماء ، كما نفَّذَ قول الخليفة له - أيضاً - : « فلا تخيفن أهل المدينة ، وأعمهم بالعفو » فقد عفى عن مسيئهم ، ولم يتبع هاربهم ، وأعاد لأهل المدينة أمنهم ، فعادت المدينة إلى حالتها الطبيعية وكأن لم يحدث من ذلك شئ ، كما يبرز لنا فى هذه الوصية مثالية الخليفة الدينية والخُلُقية ورغبته فى عدم إثارة حقد الحجازيين عليه ، كل هذا يعطينا شاهداً على نوايا الخليفة الصادقة وأن ما تضمنته هذه الوصية أصبح حقيقة واقعية .

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٥/٨٦ ، ٨٧ .

أما محمد النفس الزكية - فى ذلك الوقت - فقد استشار أصحابه ، هل يقيم بالمدينة ويقاتل فيها جيش المنصور عند قدومه ، أو يخرج بمن معه إلى العراق ، حيث يقاتل المنصور فى عاصمته ، فأستقر الرأى على المقام بالمدينة ، وقال المتحمسون لهذا الرأى : إن الرسول ﷺ ندم يوم أُحد على الخروج منها ، فاتفقوا على حفر خندق حول المدينة اقتداءً برسول الله ﷺ يوم غزوة الخندق (سنة ٥ هـ) وحفر محمد مع أصحابه الخندق بيده تشبيهاً بعمل الرسول ﷺ [١] .

وقد خرج مع محمد بعض الفقهاء [٢] ، كما أفتى الإمام مالك بن أنس بجواز الخروج معه ، وعندما قيل له : إن فى أعناقنا بيعة للمنصور ، قال : « إنما بايعتم مُكْرَهين وليس على مُكْرَه يمين » [٣] . فانضموا إلى محمد ، فتفاقم خطره على أبى جعفر ، وكثر عدد جنده حتى قيل إنهم قاربوا « مائة ألف رجل » [٤] وهذا العدد فيه مبالغة كبيرة لا نكاد نصدقه .

وعندما قرب الجيش العباسى إلى المدينة أرسل عيسى كتيبة من جنده قوامها (٥٠٠ فارس) إلى الطريق المؤدى إلى مكة ، خوفاً من مناصرة

---

(١) الطبرى : ٥٨١/٧ ، ابن كثير : ١٠٢/١٠ .

(٢) تاريخ الموصل ص ١٨٧

(٣) مخطوطة : أخبار مَن نهض فى طلب الخلافة من الطالبين ورقة (٦) ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٦١ ، وانظر : ابن قتيبة : الإمامة والسياسة : ١٧٧/٢

(٤) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام : ١٣٤/٢ ويظهر لى أن الدكتور مبالغ فى هذا العدد ولا أعلم من أين استقى هذا الخبر ، فكل ما لدىّ من المصادر لم تذكر عن ذلك شيئاً وقد يكون ذِكر هذا العدد فيه خطأ مطبعى وأن المقصود : مائة وألف رجل .

أهل مكة له ، أو هروب محمد إلى مكة حيث لا ملجأ له غيرها ، كما أرسل رسلاً تحمل كتباً كان المنصور قد أرسلها مع عيسى ، إلى كبار أهل المدينة ، وأعيان قريش ، يعطيهم فيها الأمان ، ويطلب منهم التخلى عن محمد ، ويمنيهم بالهدايا والاكرام ، فوقع بيد محمد بن عبد الله بعض هذه الكتب قبل وصولها إلى أهلها ، ولما عرف محمد هؤلاء الذين راسلهم عيسى أخذهم فجلدهم وسجنهم (١) .

لكن هذه الكتب آتت ثمارها حيث كفَّ الكثير من أهل المدينة عن مساعدته (٢) .

ولما اقترب عيسى من المدينة ، ونزل الأعوص ، كان محمد قد جمع ما بقى من أصحابه ، وأخذ عليهم العهود والمواثيق على مناصرته ، ولكن لما وصلته الأنباء بعدد هذا الجيش قام على المنبر ، وخطب فى أصحابه ، قائلاً - بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « إن عدو الله وعدوكم قد نزل الأعوص ، وإن أحق الناس بالقيام بهذا الأمر أبناء المهاجرين والأنصار ، ألا وإنَّا قد جمعناكم وأخذنا عليكم الميثاق ، وعدوكم عدد كثير ، والنصر من الله ، والأمر بيده ، وأنه قد بدا لى أن آذن لكم ، فمَن أحب منكم أن يقيم أقام ، ومَن أحب أن يظعن ظعن » (٣) .

فقام من عنده بعد ذلك الكثير من أنصاره ، وأخذوا أهليهم وأموالهم وخرجوا عن المدينة وسكنوا الجبال والأعراض ، وهرب بعضهم إلى مكة .

---

(١) ابن كثير : ١٠٢/١٠ .

(٢) الطبرى : ٥٧٩/٧

(٣) الطبرى : ٥٨٧/٧ ، ابن الأثير : ٩/٥

ولما رأى محمد أنه لم يبق معه إلا القليل قال لأصحابه : أشيروا عليّ فى الخروج عن المدينة ، أو المقام فيها . فقال قوم : نقيم ، وقال بعضهم : « بل نخرج ، ألستَ تعلم أنك فى أقل بلاد الله فرساً وطعاماً ، وأضعفه رجلاً ، وأقلّه مالاً وسلاحاً ، تريد أن تقاتل أكثر الناس مالاً ، وأشده رجالاً وأكثره سلاحاً ، وأقدره على الطعام .. الرأى أن تسير بمن اتبعك إلى مصر ، فواللهِ لا يردك راد ، فتقاتل بمثل سلاحه ، وكراعه ورجاله ، وماله » [1] .

فصاح صائحهم - حنين بن عبد الله - وقال : « أعوذ بالله أن تخرج من المدينة » وحدّثه أن النبى ﷺ قال عام أُحد : « رأيتنى فى درع حصينة فأوّلتها المدينة » [2] .

ولما استقر رأيه على القتال بالمدينة عرف أنه قد أخطأ عندما أعطاهم الحرية فى تركه ، فقد تركه الكثير من مؤيديه من أهل المدينة ومن القرى الذين وفدوا عليه لمساعدته فى هذه الحركة ، فحاول ردهم إليه فأرسل بعض خاصته إليهم ، يدعوهم إلى مشاركته فى القتال ، لكنهم رفضوا ، وآثروا البُعد عن ساحة المعركة ، وكان الذى بقى معه بعد رحيل هؤلاء عنه « ثلاثمائة رجل » [3] .

---

(١) الطبرى : ٥٨١/٧ ، مقاتل الطالبيين ص ٢٦٨

(٢) الطبرى : ٥٨١/٧ ، مقاتل الطالبيين ص ٢٦٨ . وانظر الدارمى وأحمد بن حنبل .

(٣) ابن الأثير : ١٠/٥ ، مخطوطة : أخبار مَن نهض فى طلب الخلافة من الطالبيين ورقة (١٠) ، الذهبى : دول الإسلام : ٩٨/١

عسكر الجيش العباسى على مشارف المدينة صبيحة يوم السبت ١٢ رمضان (سنة ١٤٥ هـ) [١] وأرسل عيسى بن موسى « محمد بن الحسن ابن زيد » إلى محمد النفس الزكية يدعوه إلى السمع والطاعة لأمير المؤمنين ، وأعطاه الأمان له ولأهل بيته ، ولمن خرج معه ، فقال محمد لرسول عيسى : « واللهِ لولا أن الرسل لا تُقتل لضربتُ عنقك » [٢] .

وفى الغد أعاد له الطلب ، وقال له : إن أمير المؤمنين أمرنى أن لا أقاتلك حتى أدعوك إلى الطاعة ، وعدم المعصية ، والخروج على أمير المؤمنين .

فأرسل محمد مع إبراهيم بن جعفر رسالة إلى عيسى ، يدعوه فيها إلى الدخول فى طاعته قائلاً له : « يا هذا ؛ إن لك برسول الله قرابة قريبة ، وإنى أدعوك إلى كتاب الله ، وسُنَّة نبيه ، والعمل بطاعته ، وأحذرك نقمته وعذابه .. وإنى واللهِ ما أنا بمنصرف عن هذا الأمر حتى ألقى الله عليه فإياك أن يقتلك مَن يدعوك إلى الله ، فتكون شر قتيل ، أو تقتله فيكون أعظم لوزرك وأكثر لمأثمك » [٣] .

ولما قرأ عيسى ذلك كبرت فى نفسه ، وعرف أنه لا بد من القتال ، فقال لرسول محمد : ارجع إلى صاحبك ، وقل له : ليس بيننا إلا القتال [٤] .

---

(١) الطبرى : ٧/٥٨٥ ، مقاتل الطالبيين ص ٢٦٨

(٢) ابن كثير : ١٠٣/١٠ .

(٣) الطبرى : ٧/٥٨٤

(٤) الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ص ٢٦٩ ، ابن مسكويه (منسوب له) العيون والحدائق : ٣/٢٤٣ ، ابن الأثير : ٥/١٠

ولما رأى المخلصون لمحمد أنه لا قِبَل له بجيش الخليفة ، وأنه يفوقه فى العدد والعُدَّة والتدريب أشاروا عليه بالهرب إلى مكة ، أو اللحاق بأخيه إبراهيم فى البصرة ، لكنه لم يقبل هذا النُصح ، وأصرَّ على قتال عيسى ، قائلاً : « لو هربتُ من المدينة وفقدونى لقُتِل أهل المدينة ، كما قُتِلوا بالحرة (سنة ٦٣ هـ) ، واللّهِ لا تبتلون بى مرتين » [١] .

نظم محمد بعد ذلك جيشه الصغير ، فأعطى الراية « عثمان بن محمد ابن خالد بن الزبير » وجعل شعارهم « أحد أحد » [٢] وتقلد بسيف جده علىّ بن أبى طالب « ذى الفقار » . وفى صبيحة يوم الاثنين - وقبل نشوب المعركة بقليل - طلع عيسى بن موسى على جبل سلع ، ونادى أهل المدينة : « إن مَن أراد الأمان فعليه أن يقيم تحت رايتنا ، أو يدخل منزله ، أو يدخل المسجد النبوى ، وإن اللّه قد حرَّم دماء بعضنا على بعض ، فخلوا بيننا وبين صاحبنا ، نحتكم وإياه » [٣] .

صدَّق أهل المدينة هذا النداء من عيسى فدخلوا بيوتهم ، فصاروا ينظرون إلى الأحداث عن بُعد ، وحذر شديد ، وبقيت شوارع المدينة وأزقتها خالية من المارة ، عدا جيش محمد القليل العدد الذى يراقب تحركات جيش المنصور .

---

(١) الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ص٢٦٩ ، ابن مسكويه (منسوب له) العيون والحدائق : ٢٤٣/٣ ، ابن الأثير : ١٠/٥ .

(٢) تاريخ ابن خلدون : ١٩٢/٣ ، الهمدانى : (مخطوطة) الحدائق الوردية ص ١٤٩

(٣) ابن الأثير : ١٠/٥ .

لم يكن مع محمد فى هذه الظروف الحرجة إلا خاصته وبضعاً من شيعته ، ممن نذروا أنفسهم للقتال مع محمد حتى النصر أو الموت وكان عددهم ضئيلاً ، وفيهم عدد كبير من قبيلة جهينة .

بدأت المعركة بين الطرفين قبيل الظهر من يوم الاثنين بالمبارزة فظهر أبو القلمس قائد شرطة محمد وقتل مبارزه من جيش الخليفة ، ثم قتل ثان وثالث ، فنادى عيسى أصحابه بالهجوم العام فوضعوا الأبواب على الخندق ، فعبرت خيل عيسى عليه ، وبدأت حدة القتال داخل المدينة ، كما انتقلت الحرب إلى شوارع وساحات وسط المدينة .

ولما تبينت لمحمد الهزيمة ، دخل منزله فاغتسل وصلّى العصر وتطيَّب وتحنط ، كما اتجه بعض معاونيه إلى السجن فقتلوا رياح بن عثمان المرى ، وأخاه عباس ، وابن مسلم بن عقبة المرى [١] وأحرقوا الديوان الذى كتب فيه أسماء جيشه ، ومَن بايعه من أهل مكة والأمصار [٢] .

خرج محمد بن عبد الله وباشر بنفسه القتال وقد قُتل أكثر أصحابه ، وبعد أن اثخنته الجراح وقتل بسيفه أكثر من سبعين رجلاً من جيش عدوه ، وأظهر شجاعة منقطعة النظير ، ضربه رجل خراسانى بسيف دون شحمة أذنه اليمنى فبرك على ركبته وقد غطت الدماء جميع جسمه وهو يدافع عن

---

(١) لما قتل عثمان بن حيان المرى أمير المدينة ، خرج صبيان المدينة فى جنازته يكبرون حول جثته ويقولون (العيون والحدائق : ٢٤٤/٣) :

سَلَخَـــت أمُّ رِيَـــاحْ　　　فَأتَتْنَـــا بِـــرِيَـــاحْ
فـــأتَتْنـــا بأميـــرٍ　　　لَيْس من أهلِ الصَّلاحْ
مـــا سمَعْنَـــا بأميـــرٍ　　　قبـــل هـــذا من سَفّاحْ

(٢) تاريخ ابن خلدون : ١٩٢/٣

نفسه ، فنزل حميد بن قحطبة الطائى ، فاجتز رأسه وأتى به إلى عيسى ، وهو لا يُعرف من كثرة الدماء ، وكان حميد قد حلف أن يقتله ، بعد أن اتهمه عيسى بمبايعته لمحمد ، وأنه لم يكن جاداً ولا شجاعاً فى القتال أمام محمد ، وكثيراً ما يتجنب مقابلته ويهرب من أمامه ، ولهذا أجهز على محمد بعد أن سقط على الأرض جريحاً ، وأتى به إلى عيسى مفتخراً باراً بوعده له ، وما ذاك إلا خوفاً على نفسه (١) .

وهكذا وبعد عصر يوم الإثنين ١٤ رمضان سنة ١٤٥ هـ (٢) سقط محمد النفس الزكية فى ساحة المعركة قتيلاً ، بعد ملاحقة وتضييق ، وسجن والده وأكثر أهل بيته ومصادرة أموالهم ، هكذا سقط النفس الزكية ، بعد أن خرج معه وأيَّد حركته بعض الفقهاء ، وأفتوا بجواز الخروج معه على المنصور .

هكذا سقط محمد بن عبد الله المؤمن التقى الزاهد ، الشجاع الكريم ، وقد كتب بدمه مأساة من مآسى بيت النبوَّة الطاهر .

بعث عيسى - بعد ذلك - برأس محمد إلى الخليفة أبى جعفر مع محمد ابن الحسن بن زيد العلوى ومع ابن أبى الكرام ، وأمر بأصحاب محمد أن

---

(١) يقال إن قحطبة قد بايع محمداً ، أو واعده بهذه البيعة عندما كان أميراً لمصر ، راجع (مقاتل الطالبيين ص ٢٦٨ ، العيون والحدائق : ٢٤٣/٣ ، ابن الأثير : ١٠/٥ ، النجوم الزاهرة : ١/٢) ولكن الذى يظهر لى أن هذه البيعة ما هى إلا خدعة منه بأمر من المنصور ، أو أن الخليفة المنصور قد بعث على لسان قحطبة بمبايعته شأنه بذلك شأن كثير من القوَّاد والولاة وما ذلك من الخليفة إلا خدعة ليخرج محمد من مخبئه فكان ما أراد ..

(٢) أنساب الاشراف : ١٧/٣ ، الطبرى : ٥٩٧/٧ ، ابن كثير : ١٠٤/١٠ - مخطوطة : النويرى ورقة (١١) .

يصلبوا ، فبقوا ثلاثة أيام مصلوبين فى ثلاثة صفوف ، ثم أنزلوا فدفنوا بالخندق الذى حفروه بأيديهم وكأنهم بذلك حفروا قبورهم بأيديهم .

كما قبض - عيسى - على أموال بنى حسن وأرسلها إلى الخليفة فى العراق ، وأعطى أهل المدينة الأمان ، فنزلوا من الجبال ، وأتوا من كل الطرقات وخرج مَن كان فى بيته ، وعادت الحياة إلى المدينة المنوَّرة من جديد ، بعد حالات الطوارئ والإنذار والخوف ، الذى عاشه سكان تلك المدينة الطاهرة ، بعد أن لوِّثت الدماء ثراها الطيب وما هذه الدماء إلا دماء مسلمة ، سالت من أجل الحكم .

وهكذا كانت نهاية النفس الزكية ، لقد عرف فى آخر يوم أن الدائرة سوف تدور عليه ، وأن بوادرها بدأت تلوح وتظهر على سماء المعركة ، فما رضى لنفسه إلا الشهادة والموت الكريم ، على أن يكون فى قبضة المنصور .

وصل رأس محمد إلى الخليفة فى العراق ، وأمر أن يُطاف به فى الأمصار ، ولما طيف به فى خراسان ، قالوا : ألم يكن قُتل من قبل !؟ وأعلمنا بذلك ؟ ولكنهم عرفوا بعد ذلك أنها خدعة من المنصور لهم ، وأن الرأس الأول هو رأس عمه : محمد بن عبد الله العثمانى ، أما جثته فقد بقيت مصلوبة أياماً ، حتى أنزلت ودُفنت بالبقيع .

أما موقف الخليفة المنصور من أهل المدينة . فيقول ابن كثير : « ثم شرع المنصور بعد هزيمة محمد وقتله ، فى استدعاء مَن خرج مع محمد أو اتهمه بذلك ، فاستدعى أشراف أهل المدينة ، وحقق معهم ، فمنهم مَن قتله ، ومنهم مَن ضربه ضرباً مبرحاً ، ومَن لم يتهمه عفا عنه ، كما أمر عيسى قبل مغادرته المدينة كثير بن حصين عليها »[1] .

---

(١) البداية والنهاية : ١٠/١٠٥ .

لم يكن أمام محمد النفس الزكية إلا أن يقاتل فى سبيل المبدأ الذى آمن به والاستعداد لخوض المعركة عملاً بنصح والده له : « إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين ، فلا يمنعكما أن تموتا كريمين » .. أحب محمد أن يموت كريماً شريفاً شهيداً فى ساحة المعركة ، على أن يقبل هذا الأمان الذى أعطاه له المنصور ليكون الضحية الرابعة ، من ضحايا العهود والأمان الكاذب - كما يرى ذلك - .

والذى يظهر لنا أن سبب هزيمة محمد تتلخص فيما يأتى :

الأول : اتخذ المدينة المنوَّرة مركزاً للقتال ، وكل جنده ٢٥٠ رجلاً ، ثم إنه ظن أن البيعة قد أُخذت له فى كل الأمصار ، وأقسم باللّه لأهل المدينة على ذلك ، والواقع أنه لم يكن هناك بيعة أُخذت له .

الثانى : ثم إن المدينة بالذات لا تصلح مكاناً للاعتصام بها ، فهى ليست حصينة ، ومن السهل سقوطها فى أيدى أى جيش مغير ، والحجاز إقليم جبلى ، يحيط به بواد وصحارى من ثلاث جهات ، ولبُعده وعزلته يصعب مساعدة أى ثورة تشب فيه ، وهو بلد قليل الموارد ، ولا يحتمل ويلات الحصار الطويل ، كما أنه أرسل فرقة من جيشه إلى مكة هو بأمسِّ الحاجة إليها فى هذه الظروف الصعبة بالنسبة له .

الثالث : إضعافه الروح المعنوية فى جيشه ، حيث أخبرهم فى خطبته عندما اقترب الجيش العباسى إلى المدينة ، أن الجيش كثير العدد ، وأنه آذن لهم فى الانسحاب ، والتخلى عن بيعته ، فاستغل الكثير منهم ذلك فانسحب راجعاً إلى المدينة ، فأخذ أهله وماله وسكن بعيداً عن المدينة ، وعن ساحة المعركة ، وقد عرضنا ذلك قبل .

الرابع : توهّم محمد أن القُوّاد والأمصار قد تألبت على العباسيين ، عطفاً عليه لما حَلّ بأسرته من النكبات والمآسى ، ولم يخطر بباله أن أكثر الناس فى الأقاليم لم يعلموا عن دعوته شيئاً .

الخامس : ضيّق المنصور الخناق على المدن العراقية كالكوفة ، الذى شك الخليفة باستمالتها إليه ، فبثّ العيون ، وأحكم الحصار ، وحدّد فيها ساعات التجول ، فأخذ يسأل الداخل والخارج ، أما مع أهل خراسان التى قلوب بعضهم مع العلويين ، فقد ذكرنا قبل قصة قتل الخليفة لمحمد بن عبد اللّه العثمانى وإرسال رأسه إلى خراسان ، الأمر الذى حال دون قيام هذا الإقليم بفتن واضطرابات .

السادس : إخفاقه فى التوقيت مع أخيه إبراهيم ، فلم يتم تنفيذ الخطة التى رسماها واتفقا عليها .

كل هذه من الأسباب التى عجّلت بالفشل والقضاء على حركة محمد النفس الزكية بالمدينة وتحطيم آماله وتطلعاته أن يكون الخليفة والمهدى للأمة الإسلامية - ومهما يكن من أمر فقد أخطأ بحركته وادعاءاته ، فليست الخلافة من حقه ، كما ادّعى ذلك ، كما أنه ليس لديه الشيعة الكافية ، ولا الكفاءة السياسية ، التى يستطيع بها إدارة دولة إسلامية كبرى ، ولا مقابلة الخليفة المنصور ، الذى عُرِف بدهائه وقُدرته السياسية ، كما أن الخليفة أيضاً يملك الجيوش ذات العدد الكثير ، والقوة والتدريب والعتاد .

ثم نقول : إن الدولة الإسلامية المترامية الأطراف ، والذى يحيط بها الأعداء من كل جانب ، لا يستطيع مثله القيام بشئونها ، فالقيادة فى مثل

هذا ليست بالأمر السهل .... فالخلافة ليست له ، وليس هو الآخر قادر عليها ، والدولة لو مَلَكَ زمامها رجل ضعيف مثله ، لتسرب إليها الضعف والانهيار ، وخاصة في هذا الوقت لعوامل كثيرة تحيط بها ...

فهل يقبل المسلمون أن يلى هذا الأمر الهام مثل محمد النفس الزكية ؟!

اللّهم لا

* * *



هذا ليست بالأمر السهل .... فالخلافة ليست له ، وليس هو الآخر قادر عليها ، والدولة لو مَلَكَ زمامها رجل ضعيف مثله ، لتسرب إليها الضعف والانهيار ، وخاصة فى هذا الوقت لعوامل كثيرة تحيط بها ...

فهل يقبل المسلمون أن يلى هذا الأمر الهام مثل محمد النفس الزكية ؟!

اللّهم لا

* * *



الفصل الرابع

حركة إبراهيم فى البصرة

- موقف إبراهيم فى البصرة .
- موقف العلماء من حركة محمد وإبراهيم .
- حركة السودان فى المدينة كأثر لحركة محمد وإبراهيم .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

موقف إبراهيم فى البصرة

كان إبراهيم بن عبد الله كأخيه محمد النفس الزكية مختفياً ومتنقلاً فى الأقاليم بين الحجاز وعدن والسِند واليمن والشام وفارس ... ثم استقر فى البصرة ، بعد الاتفاق مع أخيه محمد ، على أن يقوم بالدعوة لأخيه ، وإعلان الثورة بعد ذلك .

ذهب أولاً إلى الكوفة ، ولما شك فى إخلاصها له ، ولقُربها من مركز الخلافة آثر التحول منها إلى البصرة ، حيث سكنى العرب والموالى ، والزنج ، والزط ، وفيها المحرومون والغاضبون [1] ولها مركز اقتصادى مستقل ، كما أن ميولها غير عباسية ، ووصفت بأنها عثمانية تدين بالكف ، وقد كانت مقسَّمة إلى أخماس قبلية هى [2] :

١ - أهل العالية : وهم بعض قبائل قريش ، وبجيلة وخثعم ، وأسد ، وبنى سليم ، ولم يكن بينهم مَن يوالى العلويين .

٢ - تميم : وهم أكبر قبيلة أثَّرت على الحياة السياسية والفكرية فى البصرة ، وكانوا موالين للأمويين بصورة عامة ، وليس لهم صبغة علوية على الإطلاق .

٣ - بكر بن وائل (ربيعة) : وكانوا معروفين بولائهم للقضية العلوية وعندهم ظهرت حركة إبراهيم بن عبد الله .

---

(١) فاروق عمر : الخلافة العباسية ص ١٩

(٢) العباسيون الأوائل : ١/ ٢٠٥

٤ - عبد القيس : وهم من أضعف القبائل وأكثرها شغباً وكانوا معروفين بميولهم العلوية .

٥ - الأزد : وهم يعتبرون من أنصار أهل البيت بصورة عامة .

هذه هى البصرة التى انتقل إليها إبراهيم من الكوفة لتكون مركزاً لتحركاته ضد الخلافة العباسية ، وفيها أعلن إبرهيم بن عبد الله حركته فى أول ليلة من شهر رمضان سنة ١٤٥ هـ [١] أى بعد حركة أخيه محمد بالحجاز بشهرين وقبل قتل أخيه محمد بأربعة عشر يوماً ، خرج ومعه بعض من مؤيديه من الزيدية ، وَبَيَّضَتْ له القبائل الموالية للعلويين [٢] ، واجتمع له كثير من الفقهاء وأهل العلم ، وقد أحصى ديوانه أربعة آلاف رجلاً من البصريين ، ووجد فى بيت مال البصرة مليونين من الدراهم ، وأعطى لكل رجل من أصحابه خمسين درهماً [٣] .

وقد سيطر على البصرة بسهولة ، حيث لم يجد مقاومة تُذكر ، وهرب واليها سفيان بن معاوية المهلبى ، كما أخرج منها محمداً وجعفراً ابنى سليمان بن علىّ العباسى . والتف حوله وأيّده الضعفاء والطبقات الفقيرة والمحرومة فى البصرة الذين يؤملون فى الحركات العلوية ، إنقاذاً لهم من الظلم والعسف والفاقة ، والحرمان الاجتماعى ، وقد منّاهم إبراهيم بأن

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط : ٦٤٩/٢ ، تاريخ اليعقوبى : ١١٢/٣ ، تاريخ الموصل ص ١٨٧ ، المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٩٥

(٢) العيون والحدائق : ٢٥١/٣ (وهو شعار العلويين ، الوزراء والكُتّاب ص٣١٣) .

(٣) تاريخ الموصل ص ١٨٨ ، تاريخ ابن خلدون : ١٩٤/٣ ، المقريزى : (مخطوطة) منتخب التذكرة ورقة (١٢٥) .

حركة محمد ماهى إلا ثورة ضد الظلم والفقر والحرمان ، واستطاع بذلك أن يُكوِّن منهم جيشاً مناصراً للقضية العلوية .

كما أيَّده الأمويون الذين اتخذوا البصرة مسكناً لهم ، وأيَّدته العثمانية ، لما له من صلة النسب بعثمان بن عفان حيث كانت زوجته ابنة محمد بن عبد الله (بن عمرو بن عثمان بن عفان) .

تعتبر حركة إبراهيم فى البصرة أخطر من حركة محمد فى الحجاز ، بل أخطر حركة جابهت الخليفة المنصور ، فقد دانت له أقاليم فى الدولة تعتبر من أخطر الأقاليم على الخلافة العباسية لمركزها الاقتصادى ، وميولها العلوية ، مثل : الأهواز وفارس والمدائن ، وواسط [1] .. أما الكوفة التى كان فيها مائة ألف سيف تنتظر صيحة واحدة تنطلق من إبراهيم ، لتنقض على المنصور وجيشه ليتخلصوا من ظلمه وقسوته عليهم - كما يقول الطبرى [2] - فقد أكرههم على لبس السواد حتى العوام منهم ، كما أخذ يقتل شيوخهم ويسجن مَن يتهمه ، والشيعة يتحمسون فيها ويتبايعون سراً للعلويين . لذلك زحف بجيشه نحوها ، وأمر أن توقد النيران من حولها ليوهم أهلها أن معه جنداً كثيراً [3] .

وقد رصد الخليفة على الطرق المؤدية إلى البصرة الشُرُط والجواسيس تقتل الذاهب إليها ، والمتجه لمبايعة ومساندة إبراهيم ثم يؤتى بهم إلى الكوفة فيأمر بصلبهم فى الشوارع العامة لتخويف وإزعاج أهلها [4] .

---

(١) تاريخ ابن خلدون : ١٩٥/٣ ، ابن كثير : ١٠٧/١٠ .

(٢) الطبرى : ٦٤١/٧

(٣) ابن كثير : ١٠٦/١٠ ، ١٠٨ ، الذهبى : دول الإسلام : ٩٨/١ ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب : ٢١٤/١

(٤) ابن كثير : ١٠٧/١٠ .

ولقد فزع أبو جعفر من هذه الفتوق فى الدولة فمحمد فى الحجاز ، وإبراهيم فى البصرة ، وجيش الخلافة تفرّق بينه وبين ابنه المهدى بالرى وكانت تحت إمرته ثلاثون ألفاً ، ومع محمد بن الأشعث بإفريقية أربعين ألفاً ، والباقى من جيش الخلافة مع عيسى بن موسى فى الحجاز لقتال محمد ، ولم يبق فى عسكره إلا القليل ، ولذلك قال : « واللهِ لئن سلمتُ من هذه لا يفارق عسكرى ثلاثون ألفاً » (١) .

ولقد ظهر على الخليفة خوف شديد لما رأى الجموع تتوافد على البصرة وتبايع إبراهيم على الموت ، فأحس وكأن الأرض من تحته تهتز به ، فحاول الهرب من الكوفة ليلحق بابنه المهدى بالرى ، كما حاول مراسلة إبراهيم على الصلح ، وجلس على مصلاًه خمسين يوماً لا يفارقه وينام عليه (٢) .

من هذا يظهر لنا خطر حركة إبراهيم وأنها كانت فى نظر الخليفة المنصور أشد خطراً وتفاقماً من حركة أخيه بالحجاز ، وأنه ما كان يؤمل بالغلبة عليه بقدر ما وثق بفشل حركة الحجاز والقضاء عليها .

تكاثرت على إبراهيم الوفود من كل صوب ، وانضم إلى دعوته كثير من المعتزلة والزيدية ، وعلا شأنه ، وقويت شوكته ، وأحس أن الفرصة مواتية الآن لمقابلة المنصور ، وفكر أن يكون هذا اللقاء فى شهر شوال ، لكنه

---

(١) الطبرى : ٦٣٨/٧ ، ٦٣٩ ، ابن الأثير : ١٧/٥ ، النويرى : (مخطوطة) أخبار مَن نهض فى طلب الخلافة من الطالبيين ورقة (١٣) .

(٢) مقاتل الطالبيين ص ١٦٩ ، ابن الأثير : ١٨/٥ ، الكتبى : (مخطوطة) عيون التواريخ ورقة (١٩٣) ، مخطوطة : أخبار مَن نهض فى طلب الخلافة من الطالبيين ورقة (١٤) .

أصيب بخيبة من الأمل ، فقد وصلته الأخبار ليلة عيد الفطر بقتل أخيه محمد صاحب الدعوة فحزن عليه حزناً شديداً وأنشد قائلاً [1] :

يا أبا المبارك يا خير الفوارس مَنْ — يفجع بمثلك فى الدنيا فقد فُجعا

اللّه يعلم أنى لو خشيتهم — وأوجَسَ القلبُ من خوفٍ لهم فَزَعا

ثم قال [2] :

سأبكيك بالبيض الصفاح وبالقنا — فإن بها ما يدرك الطالب الوترا

ولستُ كمن يبكى أخاه بعبرة — يعصرها من ماء مقلته عصرا

وبعد ذلك دعا إلى نفسه بالخلافة ، وتسمى بأمير المؤمنين ، وبايعه على ذلك أهل البصرة ومَن قدم عليه من الأمصار ، وعزم على ملاقات المنصور ، وأشار أنصاره عليه ممن مارسوا الحرب ، بالتوجه إلى الكوفة حيث الخليفة يعسكر هناك ، وحتى يضم الشيعة العلوية إلى صفه وجموعه ، لكن أحد الفقهاء المقرَّبين لإبراهيم - بشير الرحال - عارض وآثر أن تدور رحى الحرب بعيداً عن مدينة الكوفة ، لأنه خشى إن قاتل الخليفة فى الكوفة ، أن يُقتل فيها الضعيف والمرأة والصغير ، وقيل له : ألم يكن رسول اللّه ﷺ يبعث جيشه ليقاتل ويكون على نحو ذلك ! فقال بشير : أولئك كفار وهؤلاء مسلمون من أبناء مِلّتنا ، واتبع إبراهيم هذا الرأى [3] متأثراً بمثاليته

---

(١) تاريخ الموصل ص ١٨٨ ، مروج الذهب : ٣/٧.٣

وبعده :

لم يقتلوه ولم أسلم أخى لهم — حتى نموت جميعاً أو نعيش معاً

(٢) عمدة الطالب ص ١٠٤ ، ١٠٥

(٣) الطبرى : ٧/٦٤٣ ، ابن الأثير : ٥/١٨

الدينية العالية ، لأن هذا العمل سيؤدى إلى عدد من الضحايا الأبرياء ، كالنساء ، والشيوخ ، والأطفال ، وعزم على مواجهة الجيش العباسى وجهاً لوجه ، بعيداً عن المدن ، ومنازل الأعراب ، فخرج من البصرة فى أول شهر ذى القعدة [١] ومعه أحد عشر ألفاً ، وسبع مائة فارس [٢] ، والتقى بجيش المنصور بقيادة عيسى بن موسى ومعه (١٥ ألف رجل) [٣] بعد أن استدعاه المنصور من الحجاز ، إثر هزيمة محمد النفس الزكية وقتله .

التقى الجانبان ، العلوى ، والعباسى بـ « بَاخَمْرى » وهى تبعد عن الكوفة ستة عشر فرسخاً [٤] فدارت فيها معركة حامية سقط الكثير من الجانبين ، وفى نهاية المعركة هُزِم عيسى بن موسى والقائد حُميد بن قحطبة وانهزم الناس معه ، ولكن عيسى ناشد الناس وحميد بن قحطبة اللّه والطاعة ، بالثبات والصبر حتى الموت ، وقال له الناس : لا طاعة فى الهزيمة ، لكن إبراهيم لم يلاحق هذه الفلول المهزومة ، مما سبب له فوات فرصة النصر النهائى ، بل ترك عيسى يجمع أعوانه ويستنجدهم ويحثهم ويمنيهم ، فاستدار من خلف إبراهيم ، وبدأت المعركة من جديد ، فظن جيش إبراهيم أن قوات جديدة قد وصلت ، فانهزم الناس وتفرّقوا عن إبراهيم ،

---

(١) تاريخ اليعقوبى : ١١٣/٣

(٢) العيون والحدائق : ٢٥٣/٣ (ويقدرهم اليعقوبى : (١١٣/٣) بـ ٦٠ ألف رجل ، وقال ابن خلدون : (١٩٥/٣) : مائة ألف ، وفى تاريخ مختصر الدول (ص ٢١) : ثلاثين ألف) .

(٣) الطبرى : ٦٤٢/٧ ، الفخرى ص ١٢٢

(٤) الطبرى : ٦٤٥/٧ . وانظر : معجم البلدان : ٣١٦/١ - طبع دار صادر (١٣٩٧ هـ) .

ولم يبق إلا فى ٤٠٠ من أعوانه وأنصاره [١] ، وأصابه سهم فى حلقه مات على أثره ، وقُتِل أكثر مَن ثبت معه ، وكانت هزيمته فى منتصف نهار الإثنين ٢٥ من شهر ذى القعدة سنة ١٤٥ هـ [٢] وأرسل رأسه إلى الخليفة . ولما وضع الرأس أمامه ، بكى ، وتمثَّل بقول الشاعر [٣] « مُعَقِّر بن أوس البارقى » :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قــرَّ عيناً بالإيــاب المسافرُ

ثم قال [٤] : « واللّهِ إنى كنت لهذا كارهاً ولكن ابتُليتُ بك وابتُليتَ بى » فسمح للناس بالدخول عليه وكلهم يهنئ الخليفة بالنصر على إبراهيم ، والخليفة ساكت إلا جعفر بن حنظلة الذى عزَّاه بوفاة إبراهيم ، قائلاً له : عظم اللّه أجرك يا أمير المؤمنين فى ابن عمك ، فسُرَّ لذلك ، وأدنى جعفر منه ، فعرف الناس أن هذا هو ما يريد الخليفة ، فعزُّوه بمثل ما عزَّاه جعفر ابن حنظلة [٥] .

وبينما أبو جعفر جالس يتقبل التعازى دخل رجل من الحرس ولما نظر إلى رأس إبراهيم وهو ملقى فى المجلس ، بصق على الرأس ، فغضب الخليفة

---

(١) اليعقوبى : ١١٤/٣ ، تاريخ ابن خلدون : ١٩٦/٣ ، العيون والحدائق : ٢٥٣/٣

(٢) تاريخ خليفة بن خياط : ٢/٦٥٠ ، التنبيه والاشراف ص٢٩٥ ، تاريخ الموصل ص ١٨٩

(٣) تاريخ الموصل ص ١٨٩ ، الطبرى : ٦٤٨/٧

(٤) الطبرى ٦٤٨/٧ ، تاريخ ابن خلدون : ١٩٦/٣

(٥) تاريخ ابن خلدون ١٩٦/٣ ، الكتبى : (مخطوطة) عيون التواريخ ورقة (١٩٤) ، (١٩٥) .

من ذلك ، وأمر بضربه فهشمت أنفه ووجهه ، وأغمى عليه ، ثم جرَّه الحرس من رِجله وألقوه خارج الباب [١] .

وما ذكرناه من هذه الروايات يعطينا دليلاً أن المنصور كان كارهاً لهذا اللقاء ، وكان حريصاً على الود ، وتناسى الخلافات والأحقاد ، وأنه كان يتمنى أن لو لم يحدث مثل هذا بين أبناء العمومة ، كما كان حريصاً كل الحرص على توطيد ملكه ، وعدم تفكيك دولته مهما كلَّفه الأمر ، وبأى ثمن كان .

وبعد أن طيف بالرأس فى شوارع الكوفة ، أرسله الخليفة بالبريد إلى مصر ، لإسكات الشيعة العلوية ، التى بدأت تحركاتها المخيفة للخليفة فى هذا الإقليم الهام ، فكان ما أراد [٢] .

وبعد قتل محمد وإبراهيم تلقب الخليفة أبو جعفر بـ « المنصور » [٣] واعتبر مؤسس الدولة العباسية .

وقد أثنى الخليفة أبو جعفر على ابن أخيه عيسى بعد قضائه على أخطر حركات العلويين تلك الحركات التى كادت تقضى على الدولة العباسية [٤] .

ولما قضى الخليفة على حركة إبراهيم ، أمر عامله الجديد على البصرة « مسلم بن قتيبة الباهلى » بتصفية أعوان إبراهيم وتخريب دورهم ، ومصادرة أموالهم ، إلا أن مسلم كره ذلك ، ولما استبطأه الخليفة ، عزله

---

(١) ابن الأثير : ٥/ ٢٠ ، أخبار مَن نهض فى طلب الخلافة ص١٥ (مخطوطة) .

(٢) النجوم الزاهرة ٢/٢ ، الكندى ، الولاة والقضاة ص ١١١ - ١١٥

(٣) التنبيه والاشراف ص ٢٩٥

(٤) تاريخ الموصل ص ١٩٤

وولى على البصرة ابن عمه « محمد بن سليمان » الذى قبض على خمس وخمسين رجلاً من كبار أهل البصرة فصلبهم ، كما أرسل إلى الخليفة خمسمائة رجل مكبلين بالحديد حيث سجنهم الخليفة ، وانتهى أمرهم هناك ، كما صادر أموال مَن اشترك - أو شك فى اشتراكه - فى هذه الحركة ، وهدم كثيراً من المنازل ، وأتلف نحو عشرين ألفاً من النخيل ، كما هرب أكثر أهل البصرة براً وبحراً ، خوفاً من شدة المنصور [١] .

وكان هذا العمل الذى عمله المنصور بأهل البصرة ، أعظم نكبة نزلت بالبصريين وكان هذا أول عام ١٤٦ هـ [٢] .

ولعل فشل حركة إبراهيم يعود إلى الأسباب التالية :

عدم اتفاق حركته مع أخيه ، مما سبَّب القضاء على محمد أولاً ، ثم التفرغ فيما بعد للقاء إبراهيم ولقاء كل منهما على حدة مما ساعد على النصر ثم ضعف الروح القتالية بين جيش إبراهيم ، عندما جاءهم الخبر بإخفاق حركة محمد بالحجاز وقتله .

وبعد أن أعلن إبراهيم الخروج على الخليفة فى أول رمضان ، لم يخرج لقتاله إلا فى أول القعدة ، مما ساعد الخليفة على تجميع قواته المتفرقة فى الأقاليم ، وإرساله إلى عيسى بن موسى ، بعد قضائه على حركة محمد بالتوجه لقتال إبراهيم ، كما جمع قوات من خراسان كانت عوناً له على لقاء إبراهيم .

وكذلك عدم استغلاله لشيعته بالكوفة التى تقدَّر بمائة ألف سيف ، ينتظرون منه صيحة واحده ، ولم يأخذ بنصائح أعوانه ، ممن مارسوا الحرب ، لضرب قوات الخليفة المحاصرة للكوفة .

---

(١) ، (٢) البيان والتبيين : ٢٨٣/٢ ، شذرات الذهب : ٢١٤/١ ، تاريخ البصرة ص ٦٤ ، ٦٥ .

ثم محاصرة الخليفة للكوفة وقتل رؤساء الشيعة العلوية فيها ، مما ضيَّع على إبراهيم فرصة ذهبية .

كما وضع الخليفة الجواسيس والشُرُط على الطرق المؤدية إلى البصرة ، تغتال مَن تشك فى ولائه لإبراهيم والمتجهة إلى البصرة لبيعته ، ومساعدته ، مما قلَّل من أتباعه إلى حدٍّ مًّا .

وهناك نقطة هامة كانت سبباً فى فشل حركته ، وهى عدم ملاحقة جيش الخليفة عندما هُزِمَ أول الأمر ، وترك عيسى بن موسى وقحطبة الطائى يجمعون جيوشهم المهزومة من جديد ، ويبعثون فيهم الحماس ، ويمنوهم بالعطاء ، ثم باغتوا إبراهيم من الخلف ، الأمر الذى ظنَّ جيش إبراهيم أن هذا كان مدداً ففر من المعركة .

* * *

• موقف العلماء من خروج محمد وإبراهيم :

من خلال عرضنا للدعوة العباسية لاحظنا أن العباسيين بنوا دعوتهم على أساس دينى ، وقد وصف العباسيون أنفسهم فى كل المحافل أنهم أصحاب حق ، وورثة النبى ﷺ ، وأنهم سيطبقون الشريعة الإسلامية ، حتى يعم الرخاء ويقام العدل ، ويرتفع الظلم عن المظلومين ، وأنهم ما قاموا بهذا العمل إلا لإحياء سُنَّة الرسول ﷺ ، فاستبشر الناس - ومنهم الفقهاء - خيراً ، فقد قال السفاح فى أول خطبة له فى مسجد الكوفة : « جعلنا اللّه أهلاً للإسلام ، وكهفه ، وحصنه ، والقُوَّام به ، والذَّابين عنه ، والناصرين له » ، كما تلاه بعد ذلك عمه « داود بن على » الذى أقسم باللّه ، أن يحكم فيهم بما أنزل اللّه ، ويعمل فيهم بكتاب اللّه ، وأن يسير

بالعامة منهم والخاصة بسيرة رسول الله ﷺ [١] ، وأكد ذلك أيضاً فى خطبته بمكة وهو يأخذ البيعة من أهل الحجاز للسفاح [٢] .

وعلى هذا اجتمع العلماء بأبى العباس فى أول خلافته ، وأنابوا عنهم الإمام الجليل أبا حنيفة ليعلن للخليفة الجديد مبايعة العلماء له بالخلافة فقال [٣] : « الحمد لله الذى بلغ الحق من قرابة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأمات عنا جور الظلمة وبسط ألسنتنا بالحق ، قد بايعناك على أمر الله والوفاء لك بعهدك إلى قيام الساعة ، فلا أخلى الله هذا الأمر من قرابة نبيه صلى الله عليه وسلم » .

اشتهر العلماء بقول الحق ، وأنهم لا يخافون لومة لائم ، وظلم ظالم ، فتاريخهم مشحون بقول الحق أمام السلطان الجائر ، وها هم علماء العصر العباسى الذين ظنوا سياسة الدولة قائمة على أساس من كتاب الله وسُنَّة نبيه . ففرحوا لذلك واستبشروا بقيام العهد الجديد ، ولكنهم والحالة هذه فوجئوا بأن هذا النظام يسير على تطبيق القوة والعنف ، فهناك مطاردات ، واغتيالات بالجماعات ليس إلا لتثبيت السُلطة والمُلك ، غير مهتمين بتعاليم الشريعة الإسلامية والعدل بين الرعية ، فطاردوا العلويين وسجنوا كبارهم ، وعذَّبوهم وقتلوا أكثرهم ، ودخلت جواسيسه وشُرُطه بيوت أهل المدينة المنوَّرة الآمنة ، بحثاً عن محمد وإبراهيم حتى أصاب أهل الحجاز الفزع والذعر ، كما هددهم وذكَّرهم أنه سيفعل بهم ما فعل الطاغية « مسلم بن عقبة المرى » [٤] . إن لم يدخلوا فى طاعتهم .

---

(١) راجع الخطبتين فى فصل « الدولة العباسية » من هذه الدراسة .

(٢) المبرد : الكامل فى اللغة والأدب : ٢/ ٣٨٠ ، ٣٨١

(٣) أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية : ٢/١٥٤ ، ١٥٥

(٤) هو القائد الأموى فى موقعة الحرة بالمدينة المنوَّرة سنة ٦٣ هـ . انظر ترجمته فى : الإصابة (ت ٨٤١٦) ، الإعلام : ١١٨/٨

ونقول : لعل ذلك العمل من العباسيين كان لاستتباب الأمن فى الدولة الجديدة ، والضرب بيد من حديد على الخارجين عليها ، وإلا فإن المنصور عفى عن الكثير وأعطى الأمان لمن ندم ورجع وكان صادقاً فى ذلك [١] .

ومهما يكن فقد جزع بعض العلماء من ذلك وتدارسوا الموقف وظهر الغضب لله على وجوههم وتطلعوا إلى العلويين لإنقاذ الموقف ، وأشاعوا بين الناس أن المنصور اغتصب الخلافة ، وحاد عن الدين ، فأمر الخليفة بإحضار هؤلاء الفقهاء إلى مجلسه ، وكان بمنى ، ولما اجتمع بهم وكان من بينهم مالك بن أنس قال لهم [٢] : « أما بعد معشر الفقهاء .. فقد بلغ أمير المؤمنين عنكم ما أخشن صدره ، وضاق به ذرعه ، وكنتم أحق الناس بالكف من ألسنتكم والأخذ بما يشبهكم ، وأولى الناس بلزوم الطاعة ، والمناصحة فى السر والعلانية لمن استخلفه الله عليكم » .

فقد كان العالم الفاضل : « مالك بن أنس » يؤيد خروج محمد على المنصور ويُحرِّض أهل المدينة على جواز نقض البيعة . وأن البيعة كانت بالإكراه ، ويروى حديثاً عن رسول الله ﷺ أنه قال : « رُفِعَ عن أمتى الخطأ والنسيان ، وما أكرهوا عليه » [٣] ، وكان عندما يقال له : إن فى أعناقنا بيعة للمنصور ، يقول [٤] : « إنما بايعتم مُكْرَهين ، وليس على مُكْرَه يمين »

---

(١) انظر : نسب قريش للمصعب بن عبد الله الزبيرى : ٤٢٩/٢ - الطبعة الثالثة دار المعارف .

(٢) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة : ٢ / ١٧٣

(٣) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة : ١٧٧/٢ . وانظر ابن ماجه باب (١٦) طلاق المُكْرَه والناسى حديث رقم (٢٠٤٣ ، ٢٠٤٤ ، ٢٠٤٥) .

(٤) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٦١ ، مخطوطة : أخبار مَن نهض فى طلب الخلافة ... ص ٦

.. وكان الخليفة مع ذلك يتودد إلى الإمامين أبى حنيفة ، ومالك ، ويخشى بسط ألسنتهم لما لهما من مكانة عند الناس ، فكان كلما سمع ما يؤلمه منهما يتصل بهما ، ويطلب منهما السكوت والهدوء ، وعدم إفتاء الأمة بما يحرضهم ويدفعهم للخروج عليه ، فقد قال يوماً لأبى حنيفة [1] : « يا شيخ ؛ القول ما قلت .. انصرف إلى بلادك ، ولا تُفتِ الناس بما هو شَين على إمامك ، فتبسط أيدى الخوارج » ، كما كان يقول لإمام دار الهجرة مالك [2] : « يا أبا عبد الله ؛ لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنتَ بين أظهرهم ، وإنى إخالك أماناً لهم من عذاب الله وسطوته ، ولقد دفع الله بك عنهم دفعة عظيمة ، فإنهم ما علمتُ أسرع الناس إلى الفتن ، وأضعفهم عنها ، قاتَلهم الله أنّى يؤفكون » .

وكان المنصور يعتذر له إذا ضايقه أمير المؤمنين أو غيره ، ولكن الإمام مالك كان لا يزال على رأيه وموقفه ، المتعاطف مع العلويين [3] .

أما الإمام الأعظم أبو حنيفة فقد أيّد خروج محمد وبايعه [4] ، كما كان فى العراق يجاهر بوجوب نُصرة إبراهيم ، ويُثبِّط بعض قُوَّاد المنصور عن الخروج لحرب إبراهيم [5] ، وكتب أبو حنيفة لإبراهيم : « أما بعد .. فإنى قد جهزتُ إليك أربعة آلاف درهم ولم يكن عندى غيرها ، ولولا أمانات

---

(١) أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية : ٢/١٥٧

(٢) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة : ٢/١٧٩

(٣) الطبرى : ٧/٥٦٠ .

(٤) الشهرستانى : الملل والنحل : ١/٢١٢

(٥) الأزدرى : تاريخ الموصل ص ١٨٨ ، تاريخ المذاهب الإسلامية : ٢/١٥٦

للناس عندى للحقتُ بك » [١] ، فهو يفتى بوجوب الخروج مع إبراهيم ، ويمده بما عنده من الدراهم ، ويعتذر له أن أمانات الناس المودعة عنده هى التى أثنته عن الخروج معه ، ويرد على امرأة كلمته فى ابنها المقتول مع إبراهيم بسبب فتواه بقوله : « ليتنى كنتُ مكان ابنك » [٢] .

وهذا الفقيه عبد اللّه بن يزيد بن هرمز يخرج مع محمد ويجاهر بالخروج ، وكان شيخاً كبيراً ولما قيل له : « واللّه ما فيك قتال » قال : « قد علمتُ ولكن يرانى الجاهل فيقتدى بى » [٣] . وكان سليمان بن مهران الأعمش (ت ١٤٨ هـ) أحد فقهاء الكوفة وأعلمهم بالحديث والفرائض يقول : « لو كنتُ بصيراً لخرجتُ - مع إبراهيم - فما يقصركم عن الخروج » ؟ [٤] . أما الفقيه شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠ هـ) وكان شيخ البصرة وأمير أهل الحديث يحث الناس على الخروج مع إبراهيم ، وقال [٥] : « أرى أن تخرجوا معه وتعينوه » ، ويقول فى خروج إبراهيم : « واللّه لهى عندى بدر الصغرى » [٦] .. ويذكر الأصفهانى [٧] طائفة من الفقهاء والمحدِّثين فى

---

(١) ابن عنبة : عمدة الطالب ص ١٠٩

(٢) عمدة الطالب ص ١٠٩

(٣) الطبرى : ٥٩٩/٧ ، مقاتل الطالبين ص ٢٨٠

(٤) تاريخ الموصل ص ١٨٧

(٥) تاريخ الموصل ص ١٨٩

(٦) ابن العماد : شذرات الذهب : ٢١٤/١ ، مخطوطة : الحدائق الوردية ورقة (١٥٦) .

(٧) مقاتل الطالبين ص ٢٩١ - ٢٩٣ . وانظر مخطوطة : المنتظم فى أخبار الأمم ص ٧٨

العراق والحجاز أنهم أيَّدوا محمداً وإبراهيم ، منهم : « عبد اللّه بن جعفر ابن المسور » من رجال أهل المدينة ، عالماً بالفقه وصادقاً بالحديث ، ومتقدماً بالفتوى ، و « محمد بن عجلان » فقيه أهل المدينة وعابدهم ، وأبو بكر بن أبى سيرة ، ومن العراق سفيان الثورى ، وواصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ... وغيرهم .

كان الفقهاء يجابهون الخليفة بقول الحق ، ويصدعون به ، غير عابئين بالبطش ، سأل الخليفة يوماً أحد الفقهاء - ابن أبى ذؤيب - [1] قائلاً : « أى الرجال أنا عندك » ؟ قال : « أنت واللّه عندى شر الرجال ، استأثرتَ بمال اللّه ورسوله ، وسهم ذوى القُربَى واليتامى والمساكين ، وأهلكتَ الضعيف ، واتعبتَ القوى ، وأمسكتَ أموالهم ، فما حُجَّتك غداً بين يدى اللّه » ؟ ، قال له أبو جعفر : ويحك ! ما تقول ؟ أتعقل ؟ انظر ما أمامك . قال : نعم ، قد رأيت أسيافاً وإنما هو الموت ، ولا بد منه ، عاجله خير من آجله ... ثم أخرجه المنصور من مجلسه [2] .

وفى رواية عن مالك بن أنس أن عبد اللّه بن طاووس (أحد الزُهَّاد) أُدخل على الخليفة المنصور ، وعنده جُلاَّد بأيديهم السيوف لضرب الرقاب ، وأمره بالجلوس وتركه طويلاً لا يكلمه ، ثم التفت إليه ، فقال له : حَدِّثنى عن أبيك ، قال : نعم .. سمعت أبى يقول : قال رسول اللّه ﷺ : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه اللّه فى حكمه ، فأدخل عليه الجور فى عدله » ، فأمسك المنصور ساعة وتغيَّر وجهه .

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيره ، توفى بالكوفة سنة ١٥٩ هـ - مروج الذهب : ٣٣٣/٣

(٢) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة : ١٧٤/٢

ثم قال : يا بن طاووس ناولنى الدواة .

فأمسك ابن طاووس ، ولم يناوله إياها وهى فى يده .

قال المنصور : ما يمنعك أن تناولنيها ؟

قال : أخشى أن تكتب بها معصية لله ، فأكون شريكك فيها .

فلما سمع المنصور منه هذا الجواب ، قال : قُمْ عنى ، فقال ابن طاووس : ذلك ما كنت أبغى [1] .

ويقص علينا الأزدرى [2] ما يشبه هذا الموقف مع فقيهين من فقهاء البصرة ، وممن خرج من الفقهاء مع إبراهيم ، فيقول : إن مطر الورَّاق ، وبشير الرحَّال ، أُدخلاً على المنصور بعد القضاء على حركة إبراهيم . فقال لبشير : أنت القائل : إنى لأجد فى قلبى حراً لا يذهبه إلا عدلٌ أو حدُّ سنان ؟ قال : أنا ذاك [3] .

قال الخليفة : والله لأذيقنك حد سنان يشيب رأسك .

قال : « أصبر صبراً يذل سلطانك » .

قال : وتتراجل عند الموت ؟

---

(١) عبد السلام رستم : أبو جعفر المنصور ص ١٠٠ .

(٢) الأذرى : تاريخ الموصل ص ١٩٠ . وانظر مخطوطة : الحدائق الوردية ص ١٥٠ .

(٣) يقول الأصفهانى (مقاتل الطالبيين ص ٣٤١) : أن بشير الرحَّال كان يقول ويُعرِّض بأبى جعفر : « أيها القائل بالأمس : إن ولينا عدلنا وفعلنا وصنعنا ، فقد وليتَ فأى عدل أظهرتَ ؟ وأى جور أزلتَ ؟ وأى مظلوم أنصفتَ ؟ آه ، ما أشبه الليلة بالبارحة ، إن فى صدرى حرارة لا يطفيها إلا بَرْدُ عدلٍ أو حرُّ سنان » .

قال : « هو ما ترى وتسمع » .

قال : « مُدُّوا يده » .. فقبضها بشير .

فقال له المنصور : هذا خلاف ما يظهر من كلامك .

قال : « لا ، ولكنى لا أعينك على معاص الله » .

فمدُّوا يده فقطعها ، ثم مَدُّوا يده الأخرى فقطعها ، فلا عبس بشير ولا تحرك ، ثم قتله بعد ذلك .

ثم أدخل بعد ذلك بمطر الوراق ، فقال له الخليفة : يا مطر ، نسيتَ الحُرمة وطول الصحبة ؟

قال : « نسيناها بنسيانك كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ وتضييعك أمور المسلمين » .

قال : فتخرج عليَّ مع مَن لم تأنس منه رشداً ؟ فهذا خلاف مذهبك .

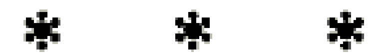
قال مطر : « لو خرج عليك الذَرُّ - وهو أضعف الخلق - لخرجتُ معهم حتى أؤدى ما افترض الله عليَّ فيك » .

قال المنصور : خذوه .

قال : فانظر لمن تكون العاقبة .. فجزع المنصور ، وأمر بضرب عنقه .

إذاً يظهر لنا من سياق هذه الروايات أن أكثر الفقهاء فى الحجاز والعراق قد أيَّدوا خروج محمد وإبراهيم ، ولم يكتفوا بالتأييد ، بل أفتوا بوجوب الخروج معه ، وأن بيعتهم للمنصور كانت فى الإكراه ، وليس على مُكْرَه يمين ، كما نلاحظ أن بعض هؤلاء الفقهاء قد خرج معهم فعلاً كبشير الرحَّال ، وابن هرمز ، ونلاحظ أن ذلك لم يقتصر على فقهاء أهل السُنَّة

والجماعة ، بل وفقهاء الصوفية والمعتزلة والزيدية [1] ، ولما مالت الدولة عما بايعت عليه العلماء وانحرفت ، أخذ الناس يتطلعون إلى الأسرة العلوية فهى - فى نظرهم - المنقذ لهم من الظُلم والعسف والجور ، وهى الأسرة الأقرب للرسول ﷺ التى ما فتئت تطالب بالخلافة منذ أول الدولة الأموية ، وقدَّمت من أجل ذلك العديد من الضحايا .





---

(١) البلاذرى : أنساب الاشراف : ٢٣/٣ ، الأشعرى : مقالات الإسلاميين : ١٤٥/١ ، مخطوطة : الحدائق الوردية ورقة (١٥٠) .

• حركة السودان بالمدينة كأثر لحركة محمد وإبراهيم:

بعد فشل حركة محمد النفس الزكية وقتله (١٤ رمضان ١٤٥ هـ) لم تقم للعلويين قائمة بعدها ، فقد استأصلهم عيسى بن موسى وقتل كل مَن شك فى أمره ، كما صادر أموالهم وممتلكاتهم ، لكنها عادت إلى الظهور مرة ثانية ممثلة فى الطبقات الفقيرة من الموالين والمؤيدين للعلويين وذلك لكراهيتهم لقسوة العباسيين ، وما أنزلوه بهم من صنوف وويلات العذاب والقتل والتشريد .

سمع هؤلاء بحركة أخيه إبراهيم فى البصرة ، فتطلعوا إليها ، ولكن ما لبثت آمالهم أن خابت بعد القضاء على حركة إبراهيم وقتله ، ومما زاد الطين بلّة ، وصول الأمير الجديد للمدينة المنوّرة ، عبد الله بن الربيع الحارثى (٢٥ شوّال ١٤٥ هـ) ومعه عدد من الجند الخراسانيين الذين حوّلوا المدينة إلى نوع من الاضطراب والفوضى ، وخاصة فى الأوساط التجارية ، فقد عاث الجند فى أسواق المدينة فساداً ، يستولون على السلع دون دفع ثمنها ، وإذا طولبوا بالثمن اعتدوا على صاحبها وشهروا السلاح عليه وتوعّدوه بالقتل [١] .

ولما عَمَّ شرُّهم البلد ، اجتمع التجار وذهبوا إلى الوالى عبد الله بن الربيع ، وأخبروه بما يفعله جنده من نهب تجارتهم دون ثمن ، واعتداء عليهم فنهرهم وشتمهم وطردهم ، فتزايد طمع الجند بعد ذلك ، وكانت المدينة قد تأثرت بالحصار الاقتصادى الذى ضربه الخليفة عليها إثر حركة النفس الزكية ، فقلّت الأرزاق ، وزادت الأسعار ، وكان أول مَن تأثر بذلك طبقات الفقراء .

---

(١) الطبرى : ٦٠٩/٧ ، ابن الأثير : ١٣/٥

كان للعلويين موالى من السودانيين الذين تأثروا بهذه السياسة الجديدة وامتلأت نفوسهم حقداً وألماً ، وتلاقت أهواؤهم مع فقراء المدينة ، فاجتمعوا وقرروا القيام بحركة ضد الوالى وجنده . والأخذ بثأر أسيادهم العلويين ، فأعلنوا حركتهم يوم الجمعة ٢٣ من ذى الحجة (سنة ١٤٥ هـ) [١] ، فتجمعوا وحملوا على جند ابن الربيع وهم فى طريقهم إلى صلاة الجمعة ، فقتلوا عدداً كبيراً من هؤلاء الجند ، وترك عبد الله بن الربيع الصلاة ، وهرب إلى خارج المدينة وتحصَّن بمكان يسمى « بئر المطلب » [٢] فى طريق نجد ، على سبعة أميال من المدينة المنوَّرة ، ثم اتجهوا إلى دار مروان وفتحوها ، فأخذوا ما كان مخزوناً فيها من دقيق وسويق وزيت ، فباعوه للناس بأقل الأثمان ، كما اتجهوا بعد ذلك إلى السجن وأخرجوا مَن فيه ، وكان من بين السجناء أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، وكان عيسى بن موسى قد سجنه ، بعد أن أعطى الأموال لمحمد النفس الزكية ، وانضم إلى حركته ، ثم حمله السودان واتجهوا به إلى المسجد ، ووَلُّوه أمرهم ورئاستهم ، وأرادوا فك قيده فقال لهم : « دعونى حتى أتكلم » فقالوا له : « فأصعد المنبر وتكلم » فأبى إلا أن يتكلم أسفل المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلَّى على النبى ﷺ ، ثم حذَّرهم الفتنة ، وذكر لهم ما كانوا فيه ، ووصف لهم عفو الخليفة عنهم ، وأمرهم بالسمع والطاعة للخليفة المنصور [٣] ،

---

(١) الطبرى : ٧/ ٦١٠.

(٢) العيون والحدائق : ٢٤٩/٣ . وانظر : معجم البلدان : ٣١/١ ، وفاء الوفاء للسمهودى - الطبعة الرابعة ص ١١٤١ ، عمدة الأخبار فى مدينة المختار : أحمد بن عبد الوهاب العباسى - الطبعة الثانية ص ٢٥٨

(٣) نسب قريش : ٤٢٩/٢ ، الطبرى : ٦١١/٧

لكنهم لم يقبلوا مشورته ، وعزموا على الاستمرار فى حركتهم هذه فقاموا من عنده وتركوه .

فأرسل إلى محمد بن عمران ، ومحمد بن عبد العزيز وغيرهما ، فاجتمعوا عنده فقال : أنشدكم الله وهذه البليَّة التى وقعت ! فوالله لئن ثبتت علينا عند أمير المؤمنين بعد الفعلة الأولى ، إنه لهلاك البلد وأهله ، والعبيد فى السوق بأجمعهم ، فأنشدكم الله ألا ذهبتم إليهم فكلمتموهم فى الرجعة والفيئة إلى رآيكم ، فإنهم لا نظام لهم ، ولم يقوموا بدعوة ، وإنما هم قوم أخرجتهم الحميَّة [١] .

فاجتمع كبار أهل المدينة ، والقرشيون وتداولوا الأمر ونظروا فى هذه الحركة التى قام بها السودان ، وما ترتبت عليه من فتح السجن ، ونهب الطعام ، وطرد الوالى ، وقتل الكثير من جنده ، فخافوا من سطوة الخليفة الذى عفا عنهم بعد حركة محمد وأمَّنهم ، ورأوا أن هذه الحركة لن تكون لها نتائج طيبة . فلا بد أن يستنكروا هذا العمل ، ويذهبوا إلى الوالى ويطلبوا منه العفو ، والرجوع إلى المدينة ، وأن هذا العمل ما هو إلا من السوادن والرِّعاع من الناس .

اتجه هؤلاء أول الأمر إلى رؤساء السودان « وثيق . ويعقل . ورمقه » وسألوهم الهدوء وعدم الخروج على الخليفة حتى يسلموا من عقابه ، كما ذكَّروهم بعواقب هذه الحركة ، وما يترتب عليها من فساد واضطرابات ، فرضى السودان بذلك وقالوا : « مرحباً بموالينا ، والله ما قمنا إلا أنفة مما عُمِلَ بكم فأمرنا إليكم » [٢] .

---

(١) الطبرى : ٦١٢/٧

(٢) الطبرى : ٦١٢/٧ ، ابن الأثير : ١٤/٥

ثم اتجه أهل المدينة بعد ذلك وناشدوا الوالى الرجوع إلى المدينة ، والعفو عنهم ، فدخل المدينة ، وقبض على رؤساء السودان وقطع يد كل واحد منهم ، وعوّض أهل المدينة ما أخذه السودان من طعام وعاد الهدوء إلى المدينة مرة ثانية [١] .

* * *



(١) أنساب الأشراف : ٢٦/٣ - ٢٨ ، جمهرة أنساب العرب ص ١٦٩ ، ابن كثير : ١٠٥/١٠ .

الفصل الخامس

حركة الحسين بن على بن الحسن

- آمال العلويين فى هذه الحركة .
- أحداثها ونهايتها .
- آثارها على العلويين .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

آمال العلويين في هذه الحركة

بعد قضاء الخليفة المنصور على أخطر حركات العلويين ، بقتل زعمائهم محمد النفس الزكية ، وإبراهيم ، أصيب البيت العلوى بضربة عنيفة ، ولكنه بعد ذلك أخذ يضمد جراحه ، ويجمع شمله إلى معركة قادمة هى آمالهم وتطلعاتهم نحو الخلافة ، فهم لا يمكن أن يسكتوا أو يسالموا عن حقهم المغتصَب كما يؤمنون .

وكان أن اعتلى الخلافة محمد المهدى بن المنصور (١٥٨ - ١٦٩ هـ) الذى أخذ يتودد إلى العلويين ويعمل على التقرب منهم ويسالمهم ، فقد ذهب للحجاز بعد توليه الخلافة ، وقام بتوزيع الهدايا والأعطيات على أهل الحجاز وخصَّ العلويين [١] بالإكرام الشديد .

كما أعاد ممتلكاتهم وأموالهم التى صادرها الخليفة أبو جعفر المنصور ، ومنع عنهم الإيذاء والاضطهاد وما نزل بهم من عسف فى عهد أبيه ، وأطلق سراح مَن سُجِنَ من العلويين أو اشترك معهم في حروبهم ضد الخلافة ، وأعطاهم الأمَان [٢] .

وأمر بفك الحصار الاقتصادى الذى ضربه أبو جعفر المنصور على الحجاز بعد حركة محمد النفس الزكية [٣] .

---

(١) أحمد فريد : عصر المأمون : ١٠٣/١

(٢) التنوخى : الفرج بعد الشده : ١٣٩/٢ ، أحمد شلبى : التاريخ الإسلامى : ١١٨/٣ ، حسن خليفة : الدولة العباسية قيامها وسقوطها ص ٤٧

(٣) الأزدرى : تاريخ الموصل ص ١٩٢

كما استدعى بعض زعماء العلويين إلى بغداد فأكرمهم ووسَّع لهم [١] ، ومن بين مَن وفد عليه الحسين بن علىّ بن الحسن ، فقد أعطاه أربعين ألف دينار فوزعها على الشيعة العلوية ببغداد والكوفة [٢] .

كما أنه أسند الوزارة إلى يعقوب بن داود المعروف بميوله الزيدية العلوية [٣] ، والذى قرَّب العلويين وولاهم بعض أمور الخلافة فى الشرق والغرب [٤] ، فتح الباب أمام العلويين للوفاق مع العباسيين ، وقلّل من عدائهم للدولة العباسية [٥] ، ولكن المهدى لما شك فى نوايا يعقوب وعرف أنه لا يهتم بأمر العباسيين بقدر اهتمامه بأمر العلويين عزله وسجنه [٦] .

ولهذا يمكن أن نعتبر عهد المهدى الفترة الثانية للوفاق والتقارب بين البيتين ، فقد سبق فى زمن السفاح أن تودد لهم ، وقرَّب البيت العلوى ، وخصَّه بالهدايا والإكرام ، لكن أعقبه عهد المنصور الذى أخذ جانب الشدة والعنف مع العلويين ، فتأزمت العلاقة بين البيتين وساءت الأحوال بينهما .

لكن المهدى خالف سياسة أبيه ، فقد كان يتميز « بالعفو والجود ، والحلم والكرم ، ونشر العدل ، ويجلس للمظالم بنفسه ، فأنصف المظلوم ورد المظالم لأصحابها ، واعتبر المهدى من خلفاء بنى العباس الذين أحبهم الشعب [٧] .

---

(١) على حسنى الخربوطلى : المهدى العباسى ص ١٣٩

(٢) الطبرى : ٨/ ٢٠٠ ، الفخرى ص ١٤١ ، ابن كثير : ١٠/ ١٨٠

(٣) الفخرى ص ١٨٤ ، ١٨٦ - طبعة ١٩٦٦ م ، ابن الحنبلى : شذرات الذهب : ١/ ٢٦١

(٤) الوزراء والكُتّاب ص ١٥٨

(٥) على العمرو : أثر الفُرس السياسى فى العصر العباسى ص ٢٢١

(٦) الوزراء والكُتّاب ص ١٦١

(٧) على إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامى العام ص ٣٦٩

إلا أن هذه السياسة السلمية لم تدم بسبب موت المهدى ، الذى مال إلى السياسة المعتدلة والوفاق مع أبناء عمه العلويين ، واعتلى عرش الخلافة بعده ابنه الخليفة الرابع موسى الهادى (١٦٩ - ١٧٠ هـ) ، الذى وصفه ابن طَبَاطَبَا [١] بقوله : « شديد البطش جرئ القلب ، ذا إقدام وعزم وحزم » .

أخذ الهادى العلويين بالشدة ، وقطع الصِلات والهبات التى أجراها أبوه على العلويين [٢] ، كما أخذ يتجسس عليهم ، وأمر الولاة بمراقبة حركاتهم وسكناتهم ، فتعقدت الأمور بين البيتين ، وضجر العلويون من ذلك ، فاتجهوا إلى شيخهم وكبيرهم الحسين بن عليّ بن الحسن « ابن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبى طالب » فحثوه على الخروج ، ليتخلصوا مما هم فيه من الخوف والمطاردة ، وقد صادف ذلك أن وصل إلى المدينة عدد كبير من شيعتهم فى العراق ، قدموا لحضور موسم الحج ، فاتصل بهم الحسين بن عليّ بن الحسن وتدارسوا وضع العلويين السيئ بالحجاز ، وأنهم قد ملُّوا هذه الإجراءات الشديدة التى فرضها عليهم الخليفة الجديد - الهادى - وقالوا له : « أنت رجل أهل بيتك وقد ترى ما أنت وأهلك وشيعتك فيه من الخوف والمكروه ، فقال : « إنى وأهل بيتى لا نجد نَاصِرين فننتصر » فبايعوه ، وواعدوه أن يكون موعد الخروج بعد موسم الحج (سنة ١٦٩ هـ) واتفقوا أن يكون شعارهم « مَن رأى الجمل الأحمر » [٣] .

---

(١) الفخرى ص ١٤٠ .

(٢) تاريخ اليعقوبى : ١٣٧/٣

(٣) تاريخ اليعقوبى : ١٣٧/٣

وقد حدث أن عيَّن الهادى على المدينة عمر بن عبد العزيز [1] سنة ١٦٩ هـ الذى لاحق العلويين ، واستعمل معهم العنف ، عملاً بوصية الخليفة نحوهم فقبض على عدد من العلويين ، ومن بينهم الحسن بن محمد النفس الزكية متهماً إياهم بشرب النبيذ ، فضربهم جميعاً ، وجعل فى أعناقهم الحبال ، وطيف بهم فى شوارع المدينة وأودعهم السجن ، فاتجه الحسين بن علىّ بن الحسن ، ويحيى بن عبد الله بن الحسن ، وكلّما الوالى فى الحسن بن محمد ، وأنه ليس له الحق فى ضربه بالسياط ، لأن فقهاء العراق سمحوا بشرب النبيذ ، فقبل الوالى أن يُطلق الحسن بن محمد بكفالة عمه يحيى بن عبد الله بن الحسن وابن عمه الحسين بن علىّ بن الحسن ، فأُخرج من السجن ، وبعد يومين سأل الوالى عنه ، فأخبروه بأنه غائب منذ خرج من السجن ، فأمر بإحضار الكفيلين ، وسألهما عنه ، وأنكرا معرفتهما بمكانه ، فأغلظ عليهما وتوعدهما وهددهما بالسجن ، فحلف له يحيى بن عبد الله أنه لا ينام ليلته هذه حتى يأتيه به « أو يضرب عليه باب داره حتى يعلم أنه قد جاءه به » [2] فسمح لهما بالانصراف ، ولما خرجا من مجلس الوالى قال الحسين بن علىّ ليحيى : « سبحان الله ، ما دعاك إلى هذا ؟ ومن أين تجد حسناً ! حلفتَ له بشئ لا تقدر عليه . قال : إنما حلفتُ على حسن ، قال : سبحان الله ، فعلى أى شئ حلفتَ ، قال يحيى : والله لا نمتُ حتى أضرب عليه باب داره بالسيف ، فقال الحسين : تكسر بهذا ما كان بيننا وبين أصحابنا من الميعاد ، قال يحيى : قد كان الذى كان فلا بد منه » [3] .

---

(١) هو : عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (الطبرى ١٩٢/٨) .

(٢) الطبرى : ١٩٣/٨ ، مقاتل الطالبيين ص ٤٤٤ ، ابن الأثير : ٧٥/٥

(٣) الطبرى : ١٩٣/٨

وقد أدى موقف يحيى هذا إلى التعجيل بالخروج قبل أوانها الأمر الذى ساعد على فشلها ، وكانوا قد واعدوا شيعتهم القادمين من العراق أن تكون حركتهم بـ « مِنى » بعد فراغهم من موسم الحج ، وقد زار هؤلاء الحسين بن عليّ عدة مرات فى المدينة قبل توجههم إلى مكة لأداء فريضة الحج ، الأمر الذى جعل الوالى العباسى تثيره الشكوك ويحتاط لنفسه [1] . وقد كان قَدْ فرض على العلويين أن يكفل بعضهم البعض ويعرضون أنفسهم للسُلطات العباسية فى كل يوم [2] وما ذلك إلا للتضييق عليهم ، ومراقبة حركاتهم خوفاً من الخروج على الخليفة . وتحملهم المسئولية لما يحدث من اضطراب ..

عرف الحسين بن عليّ أنه لا بد من الثورة والتعجيل بها وإلا أصبح مصيره والعلويون السجن ، كما حدث لهم زمن الخليفة المنصور ، وقد سانده فى ذلك وشجعه خاله يحيى بن عبد اللّه ، وكان يحيىَ قد استشار العلويين فى المدينة على الخروج فأيَّدوا ذلك [3] حيث انضم إليه الـ ٢٦ علوياً [4] وهم كبار العلويين الموجودين فى المدينة المنوَّرة .

ولأن الأمور أصبحت أكثر تعقيداً ، فالوضع المتدهور لا يؤهلهم الآن للخروج من المدينة ، حيث إعلان الثورة بمكة ، فقد اتفقوا أن تكون المدينة

---

(١) الطبرى : ١٩٣/٨ ، مقاتل الطالبيين ص ٤٤٣ ، العباسيون الأوائل : ٢١٥/١

(٢) الطبرى : ١٩٣/٨ ، تاريخ ابن خلدون : ٢١٥/٣

(٣) مقاتل الطالبيين ص ٤٥٧

(٤) مقاتل الطالبيين ص ٤٤٦

هى المكان الأول لانطلاق الشرارة الأولى لهذه الحركة ، ثم تتحول بعد ذلك إلى مكة حيث ينتهى موسم الحج ، فينضم إليهم الشيعة العلوية الذين كانوا يتدفقون على مكة لأداء فريضة الحج ، ثم الاشتراك فى ثورة الحسين ابن علىّ ، كما اتفقوا على ذلك .

* * *



• أحداثها .. ونهايتها :

أحس الحسين بن علىّ بن الحسن بالخطر على نفسه وعلى أهل بيته إن هو لم يعلن خروجه ، فجواسيس الوالى العباسى تراقبه فى كل يوم ، كما جعل شُرُطه فى حالة التأهب والطوارئ ، ويحيى بن عبد الله حلف بالله للوالى أن يأتى بالحسن ، وأن آخر موعد له هذه الليلة ، وإلا سيكون مصيره مع الحسين السجن ومن ثَمَّ فشل خططهم الثورية ، فأعلنوا خُروجَهم فى المدينة المنوَّرة فى فجر يوم ١٣ ذى القعدة سنة ١٦٩ هـ [(١)] ، خرج ولم يكن معه عدد كبير من الرجال حيث قدَّرهم اليعقوبى بأقل من خمسمائة رجل [(٢)] .

بَرَّ يحيى بن عبد الله بيمينه للوالى حيث ذهب ومعه الرجال فطرق على الوالى بسيفه فلم يجده ، والتحق بعد ذلك بالحسين بن علىّ فذهبا ومعهم الرجال إلى المسجد النبوى ، فصلُّوا الصبح ثم صعد الحسين بن علىّ منبر الرسول ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه ، فخطب الناس هذه الخطبة :

« يا أيها الناس ؛ أنا ابن رسول الله ، فى حرم رسول الله ، وفى مسجد رسول الله ﷺ ، وعلى منبر نبى الله ، أدعوكم إلى كتاب الله ، وسُنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فإنْ لم أفِ لكم بذلك فلا بيعة لى فى أعناقكم » [(٣)] .

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط : ٧٠٤/٢ ، ابن الأثير : ٧٥/٥

(٢) تاريخ اليعقوبى : ١٣٧/٣ ، أما الأصفهانى (فى مقاتل الطالبيين ص٤٤٩) فيقدرهم بزهاء ثلاثمائة رجل .

(٣) الطبرى : ٢٠١/٨

فأتاه بعض الناس الذين أيَّدوا خروجه ، وبايعوه على كتاب اللّه وسُنَّة نبيه ، « للرضا من آل محمد » فقال لهم [1] : « أبايعكم على كتاب اللّه ، وسُنَّة رسول اللّه ، وعلى أن يُطاع اللّه ولا يُعصَى ، وأدعوكم إلى الرضا من آل محمد ، وعلى أن نعمل فيكم بكتاب اللّه ، وسُنَّة نبيه صلى اللّه عليه وسلم ، والعدل في الرعية ، والقَسْم بالسوية ، وعلى أن تقيموا معنا ، وتجاهدوا عدونا ، فإن نحن وفيْنا لكم وفيْتم لنا ، وإن نحن لم نَفِ لكم فلا بيعة لنا عندكم » .

هكذا بايع الحسين بن عليّ المناصرين له من أهل المدينة ، وذكر أن هذه البيعة غايتها تطبيق شريعة اللّه ، ليُحِق بذلك الحق ويُبطِل الباطل ، وقال : « أدعوكم إلى الرضا من آل محمد » ، وقد عَنِيَ بذلك نفسه ، فهو - فى اعتقاده - المرضى عنه من آل محمد ليكون خليفة للمسلمين ، ولذلك أقبلوا على البيعة ، كما أراد أن يشدهم لهذه الثورة ، وأنها لم تكن إلا من أجلهم ، فهى منهم وإليهم ، فكان مما قال - فى وصف أهدافها - أنها ستكون للعدل فى الرعية والقَسْم بالسوية ، ويذكرنا آخر هذه الخطبة بخطبة أبى بكر الصدِّيق رضى اللّه عنه المشهورة عندما بايعه المسلمون فى مسجد رسول اللّه ﷺ ، التى قال فيها : « ... أطيعونى ما أطعتُ اللّه ورسوله ، فإذا عصيتُ اللّه ورسوله فلا طاعة لى عليكم » .

ثم اتجهوا بعد ذلك إلى السجن ، وأخرجوا مَن فيه ، وأخذوا ما فى بيت المال وكان فيه بضعة عشر ألف دينار ، وقيل : سبعين ألفاً [2] .

---

(١) مقاتل الطالبيين ص.٤٥ ، محمد ماهر : الوثائق السياسية والإدارية (العصر العباسى) ص ١٧١

(٢) تاريخ ابن خلدون : ٢١٥/٣ ، الفخرى ص ١٤١

هرب الوالي العباسي فور سماعه بحركة الحسين بن عليّ إلى خارج المدينة ، إلا أن الشيعة العباسية تجمعت بقيادة « خالد البربري » ومعه ٢٠٠ من الجند ، واقتتلوا مع الحسين إلى الظهر ، سقط الكثير من القتلى والجرحى من الجانبين ، لكن خالداً البربري قُتِل وتفرّق جنده (١) .

وفي الغد اجتمعت شيعة بني العباس بقيادة « مبارك التركي » وتحصّن العلويون داخل المسجد النبوي ، ودارت رحى الحرب بينهم من جديد ، انتهت في منتصف النهار بهزيمة العباسيين ، وهروب مبارك التركي من المدينة ، وأصبح الحسين بعد ذلك صاحب السُلطة الكاملة على المدينة المنوّرة (٢) .

لم يجد الحسين بن عليّ تجاوباً لحركته عند أكثر أهل المدينة بالخروج معه ، وشد ساعده ، ولإعطاء حركته القوة أمام الخليفة ، بل استنكروا عليه اغتصابه واعتصامه بالمسجد ، وساءت العلاقة بينهم ، حتى إنهم جعلوا يدعون عليه بالهزيمة أمام جيش الخليفة ، ولم يؤد أهل المدينة الصلاة في مسجد النبي ﷺ ، بل أغلقوا على أنفسهم الأبواب تعبيراً عن عدم مساندة هذه الحركة (٣) .

لقد عرف الحجازيون أن الهادي الذي عُرِف بصلابته وشدته وعنفه ، لا يمكن في هذه المرة أن يعفو عن المسئ ، ويمنح المدينة الأمن والأمان والاستقرار بل لا بد من إنزال العقوبة القاسية عليهم .

---

(١) الطبري : ١٩٤/٨

(٢) ابن الأثير : ٧٥/٥

(٣) الطبري : ١٩٥/٨ ، تاريخ ابن خلدون : ٢١٥/٣ ، ابن كثير : ١٨٠/١٠ .

كما شاهدوا تصرفات الحسين بن عليّ التى أزعجتهم كجعل الحرم النبوى الشريف الآمن قاعدة ينطلق منها الثوار ، ومركزاً لهم يحتمون به إذا ما حوصروا من قبَل القوات العباسية وهذا لا يتفق مع عواطفهم ، وتعظيمهم لمسجد رسولَ اللّه ﷺ وتقديسهم له .

كما أن الحسين بن عليّ هو الآخر أخطأ فى كثير من تصرفاته ، فالحركة كانت مثل الحركات العلوية مفاجأة لأهل المدينة ، فلم تكن لها مقدمات حتى تتهيأ لها النفوس ، ويعدون لها ما تحتاجه من وسائل النصر ، فهذه التصرفات التى يسلكها وينهجها العلويون فى حركاتهم أدت إلى عدم التأييد الكامل والكافى لحركاتهم ، ومن ثَمَّ فشلت حركاتهم وتحملوا ثمن هذه الأخطاء والتصرفات التى أدت إلى هذه النتائج التى عرفناها . خاصة وأنهم سيلقون جيش الخلافة الذى يملك العدد والعُدَّة ، كما يملك الأموال والقادة الذين مارسوا وعايشوا الحروب ولهم مواقف مشهورة بالقدرة العسكرية ، والشجاعة وحسن التدبير ، فهم لم يعملوا لذلك حساب .

ولهذا لم يؤيد كل الحجازيين هذه الثورات كل التأييد لإدراكهم أن فشلها أمام قوة الخليفة الهائلة أمر محقق ، فهم والحالة هذه ، لا يمكن أن يبدلوا أمنهم خوفاً ، ورغد عيشهم بؤساً ، كل هذه الأسباب جعلت بعض أهل الحجاز يلزمون بيوتهم بعيداً عن هذا الصراع ، بل وعن غضب الخليفة عليهم ... وعلى هذا قرر الحسين بن عليّ ترك المدينة بعد أن مكث فيها أحد عشر يوماً ، ليلحق بشيعته العراقيين فى مكة ، الذين يؤدون فريضة الحج ، وهم الذين شجّعوه بالأمس على الخروج ، وزيّنوا له ذلك ، ومنوه بعد فراغهم من فريضة الحج أنهم سيكونون معه مؤيدين لحركته ، فغادرها فى ٢٤ من ذى القعدة سنة ١٦٩ هـ [١] .

---

(١) الطبرى : ٨/١٩٥ ، ابن الأثير : ٥/٧٥

ويظهر لنا أن الخليفة الهادى قد وصلته الأخبار من المدينة بتحركات العلويين قبل الثورة ، كما داخلته الشكوك بكثرة الوافدين للحج من العراق ، وبالذات من مركز التشيع الكوفة ، بحيث أرسل مع قافلة الشيعة العباسية الذاهبة إلى مكة لأداء فريضة الحج أربعة آلاف جندى كما قدَّرها المسعودى [١] .

والخليفة - الهادى - لم يرسل هذا العدد الكبير إلا بسبب تخوفه من تحركات العلويين - كما أثبتنا ذلك - لا كما قال بعض المؤرخين المعاصرين أن هذا العدد كان قد وصل إلى مكة لأداء فريضة الحج فقط ، وأن بعض الفرق من الجيش كان مع قافلة الحج العباسية لحمايتهم من اللصوص وهجمات البدو ، وهذا لا نُسلِّم به ، لأنه لم يكن قد حدث من قبل أن أرسل الخليفة جيشاً منظَّماً ومدرباً ومسلَّحاً بهذه الصورة والعدد ، لمصاحبة قافلة الحج القادمة من العراق لحمايتها ولو لم تصل إلى الخليفة التحركات المشبوهة فى المدينة المنوَّرة لما أرسل هذا العدد .

عندما وصل الحسين إلى مكة ، وعسكر بقربها - وادى فخ - أرسل إلى أهلها يطلب منهم التأييد والانضمام إلى حركته ، ولكن أهل مكة لم يستجيبوا إليه شأنهم فى ذلك شأن أهل المدينة ، فلجأ إلى أهم وسيلة ترغبهم فى الانضمام إليه وهى أن أى عبد مملوك ينضم إلى حركة الحسين بن علىّ ، يكون جزاوءه إطلاق حريته ، فغضب أهل مكة وأشرافها لهذا النداء وذلك لأنه لا يملك حق إعطاء الحرية لمملوكيهم دون رأيهم ، وقالوا له : « عمدتَ إلى مماليك لم تملكهم ، فأعتقتهم .. بِمَ تستحل ذلك » ؟ فرجع عن دعوته تلك وأعاد إلى أسيادهم مَن رغب فى ذلك [٢] .

---

(١) مروج الذهب : ٣٣٦/٣

(٢) الطبرى : ١٩٥/٨ ، ابن الأثير : ٧٥/٥

لم يترك قائد الجيش العباسى « محمد بن سليمان بن علىّ العباسى » الفرصة تفوته ، حيث كانت الشيعة العلوية مشغولة بشئون الحج ، فعزم على مداهمة الجيش العلوى الصغير ، الذى كان يعسكر بـ « وادى فخ » (١) انتظاراً لانتهاء موسم الحج ليلتحق به شيعة العراق العلوية ، التى كانت على اتفاق سابق مع الحسين فى أن تكون الحركة بعد نهاية موسم الحج ، وقد كان غرض الشيعة العلوية الوحيد بعد الحج ، هو مساعدة الحسين فى الخروج على الخليفة الهادى ، وقلب نظام الحكم العباسى إلى علوى ..

التقى الجيشان بـ « وادى فخ » على ستة أميال من مكة - فى ذلك الوقت - فجر يوم التروية (٨ الحجة سنة ١٦٩ هـ) (٢) ودارت معركة دامية رهيبة ، استشهد فيها الحسين بن علىّ وهو مُحْرِم ، بعد أن أبلى بلاءً حسناً مع مائة من أتباعه .

وقد حُمِلت هذه الرؤس بعد ذلك إلى الخليفة موسى الهادى (٣) ، كما قُتِل معه بعض من أهل بيته ، كانت هذه الموقعة من الشدة والألم بحيث قيل : « لم تكن مصيبة بعد كربلاء أشد وأفجع من فخ » (٤) وما ذلك إلا أنهم وضعوا فى هذه الثورة كل آمالهم وتطلعاتهم إلى النصر النهائى على الخلافة العباسية ، كما كانت صورتها أليمة وقاسية ، الحسين زعيمها يُقتل وهو مُحْرِم ، ومعه الكثير من أتباعه وهم مُحْرِمون ، عمل بالغ منتهى القسوة والفظاعة ، تقشعر له النفوس وتنخلع له القلوب المؤمنة .

---

(١) أصبح الآن داخل مكة ، وهذا المكان حى من أحيائها يسمى « حى الشهداء » .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط : ٢/٧٠٤ ، مروج الذهب : ٣/٣٣٦ ، مقاتل الطالبيين ص ٤٥٠ ، معجم البلدان : ٤/٢٣٧ كلمة : « فخ » .

(٣) النجوم الزاهرة : ٢/٥٩

(٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان : ٤/٢٣٨

أقام الشهداء ثلاثة أيام ولم يُواروا التراب ، حتى أكلتهم السِباع والطير ، كما فَرَّ المنهزمون وخالطوا الحجاج [1] ، وأعطى محمد بن سليمان - القائد العام - الأمان للمنهزمين بعد أن أشاع الرعب والفزع فى قلوب الحجاج جميعاً لما رأوه من دماء العلويين وهى تسيل فى أيام الحج أيام الأمن والاطمئنان .

وبعد أن سلَّم أكثر العلويين أنفسهم للعباسيين ، ومن هؤلاء الحسن بن محمد النفس الزكية الذى كان سبباً من أسباب تعجيل الثورة ، قتلهم موسى بن عيسى رغم الأمان الذى منحه لهم ، ولما سمع بذلك « محمد بن سليمان » أخبر الخليفة الهادى ، فغضب على هذا الإجراء ، وأمر بمصادرة أموال موسى بن عيسى عقاباً له [2] ولكن ماذا أفاد هذا الإجراء من جانب الخليفة ؟

حُمِل بعد ذلك رأس الحسين بن علىّ إلى الخليفة موسى الهادى ، ولما وُضِعَ الرأس بين يديه ، ونظر إليه ، بكى ، وزجر مَن أتى به ، وقال : « أتيتمونى مستبشرين ، كأنكم أتيتمونى برأس رجل من الترك أو الديلم ، إنه رجل من عِتْرَةِ رسول الله ﷺ ، ألا إن أقل جزاءكم عندى ألاَّ أثيبكم شيئاً » [3] .

وهكذا قُضِىَ على الحركة الثالثة من حركات بنى الحسن على العباسيين فى خلال ربع قرن ، قُضِىَ عليها فى مهدها ، قبل موعدها المحدد ،

---

(١) مروج الذهب : ٣٣٦/٣ ، تاريخ ابن خلدون : ٢١٦/٣

(٢) مروج الذهب : ٣٣٧/٣ ، المقدسى : البدء والتاريخ : ١٠٠/٦ ، معجم البلدان : ٢٣٧/٤ ، ابن الأثير : ٧٦/٥

(٣) مروج الذهب : ٣٣٧/٣ ، الفخرى ص ١٤١

والمرسوم لها ، وفوجئ المناصرون لها والقادمون من العراق من أجلها ، بإخمادها دون هوادة أو رحمة ، فرجعوا إلى ديارهم ، وقد كواهم الحزن والأسى ، باستشهاد زعيمهم الحسين بن عليّ ، مع جمع من أهل بيته .

وبعد أن وصل خبر هزيمة الحسين بن عليّ وقتله إلى المدينة ، وسمع به أميرها عمر بن عبد العزيز أمر بإحراق دار الحسين بن عليّ ، ودور جماعة من أهل بيته وغيرهم ممن خرج معهم وصادر أموالهم وبساتينهم ، فجعلها فى الصوافى المقبوضة (١) .

أعمال تقف أمامها الأفهام حائرة - كيف يتم هذا بين أبناء العم فى وقت لم يمض عليه أكثر من قرن ونصف على موت رسول الله ﷺ وهم مع هذا يعتزون بنسبهم إليه - صلوات الله وسلامه عليه - فماذا أقول ؟

* * *

• آثارها على العلويين :

بعد أن قضى الهادى على حركة الحسين بن عليّ ، وقُتِل هو وأكثر أهل بيته فى هذه المعركة ، أمر الهادى بأخذ مَن بقى من العلويين فى الحجاز وسجنهم عنده في بغداد . بعد أن عذّب كبارهم ، ولكن الموت اختطفه قبل أن يرى رأيه الأخير فى العلويين (ت ١٨ ربيع الأول ١٧٠ هـ) . وتولى الخلافة بعده « هارون الرشيد » الذى مال إلى التساهل والتعاطف مع العلويين ، فقد أخرج المسجونين منهم فى بغداد ، وأكرمهم ووسّع لهم ، وأعادهم إلى موطنهم المدينة ، وأجرى ما كان لهم من الأرزاق والأعطيات (٢) .

---

(١) الطبرى : ٨/ ٢٠٠ ، مقاتل الطالبيين ص ٤٥٥

(٢) شذرات الذهب : ٢٧٩/١ ، عبد الجبار الجومردى : هارون الرشيد : ١٧٢/١

غير أن هناك مَن نجى من القتل من العلويين في معركة « فخ » ، ومن سجن الهادى ، وتفرّقوا فى الأمصار ، مستخفين عن أعين السُلطة العباسية ، وصاروا يشكلون خطراً على الدولة العباسية حيناً من الدهر ، وفى مقدمة هؤلاء إدريس ويحيى ابنى عبد الله بن الحسن ، وكان الأكثر خطراً على الدولة العباسية فيما بعد إدريس بن عبد الله الذى فَرَّ بعد معركة « فخ » إلى مصر ومنها إلى بلاد المغرب الأقصى حيث حط عصا الترحال فى بلدة « وليلى » بإقليم طنجة وجعلها مقراً لدعوته (سنة ١٧٢ هـ) والتف حوله البربر ، وأيّدوا دعوته ، وبايعوه بالإمارة ، وأسس فيها دولة الأدارسة ، وهى أول دولة علوية تنفصل عن جسم الخلافة العباسية ببلاد المغرب ، ولكن الخليفة العباسى « هارون الرشيد » تردد فى إرسال جيش للقضاء على حركة إدريس بن عبد الله لبُعد المسافة ، ووعورة الطريق ، ولخوفه لو هُزِمَ لطمع إدريس بعد ذلك بمصر والشام ، ثم القضاء على الخلافة العباسية .

فلجأ إلى حيلة تخلصه من إدريس دون عناء وتعب ، فوقع اختياره على رجل معروف بالدهاء هو « سليمان بن جرير » ويُعرف بالشمّاخ ، أمره باغتياله والتخلص منه ، ومنّاه بالعطاء الجزل إذا نجح فى مهمته ، فذهب سليمان هذا إلى المغرب ، وقام بالأمر الذى أسند إليه ، فقد اتصل بإدريس وذكر له أنه متشيع للعلويين ، ويمارس مهنة التطبب ، ولما رأى إدريس عذوبة كلامه وسعه عقله ، وحبه لآل البيت ، جعله من خاصته وجلسائه ومستشاريه ، ولما رأى سليمان مكانته عند إدريس ، رأى أن العمل الذى جاء من أجله قد استوى وما عليه إلا تنفيذ المهمة التى كلّفه بها أمير المؤمنين ، ليحظى عنده بالمكانة والأجر العظيم ، لقاء هذا العمل النكير فدسّ له السم فى الطعام (عام ١٧٧ هـ) واختفى عن الأنظار [١] .

---

(١) مخطوطة : أسماء المغتالين من الأشراف ورقة (٧١) ، هارون الرشيد : ١٧٣/١ ، أحمد شلبى : فى قصور الخلفاء العباسيين ص ٢٨

ولما سمع هارون الرشيد بنجاح مهمة ابن الشماخ أراد أن يكرمه ، فأرسل إلى إبراهيم بن الأغلب - صاحب تونس - يأمره بتولية ابن الشماخ بريد مصر وأجازه [1] .

إلا أن موت إدريس بن عبد الله لم يكن قضاء على دولة الأدارسة ، فقد كان متزوجاً من أَمَةٍ بربرية تدعى « كنزة » حملت منه ، فانتظر أتباعه حتى وضعت بعد موته بشهرين ذكرا أسْمَوْهُ إدريساً (إدريس الثانى ، موسس مدينة فاس) ولما بلغ الحادية عشرة من عمره ولاَّه البربر أمورهم وبايعوه خليفة لهم بمدينة « وليلى » (سنة ١٨٨ هـ) وأصبح المؤسس الحقيقى لدولة الأدارسة التى عاشت أكثر من قرنين من الزمان [2] .

أما يحيى بن عبد الله ، فقد اتجه شرقاً نحو بلاد الديلم إحدى أقاليم فارس (جنوبى بحر قزوين) وتجمعت حوله الناس ، وبايعوه ، وكثر أتباعه ، واتسع نفوذه ، وعظم خطره [3] وأصبح يهدد كيان الدولة العباسية من الشرق .

أعلن يحيى خروجه على العباسيين عام ١٧٦ هـ [4] ، ولما وصلت هذه الأخبار الخليفة هارون الرشيد ، اهتم لهذه الأنباء ، فإدريس ذهب إلى بلاد المغرب الأقصى ، والتف البربر حوله ، وكوَّن دولة مستقلة ، وهذا يحيى أعلن خُروجَه فى إقليم الديلم ، وقد خرج فى مناطق منيعة نائية .

---

(١) الطبرى : ١٩٩/٨ ، مقاتل الطالبيين ص ٤٩٠ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام : ٢٢٥/٢

(٢) صبح الأعشى : ١٨٠/٥ ، ١٨٤ ، تاريخ الإسلام : ٢٢٥/٢ ، محمد الطيب النجار وزميله : الدولة الأموية والعباسية ص ٢٤١

(٣) محمد الطيب وزميله : الدولة الأموية والعباسية ص ٢٣٩

(٤) ابن الأثير : ٩٠/٥

استشار الخليفة بعد ذلك المقرّبين والمخلصين له ، فيما يفعل بهذا الثائر الخطير ، فاستقر الرأى على إسناد أمر القضاء عليه إلى الفضل بن يحيى ابن خالد البرمكى (١) ، وأخذ الرشيد يرغبه بتولية المراكز الهامة ، إن هو قضى على هذه الحركة الخطيرة ، بطرق سلمية دون اللجوء إلى حرب وسفك للدماء ، وولاه « جرجان » و « طبرستان » و « الرى » (٢) .

سار الفضل بن يحيى إلى بلاد الديلم فى خمسين ألفاً من الجند ، ومعه كبار القُوّاد (٣) يحمل الأموال والهدايا وأنواع التحف ليحيى بن عبد اللّه ، كما كتب الرشيد مع الفضل بن يحيى لصاحب الديلم ، ووعده بإعطائه « مليون درهم » (٤) إن هو تخلى عن يحيى بن عبد اللّه وسهّل خروجه إليهم . ولما وصل الفضل إلى بلاد الديلم راسل يحيى بن عبد اللّه وخوّفه وهدده إن بدأ معه بالحرب ، أما إذا قبل الصلح ، فإنه يحمل له من الخليفة الأموال والهدايا ، وأنه يضمن له العفو عنده ، فمالت نفس يحيى بن عبد اللّه إلى الصلح لانحراف صاحب الديلم عن دعوته « ولما رأى من تفرق أصحابه وسوء رأيهم فيه ، وكثرة خلافهم عليه » (٥) فطلب من الفضل بن يحيى أن يكون الأمان مكتوباً بخط الخليفة الرشيد ، وأن يُشهد عليه فيه القضاة والفقهاء وجلة بنى هاشم ، فرضى الفضل بهذا الشرط ، وأرسل إلى الخليفة ليستطلع رأيه حول ذلك ، فسُرَّ الخليفة الرشيد ، وعظمت منزلة

(١) ابن كثير : ١٩١/١٠ .

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٣١٢

(٣) الوزراء والكتاب ص ١٨٩ ، ابن الأثير : ٩٠/٥ .

(٤) مخطوطة : أخبار مَن نهض فى طلب الخلافة من الطالبيين ورقة (١٧) .

(٥) مقاتل الطالبيين ص ٤٦٨

الفضل عنده ، فكتب ليحيى أماناً بخط يده ، وأشهد عليه القضاة والفقهاء ، ومشايخ بنى هاشم ، وأرسل معه جوائز كثيرة ...

ولما سُلّم هذا الأمان إلى يحيى بن عبد الله ، قدم بغداد واستقبله الخليفة وأكرمه وأجزل له العطاء ، وهيّأ له منزلاً خاصاً له فى بغداد [١] .

لكن الخليفة الرشيد خاف منه بعد ذلك ، فزجّه فى السجن ، وعيّن عليه وزيره جعفر البرمكى ، ولما اطمأن جعفر ووثق من يحيى بن عبد الله بالتزامه الطاعة أخرجه من السجن دون علم الخليفة [٢] فذهب إلى المدينة المنوّرة ، ولما علم الرشيد بإطلاق يحيى بن عبد الله ، وأنه فى الحجاز ، أنزعج للخبر ، ولام جعفر البرمكى على إطلاق يحيى بن عبد الله الذى لم يقبض عليه إلا بشق الأنفس ، وبدون علم الخليفة ، فداخلته الشكوك - بعد ذلك - بالبرامكة وأنهم يميلون إلى العلويين ، فأصبح لا يأمنهم على نفسه وعلى الدولة [٣] ، وكانت هذه من أسباب نكبة البرامكة [٤] .

أمر الخليفة بعد ذلك بإرجاع يحيى بن عبد الله إلى بغداد ، ثم استفتى الفقهاء والقضاة فى نقض الأمان « فمنهم مَن أفتى بصحته فحاجه ، ومنهم مَن أفتى ببطلانه فأبطله ، ثم قتله بعد ذلك » [٥] .

* * *

---

(١) الوزراء والكُتّاب ص ١٩٠ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد : ١٤/ ١١٠ ، الفخرى ص ١٤٤ ، ابن كثير : ١٠/ ١٩١

(٢) النجوم الزاهرة : ٢/ ١١٥

(٣) محمد الطيب النجار وزميله : الدولة الأموية والعباسية ص ٢٤٠

(٤) النجوم الزاهرة : ٢/ ١١٥ ، ١١٦ ، ابن الأثير : ٥/ ١١٤ ، أثر الفُرس السياسى ص ٢٦٨

(٥) الفخرى ص ١٤٤ ، فى قصور الخلفاء العباسيين ص ٢٧

الفصل السادس

العلويون فى عهد الخليفة المأمون

- حركة أبى السرايا وعلاقة العلويين بها فى الحجاز .
- على الرضا والخليفة المأمون .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(أ)

حركة أبى السرايا وعلاقة العلويين بها فى الحجاز

١ - حركة محمد بن إبراهيم بن طَبَاطَبَا .

٢ - وفاة ابن طَبَاطَبَا وتعيين محمد العلوى خلفاً له .

٣ - خلافة محمد بن جعفر بمكة .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حركة محمد بن إبراهيم بن طباطبا

تجمع العلويون أثناء النزاع بين الأمين والمأمون ، وعزموا على الخروج للوصول إلى الخلافة حقهم المغتصب - فى نظرهم - واعتبروا الخلاف بين الأخوين فرصة يجب ألا تضيع ، بل يجب أن ينتهزوها للوصول إلى ما يبتغون .

والذى حدا بالعلويين إلى هذا التحرك ، هو تلك الفوضى التى شملت الكثير من البلاد وانتهت كما هو معلوم بقتل الأمين وتولية المأمون الخلافة ، ومع ذلك فلم يسكتوا خاصة وأن الخليفة ظل فى مرو بعيداً عن بغداد ، مما زاد فى غضب العرب لخوفهم من نقل الخلافة إلى خراسان . كل هذا ساعد العلويين على الخروج والثورة ، يضاف إلى هذا أن المأمون اتجه إلى الأدب والعلوم والترجمة .... تاركاً السياسة والإدارة بيد الفُرس ، فولىّ مقاليد الأمور كلها إلى وزيره الفضل بن سهل « ذى الرياستين » [1] ، وأناب الفضل أخاه الحسن بن سهل على إدارة العراق والشام ، فأصبحت الدولة بين الفضل والحسن ، كما شعر العلويون أن الناس قد سئموا النزاع الذى حصل بين الأسرة العباسية ، فكرهوا حكمهم . وهنا رأى العلويون أن الوقت قد حان لثورتهم وأن الناس سوف ينضمون إليهم لكراهيتهم لظهور

---

(١) الفخرى ص ١٦٥ ، النجوم الزاهرة : ١٥١/٢ ، أثر الفُرس السياسى فى العصر العباسى ص ٣٢٥ (كتب المأمون على سيف الفضل بن سهل من جانب « رياسة الحرب » وهى تعنى الحرب والقوة ، ومن الجانب الآخر كتب « رياسة القلم » يعنى التدبير والسياسة) .

العنصر الفارسى ، هذا بالإضافة إلى أن الفُرس يميلون إلى العلويين ، وأهل بغداد يميلون إلى العنصر العربى ، فهذا الفضل بن سهل فارسى شيعى ، يصبو إلى تحويل الخلافة إلى العلوية كما يقول : « الدكتور على إبراهيم حسن » [1] .

كما شجعهم على هذا التحرك والمطالبة بالخلافة قيام أول دولة علوية فى المغرب الأقصى ، وقد صادف مع هذه الظروف أن وصل إلى المدينة المنوَّرة أحد الشيعة العلوية القاطنة فى الجزيرة يدعى « نصر بن شبيب » ولعله موفد من شيعتهم فى العراق والجزيرة ، وأخذ يسأل عن كبير العلويين ومَن أفضت إليه زعامتهم ، فدلُّوه على محمد بن إبراهيم بن إسماعيل الملقب ابن طَبَاطَبَا [2] فدخل عليه ، وذكَّره ما جرى لأهل بيته من القتل والتعذيب والتشريد ، وأن العباسيين اغتصبُوا الخلافة منهم ، وأن الفرصة قد حانت الآن للثورة ، وقد وجد ذلك من محمد بن إبراهيم رغبة واستعداداً لأنه كان يعمل ويتهيأ لإعلان الثورة من قبل ، فخرج نصر بن شبيب من عند محمد عائداً إلى موطنه ، وقد وعده محمد بالذهاب إليه فى الجزيرة بعد موسم الحج (سنة ١٩٨ هـ) ليكون منطلق الثورة الجزيرة .

خرج محمد بن إبراهيم فى أول عام (١٩٩ هـ) ومعه نفر من أصحابه وشيعته قاصداً الجزيرة ، ولما وصلها اجتمع بكبار أهل الجزيرة ، لكنه لم يجد منهم ميلاً أو استعداداً للثورة ، بل نصحوه بألا يُعرِّض نفسه للخطر ،

---

(١) التاريخ الإسلامى ص ٣٩٨

(٢) هو : محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه (نسب قريش : ٥٦/٢) قيل : إن سبب تلقيب إبراهيم « طَبَاطَبَا » أن أباه إسماعيل لما أراد أن يقطع له ثوباً وهو صغير فخيَّره بين قميص وقباء فقال : طَبَاطَبَا ، بمعنى قباقبا ، لأن القاف فى لسانه تكون : ط .

ولا سيما بعد أن هدأت الأمور فى الدولة نوعاً ما . ونصحوه بالعودة إلى موطنه الحجاز ، وتمثَّلوا له بقول الشاعر :

وأبــــذل لابــن العم نصحى ورأفتى

إذا كان لى بالخير فى الناس مكرماً

فإن راغَ عن نُصحى وخالف مذهبى

قلبتُ لـــــه ظهـــر المِجَـــنِّ ليندما

ولما علم نصر بن شبيب بتخلى الناس عن نُصرة محمد بن إبراهيم ، اعتذر له بأنه ما كان يظن ذلك منهم ، وأنه لو علم ذلك مسبقاً ما دعاه إلى المجئ من الحجاز وواعده أن يُقدِّم له خمسة آلاف دينار ليستعين بها ، فلم يقبل محمد منه عذراً وقال له :

سنغنـــى بحمـــد اللّه عنـــك بعصبـــة

يهشُّـــون للداعـــى إلى واضـــح الحقِّ

طلبتُ منـــك الحسنـــى فقصرت دونها

فأصبحتَ مذموماً وزلتَ عن الصدق [1]

ثم رجع عائداً إلى الحجاز ، وفى الطريق تقابل مع أبى السرايا « السرى بن منصور الشيبانى » الذى وصفه الأزدرى [2] أنه « رجل أعرابى » أما الأصفهانى [3] فقال عنه : « إنه علوى الرأى ذا مذهب فى التشيع »

---

(١) مقاتل الطالبين ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

(٢) تاريخ الموصل ص ٣٣٢

(٣) مقاتل الطالبين ص ٣٤١

ويرى جيريالى أنه كان [1] « فارساً عربياً من الطراز القديم » . وكان أبو السرايا ومعه بعض صعاليك عرب الجزيرة الفرسان ، قد اشتهر أمره ، فقد كان من قُطّاع الطرق وقتاً من الزمان ، وساعد بعض الثورات والانتفاضات الصغيرة حيناً آخر [2] ، وكان من أنصار هرثمة بن أعين ، ثم اختلف معه لأنه نقص عطاءه من الأرزاق [3] ، ولما طلب منه ابن طَبَاطَبَا مساعدته فى الثورة رحَّب بذلك ، وأحس أن العز والرفعة قد جاءته من أوسع الأبواب ، عن طريق العلويين ، فقد كان بادى الأمر إنساناً تافهاً ليست له المكانة الاجتماعية ، وإن كان يحس مع هذا بأنه فارساً وبطلاً عربياً ، ولا بد من استغلال هذه القدرات التى تجيش فى نفسه ، لتحقيق أطماعه السياسية والمادية ، فوجد فى الأسرة العلوية خير ما يحقق به أهدافه وأطماعه ، وعلو شأنه ..

اتفق أبو السرايا مع محمد بن إبراهيم على اللقاء فى الكوفة ، فسار كل واحد منهما فى طريق ، وفى الطريق إلى الكوفة مَرَّ أبو السرايا على قبر الحسين بن علىّ بن أبى طالب ، وطاف عليه مع فرسانه ، وخطب الناس هناك خطبة قال فيها [4] : « أيها الناس ؛ هبكم لم تحضروا الحسين وتنصروه ، فما يقعدكم عمن أدركتموه ولحقتموه ؟ وهو غداً خارج طالب بثأره وحقه ، وتراث آبائه ، وإقامة دين الله ، وما يمنعكم من نُصرته

---

(١) عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول ص ٢٠٦

(٢) ابن الأثير : ١٧٤/٥ ، تاريخ ابن خلدون : ٢٤٢/٣

(٣) الطبرى : ٥٢٩/٨ ، أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه : تجارب الأمم : ٤٢٠/٦ [ضمن كتاب العيون والحدائق] .

(٤) مقاتل الطالبين ص ٣٤٢

ومؤازرته ؟ إننى خارج من وجهى هذا إلى الكوفة للقيام بأمر الله والذَبِّ عن دينه ، والنصر لأهل بيته ، فمَن كان له نيّة فى ذلك فليلحق بى » .

ومضى إلى الكوفة فدخلها ، والتقى بمحمد بن إبراهيم ، الذى أعلن خروجه فى ١٠ جمادى الآخرة (سنة ١٩٩ هـ) [١] وبايعه أهل الكوفة [٢] ووفدت عليه الأعراب من نواحيها [٣] فاجتمع له كثير من الشيعة [٤] ، وأعلن برنامج الحركة « البيعة للرضا من آل محمد ، والدعاء إلى كتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والسيرة بحكم الكتاب » [٥] .

وقد ساندت الزيدية حركة محمد بن إبراهيم ، والمعروف أن الزيدية توجب على إمامها الخروج وحمل السلاح أمام السلطان ، ولا تشترط فى أن يكون هذا الإمام حسينى أو حسنى .

كما انضم إلى حركة محمد بن إبراهيم بعض الشخصيات العراقية المؤيدة للحق العلوى فى المطالبة بالخلافة ، فهذا الحسن بن هذيل [٦] وكان ممن اشترك فى حركة الحسين بن علىٍّ بـ « فخ » (سنة ١٦٩ هـ) يدخل فى حركة ابن طَبَاطَبا ، ويشجع جيشه ويبعث فيهم الشجاعة والإقدام ،

---

(١) مروج الذهب : ٢٦/٤ ، تاريخ اليعقوبى : ١٧٥/٣ ، ابن الأثير : ١٧٤/٥

(٢) تاريخ ابن خلدون : ٢٤٢/٣ ، النجوم الزاهرة : ١٦٤/٢

(٣) ابن كثير : ٢٧٦/١٠

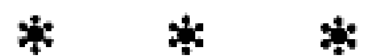
(٤) مقاتل الطالبيين ص ٣٤١ ، ٣٤٢

(٥) مقاتل الطالبيين ص٣٤٣ ، المقريزى : (مخطوطة) منتخب التذكرة ص١٤

(٦) كان الحسن بن هذيل أحد الرواة الذى نقل عنه الأصفهانى فى أثناء حديثه عن معركة « فخ » .

ويحذرهم من الفرار من المعركة ، وعدم الوفاء قائلاً : « يا معشر الزيدية ؛ هذا موقف تستزل فيه الأقدام ، وتزايل فيه الأفعال ، والسعيد مَن حاط دينه ، والرشيد مَن وفى للّه بعهده ، وحفظ محمداً فى عِترَته ، ألا إن الآجال موقوتة ، والأيام معدودة ، مَن هرب بنفسه من الموت كان الموت محيطاً به » .

ويظهر أن أبا السرايا كان القائد العام للجيش العلوى ، أما محمد بن إبراهيم فهو يمثل الزعيم الدينى لهذه الحركة .





• وفاة ابن طباطبا وتعيين محمد العلوى خلفا له :

لم ينته شهر جمادى الآخرة إلا وقد تحقق النصر الكامل لأبى السرايا وابن طَبَاطَبَا فى الكوفة ، فقد طردوا عاملها ، وسيطروا على بيت المال ، وفى أول رجب مات محمد بن إبراهيم إثر مرض مفاجئ ألَمَّ به (١) أو سمه أبو السرايا (٢) وهذا هو الأولى ، فقد عرف أبو السرايا أنه لا حكم له معه بعد أن ظهر لمحمد النصر « ولكونه لم ينصفه فى الغنيمة » (٣) .

والأصفهانى يروى لنا قصة ما كان بين أبى السرايا ، ومحمد بن إبراهيم حيث كان محمد يستنكر على أبى السرايا الكثير من أعماله فى الحروب الأمر الذى أزعج محمداً ، فقد كان أبو السرايا يُغير على القرى ، ويباغت الناس ، فيقتل وينهب ، ولما دخل أبو السرايا على محمد بن إبراهيم وهو عليل ، قال محمد له : « أنا أبرأ إلى الله مما فعلتَ ، فما كان لك أن تبيتهم ولا تقاتلهم حتى تدعوهم ، وما كان لك أن تأخذ من عسكرهم إلا ما أجلبوا علينا من السلاح ... ولما رأى فى وجه محمد الموت ، قال له : يابن رسول الله ، كل حى ميت ، وكل جديد بال ، فاعهد إلىّ عهدك » (٤) لكنه رفض ذلك وأبى إلا أن يكون علوياً .

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٣٤٩ ، مخطوطة : أخبار مَن نهض فى طلب الخلافة من الطالبيين ورقة (١٧) .

(٢) الطبرى : ٥٢٩/٨ ، ابن الأثير : ١٧٥/٥ . تجارب الأمم ص ٤٢ .

(٣) شذرات الذهب : ٣٥٦/١

(٤) مقاتل الطالبيين ص ٥٣١ (باختصار) .

نلمح فى هذا تطلعات أبى السرايا إلى الظهور والشرف والغناء والطمع فى أن يكون له الأمر ، ولذلك قال : « فاعهد إليّ عهدك » فما عمله مع العلويين لم يكن قصده وكما ادعى الأخذ بحقهم ، وهو يظهر نفسه أنه من شيعتهم ، والذابِّين عنهم ، ولهذا وذاك أراد أن يتخلص منه فسمه .

ولذلك ولى عهده غلاماً علوياً ، يستطيع التغلب عليه هو « محمد بن محمد بن زيد ، العلوى » [١] فكان الحكم والأمر والنهى لأبى السرايا .

وبعد ذلك تم النصر فى كثير من المدن والأقاليم لأبى السرايا باسم محمد بن محمد بن زيد ، فقد تمت سيطرته على الكوفة ، والبصرة ، وواسط ، والأهواز ، وعلى مكة ، والمدينة ، واليمن ، وعيَّن عليها ولاة علويين [٢] ، كما بايعه أهل الشام والجزيرة [٣] واستفحل أمره ، وعظم خطره ، وكاد يقضى على الخلافة العباسية ، حتى إنه ضرب الدراهم [٤] .

---

(١) هو : محمد بن محمد بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبى طالب (الطبرى : ٥٢٩/٨ ، ابن الأثير : ١٧٥/٥) أما صاحب كتاب مروج الذهب : (٢٦/٤) فيقول إنه : محمد ابن محمد بن يحيى بن زيد ، والصحيح ما أثبتناه لإجماع المصادر على ذلك .

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٣٥ ، ابن الأثير : ١٧٥/٥ ، تاريخ ابن خلدون : ٢٤٣/٣ كما ولى محمد على شرطته « روح بن الحجاج » وعلى القضاء « عاصم بن عامر » وعلى السوق « نصر بن مزاحم » وعلى الرسائل « أحمد بن السرى الأنصارى » .

(٣) مقاتل الطالبيين ص ٣٥١

(٤) الطبرى : ٥٣٠/٨ ، البدء والتاريخ : ١٠٩/٦ وكتب عليها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (الصف : ٤) وكتب فى وسطه : « الفاطمى الأصفر » .

وبعد أن ألحق أبو السرايا عدة ضربات فى الجيش العباسى ، وسيطر على أكثر المدن العراقية ، وبات يهدد بغداد نفسها ، اضطر نائب الخليفة - الحسن ابن سهل - أن يكتب إلى القائد الشهير طاهر بن الحسين ، يدعوه إلى الإسراع بتولى قيادة الجيش العباسى ضد العلويين ، الذين باتوا يهددون الدولة العباسية بالقضاء عليها ، ولكنه حُذِّر من مغبة تولى طاهرِ قيادة الجيش ، لأنه يميل إلى العلويين ، ومما قيل له [1] :

تثبت قبـل ينفذ فيك أمر بهيج لشــره داء دفيـــن

أتندب طاهـراً لقتالِ قوم بنصرتهم وطاعتهم يدين

فعدل عن رأيه ذلك ، وكتب إلى هرثمة بن أعين يطلب منه القدوم عليه ، لصد هجمات العلويين ، وأنه ليس لهذا العمل الخطير إلا هو ، وكان هرثمة قد فارق بغداد إثر خلاف دَبَّ بينه وبين الحسن بن سهل ، حيث جعل إقامته خراسان . وبعد إلحاح وكتاب وصل إليه من « منصور بن المهدى » قَبِلَ ذلك [2] وتوجه إلى بغداد ، فجمع الجيوش ، ووحَّد الصفوف ، للوقوف أمام أبى السرايا ومطاردته ، فقصد الكوفة ، وحاصرها وأعطى أهلها الأمان إن هم سلَّموا ، ولما شعر أبو السرايا أن الكوفيين بدأوا يميلون إلى هرثمة ، قام يوم الجمعة ، وخطب فيهم خطبة طويلة ذمهم فيها ، وكان مما قال - بعد أن حمد الله ، وأثنى عليه - : « يا أهل الكوفة ؛ يا قتلة علىٍّ ، ويا خذلة الحسين ، إن المغتر بكم لمغرور ، وإن المعتمد على نصركم لمخذول ، وإن الذليل لمن أعززتموه ، والله ما حمد على أمركم فنحمده ، ولا رضى مذهبكم فنرضى به ... » [3] .

---

(١) مقاتل الطالبين ص ٥٣٤ ، ٤٣٥

(٢) الطبرى : ٨/ ٥٢.

(٣) الخطبة كاملة فى : مقاتل الطالبين ص ٥٤٥

وقبل أن يخرج أبو السرايا والعلويون من الكوفة ، عمدوا إلى تخريب دور العباسيين ومواليهم ونهبها ، كما صادروا أموال الناس الذين ساعدوا دخول العباسيين إلى الكوفة [١] .

وفي السادس عشر من المحرم (سنة ٢٠٠ هـ) هرب العلويون وأبو السرايا من الكوفة بعد هزيمة ساحقة لهم ، في ثمانمائة فارس إلى القادسية ، فلاحقهم الجيش العباسي فتركوها يريدون بلدة « رأس العين » بالجزيرة وهي بلدة أبي السرايا ، فاعترضت طريقهم فِرقة من الجيش العباسي كانت تطاردهم ، فخرج أبو السرايا ، وفَرَّ الكثير من جيشه ، ووقع أبو السرايا ومحمد بن محمد العلوي في الأسر ، وأُرسلا إلى الحسن بن سهل وهو بالنهروان ، فأدخل محمد ابن محمد عليه فقرَّبه منه وقال له : « لا خوف عليك .. لعن الله مَن غرَّك » ، ثم قتل أبا السرايا ، وقُطِعَ نصفين وصُلبَ على جسري بغداد [٢] وذلك في ١٠ من ربيع الأول سنة ٢٠٠ هـ [٣] .

وهكذا قُضِيَ على حركة أبي السرايا ومحمد العلوي ، بعد أن كادت تقضي على الخلافة العباسية ، لولا وصول القائد هرثمة بن أعين ، الذي قاد الجيش العباسي إلى النصر النهائي ، كما أن تخلي أهل الكوفة عن أبي السرايا ، ثم هروب أكثر جيشه ، مما كان له أكبر الأثر في نجاح العباسيين على القضاء على هذه الحركة الخطيرة .

* * *

---

(١) الطبري : ٥٣١/٨ ، ابن الأثير : ١٧٥/٥

(٢) تاريخ اليعقوبي : ١٧٥/٣ ، مروج الذهب : ٢٧/٤

(٣) الطبري : ٥٣٥/٨ ، النجوم الزاهرة : ١٦٦/٢

• خلافة محمد بن جعفر الصادق بمكة (*) :

كان أبو السرايا ومحمد بن محمد العلوى قد أرسلا الحسين بن الحسن العلوى المعروف بـ « الأفطس » ومعه فِرقة من الجيش إلى مكة ، فدخلها يوم ٨ من شهر ذى الحجة سنة ١٩٩ هـ وهرب عنها عاملها العباسى ، وترأس الحسين الحج فى تلك السنة ، وبعد فراغ موسم الحج دخل الكعبة وجردها ، وأخذ جميع ما عليها ثم كساها بثوبين رقيقين من القز ، كان أبو السرايا قد بعث بهما من العراق مكتوب عليهما : « بسم اللّه الرحمن الرحيم ، وصلّى اللّه على محمد ، وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار ، أمر به الأصفر بن الأصفر أبو السرايا داعية آل محمد لكسوة بيت اللّه الحرام » [١] ، وأخذ أموال الناس بحجة الودائع ، وأخذ ما فى الكعبة من الخزائن ، وقسمه على جنده ، وساس أهل مكة بسياسة القوة والبطش ، حتى إنه جعل داراً للتعذيب سُمِّيت « دار العذاب » [٢] فنفر منه أكثر أهل مكة ، وتمنوا زواله ، ولجأ بعض أهل مكة إلى سكن الجبال ، ولما

(*) هو : محمد بن جعفر « الصادق » بن محمد « الباقر » بن علىّ « زين العابدين » بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه ، كان سخياً شجاعاً ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وكان من كرمه يذبح كل يوم كبشاً لأضيافه ، وكان يرى رأى الزيدية فى الخروج بالسيف ، ولما بويع له بالخلافة ، ودعا لنفسه ، ودُعِىَ بأمير المؤمنين دخل عليه « على الرضا » فقال له : يا عم ، لا تكذِّب أباك وأخاك موسى فإن هذا الأمر لا يتم ، ثم جفاه بعد ذلك ، فأصبح لا يدخل عليه ، وقال : إنى جعلت على نفسى ألا يظلنى وإياه سقف بيت (تاريخ بغداد : ١١٤/٢ ، المظفرى : الإمام الصادق : ١٣١/٢) .

(١) الطبرى : ٥٣٦/٨ ، صبح الأعشى : ٤٨./٤ ، النجوم الزاهرة : ١٦٧/٢

(٢) الطبرى : ٥٣٧/٨

وصلته الأخبار بهزائم أبى السرايا ، وأن الجيوش العباسية تطارده فى كل مكان ، خاف من انتقاض أهل مكة عليه ، لسوء سيرته عندهم ، فجمع العلويين فى المسجد الحرام ، وطلب منهم أن يرشحوا خليفة لهم ، فوقع اختيارهم على « محمد بن جعفر الصادق » وكان عالماً زاهداً فاضلاً مقدّماً فى أهله ، وكان يسمى الديباجة ، لحسنه وبهائه [1] ، فبويع له بالخلافة وتسمى بأمير المؤمنين [2] وكان ذلك فى ٦ ربيع الأول (سنة ٢٠٠ هـ) [3] وكان من قبل قد رفض ذلك لأنه لا يميل إلى السياسة ، ولكن العلويين زيّنوا له ذلك » [4] فكثرة الاختلاف ببغداد ، وما بها من الفتن ، وظهور الخوارج [5] « جعلت محمداً بن جعفر يقبل بالخلافة ، ولكن الأمر أصبح بيد ابنه علىّ ، وابن الأفطس الحسين بن الحسن ، ولم يكن للخليفة العلوى محمد بن جعفر الصادق من السُلطة إلا الاسم .

---

(١) مروج الذهب : ٢٧/٤ ، مقاتل الطالبيين ص ٣٥٣ - طبع النجف ، شرح نهج البلاغة : ٢٨٨/١٥ ، ابن الأثير : ١٧٧/٥ طبع المنيرية ١٣٥٧ هـ .

(٢) الطبرى : ٥٣٨/٨ ، مروج الذهب : ٣٧/٤ ، ابن الأثير : المصدر السابق ، الفخرى ص ١٦٥ ، ويخطئ أبو الفرج فى مقاتل الطالبيين (ص ٥٣٧) حيث جعل خروج محمد بن جعفر بالمدينة المنوّرة ، كما يخطئ أيضاً بأن جعل « هارون بن المسيب » أميراً لمكة ، فكل ما لدينا من المصادر لا تذكر خروج محمد بن جعفر الصادق بالمدينة ، بل كما أثبتناه بمكة . ثم إن هارون بن المسيب أمير للمدينة وليس لمكة ، انظر على سبيل المثال لا الحصر تاريخ الطبرى : ٥٣٩/٨

(٣) الطبرى : ٥٣٧/٨ ، ابن الأثير : ١٧٨/٥ (يقول ابن الخطيب فى تاريخ بغداد (١١٤/٢) : بويع لمحمد بن جعفر الصادق ، يوم الجمعة ٣ ربيع الآخر) .

(٤) الطبرى : ٥٣٧/٨

(٥) الفخرى ص ١٦٥ ، وانظر الطبرى : ٥٦٤/٨ ، ابن الأثير : ١٧٩/٥ ، ١٨٠ .

وعاث ابنه عليّ وابن الأفطس في مكة فساداً فقد نهبوا الأموال واغتصبوا النساء والصبيان (١) .

اتجه أهل مكة بعد ذلك إلى محمد بن جعفر وأخبروه بما حصل من ابنه عليّ وابن الأفطس فتجاهل هذا العمل ، فتوعدوه بالخلع والقتل إن لم يوقف هؤلاء عند حدهم ، فواعدهم بأنه سيتخذ معهم الشدة والصرامة (٢) .

عرف أهل مكة بمقدم إسحاق بن موسى العباسي من اليمن بجيش كبير ، فأخبروا خليفتهم بمقدمه ، فأمر بحفر خندق صغير لحمايتهم ، كما اجتمع له الأعراب من نواحي مكة ، فقوى بهم ساعده ، ولما وصل إسحاق نازل أهل مكة فهزموه ، ثم ذهب وهرب إلى العراق ، بعد أن مَلَّ القتال ، وفي الطريق تقابل مع جيش عباسي بقيادة « عيسى بن يزيد الجلودي » و « رجاء بن جميل » كان الخليفة المأمون قد أرسلهم لتأديب حركة العلويين بمكة فرجع معهم إسحاق بن موسى ، فدار بين الفريقين قتال شديد عند بئر ميمون بين مكة ومنَى ، ولما اتضح لمحمد بن جعفر أن النصر حليف الجيش العباسي ، طلب الأمان فأمَّنوه ، ودخل العباسيون مكة في شهر جمادى الآخرة سنة ٢٠٠ هـ (٣) .

سار محمد بن جعفر بعد ذلك إلى الجُحفة ، ثم نزل على قبيلة جهينة بالقرب من مدينة ينبع وهي القبيلة التي ساعدت محمد النفس الزكية في حركته على الخليفة أبي جعفر المنصور ، فساعدت هذه القبيلة محمد بن جعفر بمقاتلين ، سار بهم إلى المدينة المنوَّرة للسيطرة عليها ، ظناً منه أن

---

(١) الطبري : ٥٣٨/٨ ، تاريخ ابن خلدون : ٣٤٤/٣

(٢) الطبري : ٥٣٩/٨ ، ابن الأثير : ١٧٨/٥

(٣) ابن الأثير : ١٧٨/٥

الاستيلاء عليها أمر ميسور ، وحتى تكون نواة لحركة جديدة ، ومن ثَمَّ السيطرة الكاملة على الحجاز واقتطاعه من الدولة العباسية ، ولكنه أخطأ في حساباته فقد قابله الوالى العباسى على المدينة « هارون بن المسيب » فى فرقة من الجنود المدربة على القتال ، دارت بين الفريقين معركة حامية ، فَقَدَ محمد العديد من جيشه وأصحابه كما فُقِعَتْ عينه ، ثم عاد إلى مكة حاملاً اليأس والهزيمة ، ولما فرغ موسم الحج (سنة ٢٠٠ هـ) استأذن عيسى الجلودى ، ورجاء بن جميل بدخول مكة ، وطلب منهم الأمان ، فقبلوا منه ذلك [١] فدخل مكة فى ٢٠ من شهر ذى الحجة [٢] فاجتمع الناس فى المسجد الحرام ، وقام فيهم خطيباً ، واعتذر عما حصل منه ، وخلع نفسه من الخلافة .

• نص الخطبة [٣] :

« أيها الناس .. مَن عرفنى فقد عرفنى ، ومَن لم يعرفنى فأنا محمد بن جعفر بن علىّ بن حسين بن علىّ بن أبى طالب ، فإنه كان لعبد الله عبد الله أمير المؤمنين فى رقبتى بيعة بالسمع والطاعة ، طائعاً غير مُكْرَه ، وكنتُ أحد الشهود الذين شهدوا فى الكعبة فى الشرطين لهارون الرشيد على ابنيه محمد المخلوع ، وعبد الله المأمون أمير المؤمنين ، ألا وقد كانت فتنة غشيت عامة الأرض منا ومن غيرنا ، وكان نمى إلىَّ خبر أن عبد الله عبد الله المأمون أمير المأمون قد توفى فدعانى ذلك إلى أن بايعوا إلىَّ بإمرة المؤمنين ، واستحللتُ قبول ذلك لما كان علىَّ من العهود والمواثيق فى

---

(١) الطبرى : ٨/٥٣٩ ، تاريخ ابن خلدون : ٣/٢٤٥

(٢) ابن الأثير : ٥/١٧٨

(٣) الطبرى : ٨/٥٤٠ .

بيعتى لعبد الله عبد الله الإمام المأمون ، فبايعتمونى أو مَن فعل منكم ، ألا وقد بلغنى وصَحَّ عندى أنه حى سَوِىّ ، ألا وإنى أستغفر الله مما دعوتكم إليه من البيعة ، وقد خلعتُ نفسى من بيعتى التى بايعتمونى عليها ، كما خلعتُ خاتمى هذا من أصبعى وقد صرتُ كرجل من المسلمين ، فلا بيعة لى فى رقابهم ، وقد أخرجتُ نفسى من ذلك ، وقد رَدَّ الله الحق إلى الخليفة عبد الله عبد الله المأمون أمير المؤمنين ، والحمد لله رب العالَمين ، والصلاة على محمد خاتم النبيين ، والسلام عليكم أيها المسلمون » .

ثم ذهب بعد ذلك للمأمون فى مرو ومعه الجلودى ، فاعتذر للخليفة ، فقبل منه ذلك ، وعفا عنه ولازم محمد الخليفة ، ولما كان بجرجان توفى محمد [1] فى شعبان (سنة ٢٠٣ هـ) وصلّى عليه المأمون [2] .

وهكذا انتهت آخر حركة علوية فى الحجاز فى العصر العباسى الأول ، انتهت هذه الحركات بقتل العديد من العلويين ، كما سالت أنهار من الدماء البريئة فى هذا الصراع الدامى المرير الطويل بين البيتين العباسى والعلوى .

* * *

(١) تاريخ اليعقوبى : ١٧٦/٣ ، الفخرى ص ١٦٥

(٢) تاريخ بغداد : ١١٥/٢


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(ب)

على الرضا والخليفة المأمون

- مقدمة .
- أسباب بيعة المأمون لعلى الرضا .
- البيعة .
- صدى البيعة .
- وفاة علىٍّ الرضا .
- آراء بعض المؤرخين فى تولية المأمون لعلىٍّ الرضا ، وفى موته .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقدمة

الذى طالع هذا البحث من أوله ، وتأمل سياسة العباسيين الداخلية ، يجد فيها الكثير من الأساليب والطُرق المختلفة فى صراع هذه الأسرة - أعنى العباسية - مع أبناء عمهم العلويين ، التى مرَّت بعدة أدوار تجعل القارئ يقف متلبثاً ، ولكن ذلك يرجع إلى طبيعة كل خليفة من خلفاء العصر العباسى الأول، فنجد مثلاً الغموض والتعقيد والتشدد فى سلوك بعضهم - كما نلمح ذلك من سيرة الخليفة أبى جعفر المنصور - ونرى فى البعض الآخر طابع المرونة والتسامح مع العلويين كما كان السفاح والمهدى ، وإن كانت كلها تهدف إلى تدعيم أركان الدولة والمحافظة عليها فى الداخل والخارج ، حتى لا يطمع فيها طامع ، أو ينال منها أحد منالاً ، لتكون مرهوبة الجانب ، عزيزة السلطان ، خاصة وقد كان هناك من رجال البلاط مَن يتعاطف مع العلويين ، فقد رأينا موقف الخلاَّل فى عهد السفاح ، ويعقوب بن داود فى عهد المهدى ، والبرامكة فى عهد هارون الرشيد ، الذين دفعوا ثمن ميولهم غالياً .

وفى عهد الخليفة الرشيد والمأمون سمح لأهل الكلام من معتزلة وشيعة ، بدخول مجالس القصر وعقد الندوات والاجتماعات ، وبحث الآراء التى يعتقدها هؤلاء سواء أكانت شيعية أو غيرها ، وقد عُرِفَ البرامكة بتشجيعهم للمناقشات الفكرية والسياسية ، وكان من بين هذه الآراء التى تناقش موضوع الإمامة ، أنص هى أم اختيار ؟ وغير ذلك من الكلام فى الأصول والفروع [١] .

---

(١) مروج الذهب : ٣٧٩/٣

. وكان ممن يحضر هذا الاجتماع من زعماء المعتزلة [١] محمد بن الهُذيل العلاَّف ، وهو إمامى المذهب ، وشيخ المعتزلة [٢] ، وإبراهيم بن يسار النَّظَّام ، وهو صاحب طريقة فى الاعتزال [٣] ، ومن كبار الشيعة على بن هيثم ، وهشام بن الحكم وغيرهم ..

ومهما يكن من أمر ، فإن هدفنا هذا هو إبراز الجو العام للنشاط الفكرى والسياسى الذى سبق عصر الخليفة المأمون .

يقول الدكتور عبد المقصود نصار : « شاهد النصف الأول من القرن الثانى الهجرى هذه الحركة العلمية إلى أن جاء الخليفة « المأمون » فمال إلى الأخذ ببعض آراء المعتزلة ، لأنها أكثر حرية واعتماداً على العقل ، وقرَّب أتباع هذا المذهب إليه ، ومن ثَمَّ أصبحوا من ذوى الجاه والنفوذ فى قصر الخلافة فى بغداد ، ووافقهم فيما ذهبوا إليه من القول بخلق القرآن » [٤] .

ويذكر لنا عبد القاهر البغدادى ، عن بعض المخلصين للخليفة المأمون ، وزعيم المعتزلة فى ذلك الوقت « ثُمَامَة بن أشرس النميرى » أنه هو الذى أغوى المأمون بأن دعاه إلى مذهب الاعتزال [٥] .

* * *

---

(١) نفس المصدر والجزء ص ٣٨.

(٢) راجع ترجمته وآراءه فى : الشهرستانى : الملل والنحل : ٤٩/١ ، والفَرق بين الفِرق ص١٠٢ .

(٣) الملل والنحل : ٥٣/١ ، الفَرق بين الفِرق ص ١١٣

(٤) ملامح من تاريخ الدولتين ص ١٣١

(٥) الفَرق بين الفِرق ص ١٥٧

أسباب بيعة المأمون لعلى الرضا (*)

ولا بد لنا قبل أن نعرض للحديث عن البيعة ، أن نبحث عن الأسباب التى هيأت اتصال الخليفة المأمون ، بعلى بن موسى بن جعفر الصادق ، قبل أن يمضى عام واحد على فشل حركة عمه « محمد بن جعفر الصادق » فى مكة .

(*) هو أبو الحسن ، علىّ « الرضا » بن موسى « الكاظم » بن جعفر « الصادق » ابن محمد « الباقر » بن علىّ « زين العابدين » بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

ولد علىّ الرضا بالمدينة المنوّرة يوم الجمعة سنة ١٥ هـ - وقيل سنة ١٥١ هـ - وكان محبباً للناس ، وكان يروى عن جده جعفر الصادق العلم ويُعلِّمه ، وكان الناس يكتبون عنه ، وكان يُظهر زهداً ، قيل لأبى نواس : لِمَ لا تمدح علىّ الرضا ؟ فقال :

قيل لى : أنت أحسن الناس طراً ... فى فنون من الكلام النبيه

لك من جيد القريض مديح ... يثمر الدر فى يدى مجتنيه

فعلام تركتَ مدح ابن موسى ... والخصال التى تجمعن فيه

قلت : لا أستطيع مدح إمام ... كان جبريل خادماً لأبيه

ثم أنشد بعد ذلك :

مطهَّرون نقيات جيوبهم ... تجرى الصلاة عليهم أينما ذُكروا

مَن لم يكن علوياً حين تنسبه ... فما له فى قديم الدهر مفتخر

اللّه لما برا خلقاً فأتقنه ... صفاكم واصطفاكم أيها البَشر

فأنتم الملأ الأعلى وعندكم ... علم الكتاب وما جاءت به السور

فنقول بعد أن أشرنا إلى الجو الفكرى والسياسى الذى سبق عصر المأمون ، وكذلك أثناء حكمه ، ومما أمكننا الاطلاع عليه من المصادر التاريخية ومن كتابات المؤرخين المعاصرين ، نرى الأسباب كالتالى :

الأول - هذا التقارب بين المذهبين المعتزلى والشيعى ، فنقول : يرى أكثر علماء المعتزلة أحقية إمامة علىّ بن أبى طالب دون غيره ، فهم يقولون : « إن الرسول ﷺ نَصَّ على علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى مواضع ، وأظهره إظهاراً لم يشتبه على الجماعة [1] » ، وبالطبع هذا هو رأى الشيعة - أيضاً - .

ويقال إن واصل بن عطاء (٨٠ - ١٦٠ هـ) ، زعيم المعتزلة ، أخذ الاعتزال عن أبى هاشم « عبد الله بن محمد ابن الحنفية » [2] فيكون إذاً منشأ الاعتزال علوياً ، كما أن « زيد بن علىّ » كان تلميذاً لواصل هذا [3] ، كما أن المعتزلة ساعدت فعلاً الحركات التى قام بها العلويون للمطالبة بالخلافة أمام العباسيين ، وقد رأينا من قبل أنها ساندت حركة محمد وإبراهيم ابنى عبد الله بن الحسن ، وكان هذا مثالاً لتقارب وجهة نظر الفرقتين ، حول موضوع الخلافة .

لقد مال الخليفة المأمون عن مذهب أهل السُنَّة والجماعة ، الذى كان عليه نظام الدولة والخلفاء من قبل إلى مذهب الاعتزال حتى إنه حمل الدولة على

---

(١) الملل والنحل : ١ / ٥٧

(٢) الملل والنحل : ١ / ٤٩

(٣) البيرنصرى نادر : فلسفة المعتزلة - بيروت ١٩٥٦ - ص ٣٢٢ نقلاً عن مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد - ص ٢٩٥ - مقال لفاروق عمر عن المأمون وعلىّ الرضا .

الإيمان به وصبغها بمبادئ هذا المذهب وأخذ على القضاة عهداً بألا يقبلوا شهادة مَن لا يقول بخلق القرآن [١] . وهو أهم مبادئ الاعتزال .

إذاً نقول - وبعد أن أثبتنا التقارب فى كثير من الآراء المذهبية بين المعتزلة والشيعة حول الإمامة ، وإيمان الخليفة بآراء المعتزلة - : ليس ببعيد أن يكون هذا السبب المهم والدافع القوى الذى جعل الخليفة يؤمن بأحقية الأسرة العلوية فى الخلافة ويولى علىّ الرضا العهد بعده .

ثم إن الشهود الذين وقّعوا على وثيقة العهد لعلىّ الرضا هم من المعتزلة المعروفين بميولهم العلوية وهم : بشر بن المعتمر ، ويحيى بن أكثم ، وحماد ابن النعمان ، كما وقّعها معهم كبار المتشيعين فى البلاط : الفضل بن سهل ، وعبد الله بن طاهر [٢] . وسنذكر - إن شاء الله تعالى - هذه الوثيقة وتلك التوقيعات .

الثانى - وبجانب ظاهرة الاعتزال عند المأمون يظهر لنا تشيعه ، وحبه لآل علىّ بن أبى طالب - أيضاً - فتربيته ، وأمه ، وزوجته : فارسية ، كما نجد وزراءه من الفُرس ، وعاش فى بيئة فارسية ، غالبيتها تؤمن بأحقية علىّ وأولاده من بعده فى الخلافة .

فيقول المسعودى : « كان المأمون يظهر التشيع » [٣] ويقول ابن الأثير : « كان المأمون شديد الميل إلى العلويين ، والإحسان إليهم ، وخبره مشهور

---

(١) انظر رسائل المأمون إلى واليه على بغداد ، الطبرى : ١٩٧/٧ - ٢٠٦ - طبع الاستقامة سنة ١٩٣٩ .

(٢) المظفرى : تاريخ الشيعة ص ٥ .

(٣) مروج الذهب : ٥/٤

معهم ، وكان يفعل ذلك طبعاً لا تكلفاً » [1] ، ويذكر الذهبى أن المأمون أظهر التشيع ، وأمر أن يقال : خير الخلق بعد النبى ﷺ علىٌّ بن أبى طالب ... [2] .

ويحدثنا صاحب كتاب الفخرى عن رأى المأمون فى العلويين فيقول : « اجتمعت به زينب بنت سليمان بن علىّ بن عبد الله بن العباس ، وكانت فى طبقة المنصور ، وكان بنو العباس يعظمونها ، فقالت له : يا أمير المؤمنين ؛ ما الذى دعاك إلى نقل الخلافة من بيتك إلى بيت علىّ ؟ قال : يا عمة ؛ رأيت علياً حين ولى الخلافة ، أحسن إلى بنى العباس ، فولى عبد الله البصرة ، وعبيد الله اليمن ، وقثم سمرقند ، وما رأيتُ أحداً من أهل بيتى ، حين أفضى الأمر إليهم كافئوه على فعله فى ولده ، فأحببتُ أن أكافئه على إحسانه ، قالت له : يا أمير المؤمنين ؛ إنك على بِر بنى علىّ - والأمر فيك - أقدر منك على بِرهم والأمر فيهم » [3] .

ومن حسن معاملته للعلويين ، أنه لم يعرض لأحد منهم بأذى حتى المسئ فيهم عفا عنه ، فهذا « محمد بن محمد بن زيد » الذى فشلت حركته فى الكوفة ، وقُبِضَ عليه وأُرسل إلى الخليفة بمرو ، أمر له بدار وأكرمة ووسَّع له [4] .

---

(١) الكامل فى التاريخ : ٥/ ٢٣٠.

(٢) دول الإسلام : ١/ ١٠٠

(٣) ابن طباطبا ص ١٦٤

(٤) مقاتل الطالبيين ص ٥٤٩

كما عفا عن « زيد بن موسى » الذى عاش فى البصرة مع جماعة من القيسية ، فقد نهب دورها ، وأخذ أموال أهلها ، وعندما هزمه عيسى الجلودى وقبض عليه وأرسله إلى المأمون ، مَنَّ عليه ، وأطلق سبيله [١] .

وقد عرفنا أول هذا الفصل ، كيف أنه عفا عن « محمد بن جعفر الصادق » الذى فشلت حركته بمكة ، فقد أكرمه الخليفة ، وجعله من جلسائه حتى توفى .

كل هذه الشواهد والمواقف التى اتصف بها الخليفة المأمون ، تعطينا دليلاً واضحاً على أن مواقفه مع العلويين بلغت مبلغاً كبيراً من المحبة والمعاملة الحسنة بما لم نعهده عند الخلفاء العباسيين الذين سبقوه ، الأمر الذى يساعدنا على القول : بأن دافع التشيع عند المأمون ، وعواطفه للعلويين ، هو الذى مهَّد الطريق للخليفة أن يبايع علوياً هو علىّ الرضا .

الثالث - الظروف السياسية التى أحاطت بالخليفة المأمون ، فى صراعه الطويل مع أخيه الأمين ، الأمر الذى صبغ هذا الصراع بالصبغة القومية العنصرية بين العنصر العربى الذى يناصر الأمين ، والعنصر الفارسى الذى يقف مع المأمون . إلى حد كبير عند بعض المؤرخين المحدَثين .

ويذكر لنا المؤرخون أن المأمون هَمَّ بالتنازل ، ومبايعة الأمين ، لكن الفضل بن سهل شَدَّ من أزره ، وضمن له النصر ، ولهذا قال : « إنى عاهدتُ اللّه أن أخرجها إلى أفضل آل أبى طالب ، إن ظفرتُ بالمخلوع ، وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل - يعنى علىّ الرضا - » [٢] .

---

(١) تاريخ اليعقوبى : ١٧٧/٣

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٥٦٣ ، ومخطوطة : النسيبى ورقة (١٢٢/ أ) نقلاً عن مجلة كلية الآداب - الجامعة المصرية - عدد مايو ١٩٣٣ - ص ٨٥ - مقال الدكتور حسن إبراهيم حسن .

وعن تمسكه بهذا العهد ، والوفاء به ، الذى قطعه على نفسه ، بعد أن انتصر على أخيه ، يقول : « إن هذا عهداً ووفاءً بعد أن توليتُ الأمر ... فعليّ أن أفي لله بهذا الوعد والعهد »[١] .

كما أن انتصار المأمون على أخيه كان ضربة قوية لآمال الأسرة العباسية وخاصة اخوال الأمين[٢] التى وقفت معه وناصرته ، وتأييداً لما ذكرناه ، يذكر لنا محمد بن حبيب[٣] أن المأمون قبض على ثلاثة من كبار الأسرة العباسية وقتلهم . ويبدو لى أن هؤلاء الثلاثة الذين ذكرهم ابن حبيب هم من رؤوس المعارضة العباسية لحكم المأمون ، وما فعل ذلك إلا للتخويف وإظهار شخصيته وهيبته المهزوزة أمام أسرته ، بعد هزيمة الأمين وقتله .

ولعل هذا الجو المضطرب أمامه سياسياً وما قابلته به أسرته هو الذى دفعه إلى التقرب من الأسرة العلوية التى يميل إليها .

يقول الدكتور فاروق عمر : « ولقد أراد المأمون الذى مَلَّ حالة القلق السياسى بعد الحرب الأهلية ، أن يبدأ فترة من الاستقرار والتوفيق بين السُلطة والمعارضة فاختار علياً وسماه « الرضا » وهو نفس اللقب الذى كان الثوار العلويون يتخذونه »[٤] .

---

(١) القمي : (مخطوطة) عيون أخبار الرضا ورقة (٢٢٨) .

(٢) الدورى : العصر العباسى الأول ص ٢٠٩

(٣) مخطوطة : أسماء المغتالين من الأشراف ورقة (٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤) ، وانظر ابن الأثير : ٢٠٨/٥

(٤) مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد - عدد ١٦ سنة ١٩٧٣ ، مقال للدكتور : فاروق عمر « سياسة المأمون تجاه العلويين » ص ٢٨٤

البيعة

إن تفسير بيعة المأمون العباسى إلى علىّ الرضا العلوى ليس أمراً سهلاً فهذا يعنى انتقال الخلافة الإسلامية من البيت العباسى إلى البيت العلوى ، وبالطبع فإن العلويين لا يمكن أن يُفسحوا المجال فيما بعد لأى عباسى ، فلا بد أن تكون الخلافة فيهم دون غيرهم ، يتوارثونها ، وهذا شأن أى أسرة حاكمة فى التاريخ .

ثم إن مصادرنا التاريخية التى أمكننى الاطلاع عليها لم تذكر أن عباسياً سيتولى الأمر بعد علىّ وهكذا ... بمعنى أن تكون الخلافة فى البيتين يُختار منهما المرضى عنه لتولى الخلافة . وعلى ضوء الأسباب التى قدمناها - سابقاً - وبعد أن هدأت الأمور فى بغداد ، بعد الفتن والاضطرابات التى عرفتها ، وانتهت الحركات التى قام بها البعض من الأسرة العلوية .

فكر المأمون وتدبر أمره ، فى الوفاء بما عاهد اللّٰه عليه ، وأخذ يبحث عن الرجل المناسب ، فلم يجد أصلح ولا أورع وأتقى من علىّ بن موسى [1] ، كما أنه لم يشترك فى أى حركة علوية ، حتى ولم يتعاون معهم .

وفى المعنى الذى أشرنا إليه يقول اليعقوبى [1] ويؤيده المسعودى [2]

---

(1) تاريخ اليعقوبى : ١٧٦/٣

(2) مروج الذهب : ٢٧/٤

ومحمد بن النعمان [1] أن الخليفة المأمون أرسل « رجاء بن أبى الضحاك » قريب الفضل بن سهل إلى المدينة المنوّرة ، وطلب منه أن يحث البيت العلوى على الرحيل معه إلى الخليفة فى مرو - عاصمة خراسان - فلبى ابن الضحاك أوامر الخليفة ، ونهض بالأمر ، ولما وصل إلى المدينة أعلمهمأن المأمون يطلب حضورهم إلى خراسان ... فقبلوا ذلك ورحلوا ، ولما قدموا استقبلهم الخليفة خير استقبال فى قصره ، وأظهر لهم سروره وفرحه ، وخَصَّ منهم بالإكرام ، علياً الرضا ، فقد أفرد له منزلاً خاصاً به .

ويقال إن المأمون قال لعلىّ الرضا : « إنى أريد أن أخلع نفسى من الخلافة ، فما رأيك ؟ فأبى الرضا ، وأنكر هذا الأمر ، وقال : أُعيذك باللّه يا أمير المؤمنين ، وأن يسمع به أحد » لكن المأمون أظهر الجد فى كلامه ، ولما رأى الامتناع من على الرضا قال له : « فإذا أبيتَ ، وأعرضتَ ، فلا بد من ولاية العهد من بعدى ، فأبى الرضا إباءً شديداً » [2] .

ثم أرسل الخليفة فى طلب الفضل بن سهل ، وأخبره عن عزمه بتولية علىّ الرضا ولاية العهد من بعده ، فقابل الفضل ذلك بسرور ، وأما الحسن بن سهل، فقد قيل عنه إنه تردد فى هذا الأمر ، فأشار على الخليفة أن يعدل عن رأيه ، وخوَّفه من عواقب هذه السياسة ، لما فيها من تحويل الخلافة إلى بيت علىّ بن أبى طالب ، لكن المأمون أصرَّ على رأيه ، واعتبر ذلك وفاءً بالعهد [3] .

---

(١) مخطوطة : الإرشاد : ورقة (٢٢٧/ب) نقلاً عن مجلة كلية الآداب - الجامعة المصرية - ص ٨٥

(٢) مخطوطة : الإرشاد : نفس الصفحة .

(٣) مقاتل الطالبيين ص ٥٦٢ ، ٥٦٣ - مجلة كلية الآداب - الجامعة المصرية ص٨٥

وكان فى جانب المأمون رجال كرهوا تولية علىّ الرضا العهد ، يقول الجهشيارى : إن الخليفة المأمون ، قال للفضل بن سهل : « ينبغى أن تحضر « نعيم بن حازم » فإنه وجه من الوجوه ، وله سابقة ، وجلالة وسياسة ، فتناظره فيما أجمعناه من هذا الأمر ، فأحضره الفضل بحضرة المأمون ، وعرّفه بما عزم عليه ، ورغّبة فيه ... فأبى ذلك نعيم ، وذكر ما كان منه ومن سَلَفه فى نُصرة الدولة الهاشمية ، وما وصلوا إليه بها من العز والأمن ... وأنه لا يقبل الضيم ، ولا يسمح بطاعة مَن كان يسفك دمه ... فكلّمه الفضل فى ذلك ، وخلط له ليناً وغلظة . فقال له نعيم : إنك إنما تريد أن تزيل المُلك من بنى العباس إلى ولد علىّ ، ثم تحتال عليهم ، فيصير الملك كسروياً »[1] .

وفى يوم الإثنين السابع من شهر رمضان سنة ٢٠١ هـ وأمام مجمع حافل ضم الأشراف ورجال الدولة وكبار القادة ، أعلن الفضل بن سهل نيابة عن الخليفة المأمون تولية ولاية العهد لعلىّ بن موسى بعد المأمون ، وتسميته « علىّ الرضا » وأمرهم بلبس الخُضرة - شعار العلويين ، وخلع السواد - شعار العباسيين ، والعود لبيعته فى مثل هذا اليوم ، على أن يأخذوا رزق سنة .

وبعد أسبوع أقيم احتفال كبير حضره المأمون ، وأمر ابنه العباس بن المأمون أن يبايع له أول الناس[2] ثم بايع الحاضرون ، وتسابق الشعراء بذكر فضائل علىّ الرضا ، وامتدحوا الخليفة المأمون .

ثم أصدر الخليفة مرسوماً يعلن فيه اختياره لعلىّ الرضا ، ولياً للعهد من

---

(١) الوزراء والكُتّاب ص ٣١٢ (باختصار) .

(٢) اليعقوبى : ١٧٦/٣ ، تاريخ الموصل ص٢٠٤ ، مقاتل الطالبيين ص ٥٦٣

بعده ، وقد وُزِعَ هذا المرسوم على جميع الأقاليم ، لاعتماده من الولاة ، وقيادات الجيوش ، والناس ، وأمر أن يُقرأ بالروضة الشريفة ، عند قبر الرسول ﷺ بالمدينة المنوَّرة ، ومما جاء فيه : « هذا كتاب كتبه عبد اللّه بن هارون الرشيد أمير المؤمنين بيده لعليّ بن موسى بن جعفر ولي عهده .

أما بعد .. فإن اللّه اصطفى الإسلام ديناً ، واصطفى له من عباده رسلاً دالين عليه ، وهادين إليه ، يُبشّر أولهم بآخرهم ، ويُصدِّق تاليهم ماضيهم ، حتى انتهت نبوَّة اللّه إلى محمد ﷺ على فَترة من الرسل ودُروس من العلم ، وانقطاع من الوحى ، واقتراب من الساعة ، فختم اللّه به النبيين وجعله شاهداً لهم ومهيمناً عليهم ، وأنزل عليه كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .. فعلى خلفاء اللّه طاعته فيما استحفظهم واسترعاهم من دينه وعباده ، وعلى المسلمين طاعة خلفائهم ومعاونتهم على إقامة حق اللّه وعدله وأمن السبيل وحقن الدماء وصلاح ذات البَين وجمع الألفة ، وفى إخلال ذلك اضطراب حبل المسلمين واختلافهم ، واختلاف مِلّتهم ، وقهر دينهم واستعلاء عدوهم ، وتفرق الكلمة ، وخسران الدنيا والآخرة ، فحقٌ على مَن استخلفه اللّه فى أرضه وائتمنه على خلقه أن يؤثر ما فيه رضا اللّه وطاعته ، ويعدل فيما اللّه واقفه عليه وسائله عنه ، ويحكم بالحق ويعمل بالعدل فيما حمَّله اللّه وقلّده ، فإن اللّه عزَّ وجلَّ يقول لنبيه داود عليه السلام : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ الحِسَابِ ﴾ (١) .

---

(١) سورة ص : ٢٦

وقال عزّ وجلّ : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [1] ، وأنظر الأئمة لنفسه وأنصحهم فى دينه وعباده وخلافته فى أرضه مَن عمل بطاعة اللّه وكتابه وسُنَّة نبيه عليه السلام ، فى مدة أيامه واجتهد وأجهد رأيه ونظره فيمن يوليه عهده ويختار لإمامة المسلمين ، ورعايتهم بعده ، وينصبه علماً لهم ومفزعاً فى جمع أُلفتهم ، ولَمِّ شعثهم وحقن دمائهم والأمن بإذن اللّه من فُرقتهم وفساد ذات بينهم واختلافهم ورفع نزغ الشيطان وكيده عنهم فإن اللّه عزّ وجلّ جعل العهد بالخلافة من تمام أمر الإسلام وكماله وعزه وصلاح أهله ، وألهم خلفاءه من توسيده لمن يختارونه له من بعدهم ما عظمت به النعمة ، وشملت منه العافية .. ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة فاختبر بشاعة مذاقها ، وثقل محملها ، وشدة مؤونتها وما يجب على مَن تقلدها من ارتباط طاعة اللّه ومراقبته فيما حمله منها ، فأنصب بدنه ، وأسهر عينيه ، وأطال فكره فيما فيه عزِّ الدين ، وقمع المشركين ، وصلاح الأمة ، ونشر العدل ، وإقامة الكتاب والسُنَّة ، ومنعه ذلك من الخفض والدعة بهنى العيش علماً بما اللّه سائله عنه ، ومحبة أن يلقى اللّه مناصحة فى دينه وعباده ، ومختاراً لولاية عهده ، ورعاية الأمة مَن بعده أفضل مَن يقدر عليه فى دينه وورعه وعلمه وأرجاهم للقيام بأمر اللّه وحقه ، مناجياً للّه بالاستخارة فى ذلك ، ويسأله إلهامة ما فيه رضاه وطاعته فى ليله ونهاره ، ومعملاً فى طلبه والتماسه من أهل بيته من ولد عبد اللّه بن العباس ، وعلىّ بن أبى طالب فكره ونظره ، ومقتصراً فيمن علم حاله ومذهبه منهم على علمه ... حتى استقصى أمورهم بمعرفته ، وابتلى أخبارهم مشاهدة ، وكشف ما عندهم مساءلة ، فكانت خيرته ، بعد استخارته للّه وإجهاده نفسه فى

---

(1) الحجر : ٩٢ - ٩٣

قضاء حقه وبلاده من البيتين جميعاً ، عليّ بن موسى بن جعفر ... لما رأى من فضله البارع ، وعلمه الناصع ، وورعه الظاهر ، وزهده الخالص ، وتخليه من الدنيا ، وتسلمه من الناس ، وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطئة ، والألسن عليه متفقة والكلمة فيه جامعة ، ولما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعاً وناشئاً وحَدَثاً ومكتهلاً ، فعقد له بالعقد والخلافة إيثاراً لله والدين ونظراً للمسلمين وطلباً للسلامة وثبات الحُجَّة والنجاة فى اليوم الذى يقوم الناس به لرب العالَمين .

ودعا أمير المؤمنين ولده ، وأهل بيته وخاصته وقُوّاده وخدمه فبايعوه مسرعين مسرورين عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده وغيرهم ممن هو أشبك به رحماً وأقرب قرابة ، وسماه « الرضا » إذ كان رضياً عند أمير المؤمنين .

فبايعوا معشر بيت أمير المؤمنين ، ومَن بالمدينة المحروسة من قُوّاده وجنده وعامة المسلمين « الرضا » من بعده على اسم الله وبركته ، وحسن قضائه لدينه وعباده ، بيعة مبسوطة إليها أيديكم منشرحة لها صدوركم عالمين بما أراد أمير المؤمنين بها ، وآثر طاعة الله والنظر لنفسه ولكم فيها ، شاكرين الله على ما ألهم أمير المؤمنين من نصاحته فى رعايتكم وحرصه على رشدكم وصلاحكم ، راجين عائدة فى ذلك فى جمع ألفتكم ، وحقن دمائكم ولَمِّ شعثكم ، وسد ثغوركم ، وقوة دينكم ، ورغم عدوكم واستقامة أموركم ، وسارعوا إلى طاعة الله ، وطاعة أمير المؤمنين فإنه الأمر ، إن سارعتم إليه وحمدتم الله عليه ، عرفتم الحظ فيه إن شاء الله تعالى » [1] .

---

(١) صبح الأعشى : ٣٦٢/٩ - ٣٦٦ ، أحمد زكى صفوت : جمهرة رسائل العرب : ٤٠٥/٣ .

وبعد ذلك أعطى للفضل بن سهل لتسجيل شهادته على هذا المرسوم ، فوضع شهادته تحت ذلك المنشور قال فيه : « رسم أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - قراءة مضمون هذا الكتاب ظهره وبطنه بحرم سيدنا رسول الله ﷺ ، بين الروضة والمنبر على رؤوس الأشهاد ، ومرأى ومسمع من وجوه بنى هاشم وسائر الأولياء والأجناد ، وهو يسأل الله أن يعرف أمير المؤمنين وكافة المسلمين بركة هذا العهد والميثاق بما أوجب إلى المؤمنين الحُجَّة به على جميع المسلمين ، وأبطل الشُبهة التى كانت اعترضت آراء الجاهلين ، ما كان الله لِيَذر المؤمنين على ما أنتم عليه ، وكتب الفضل بن سهل فى التاريخ المعين فيه »[1] .

ثم أثبت بعد ذلك كبار رجال البلاط شهاداتهم ، على هذا المرسوم ، جاء نصها كالتالى[2] : شهادة « عبد الله بن طاهر » ، أثبت شهادته فيه بتاريخه عبد الله بن طاهر الحسين .

شهادة « يحيى بن أكثم » شهد يحيى بن أكثم على مضمون هذه الصحيفة ظهرها وبطنها وكتب بخطه بالتاريخ .

شهادة « حماد بن النعمان » شهد حماد بن النعمان بمضمون ظهره وبطنه وكتب يده بتاريخه .

شهادة « بشر بن المعتمر » شهد بمثل ذلك بشر بن المعتمر وكتب بخطه بالتاريخ .

وبعد أن أختار المأمون عليّ الرضا لولاية العهد ، وأصدر المرسوم ووثق بالشهود كتب « على الرضا » جواب هذا المرسوم ، وقد وجَّهه إلى عامة المسلمين ، ولأهميته سوف نذكره كاملاً قال فيه : « الحمد لله لما يشاء ..

---

(١) ، (٢) نفس المصدر : ٩/٣٩٣

لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وصلواته على نبيه محمد خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين .

أقول وأنا عليّ بن موسى بن جعفر : إن أمير المؤمنين - عضده اللّه بالسداد ووفقه للرشاد - عرف من حقنا ما جهله غيره ، فوصل أرحاماً قُطِعت ، وأمَّن أنفساً فزعت ، بل أحياها وقد تلفت ، وأغناها إذا افتقرت ، متبعاً رضا رب العالمين ، لا يريد جزاءً من غيره ، وسيجزى اللّه الشاكرين ، ولا يضيع أجر المحسنين ، وأنه جعل إليَّ عهده والإمرة الكبرى إن بقيتُ بعده ، فمن حَلَّ عقدة أمر اللّه بشدها أو فصم عروة أحب اللّه إثباتها ، فقد أباح حريمه ، وأحَلَّ محرمه ، إذ كان بذلك زارياً على الإمام ، منتهكاً حُرمة الإسلام ، بذلك جرى السالف فصرفهم على الفلتات ولم يعترض بعدها على العزمات خوفاً على شتات الدين ، واضطراب حبل المسلمين ولقرب أمر الجاهلية ، ورصد فرصة تُنتهز ، وباغية تُبتدر ، وقد جعلتُ للّه تعالى على نفسى إن استرعانى على المسلمين ، وقلّدنى خلافته العمل فيهم عامة - وفى بنى العباس بن عبد المطلب خاصة - بطاعة وسُنَّة رسول اللّه ﷺ ، وأن لا أسفك دماً حراماً ، ولا أبيح فرجاً ولا مالاً إلا ما سفكته حدوده ، وأباحته فرائضه ، وأن أتخير الكفاة جهدي وطاقتى ، جعلت بذلك على نفسى عهداً مؤكداً ، يسألنى اللّه عنه ، فإنه عَزَّ وجَلَّ يقول : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ، إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ (١) .. فإن أحدثتُ أو غيَّرتُ أو بدَّلتُ كنت للغير مستحقاً وللنكال متعرضاً ، وأعوذُ باللّه من سخطه وإليه أرغب فى التوفيق لطاعته ، والحول بينى وبين معصيته ، وما أدرى ما يُفعل بى وبكم : ﴿ إنِ الحُكْمُ إلاَّ للّهِ ، يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ ﴾ (٢) .

---

(١) الإسراء : ٣٤

(٢) الأنعام : ٥٧

لكننى امتثلتُ أمر أمير المؤمنين وآثرت رضاه ، والله يعصمنى وإياه ، وأشهدتُ الله على نفسى بذلك ، وكفى بالله شهيداً ، وكتبتُ بخطى فى حضرة أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - والفضل بن سهل ، والحسن بن سهل ، ويحيى ابن أكثم ، وبشر بن المعتمر ، وحماد بن النعمان ، فى شهر رمضان سنة إحدى ومائتين » [1] .

وضُرِبت الدراهم والدنانير باسمه ، وذُكِر اسمه مع الخليفة فى الخُطَب على المنابر . وزوَّج الخليفة ابنته « أم حبيب » من علىّ الرضا وزوَّج ابنته « أم الفضل » من محمد بن علىّ الرضا [2] .

وهكذا تمت البيعة ، وأصدر المرسوم ، ووثق بالشهود وأبلغ ذلك إلى الآفاق لإقرار هذه البيعة عند عامة الناس . وهى بيعة صادقة كل الصدق وواضحة كل الوضوح .

تذكر لنا بعض المصادر التاريخية أن علياً لم يقبل ذلك إلا بالتهديد والوعيد، فيقول الأصفهانى حول ذلك : إن المأمون وجَّه الفضل بن سهل وأخاه الحسن إلى علىّ الرضا لقبول ولاية العهده ، فكلَّماه فامتنع ، وقالوا له : « إن فعلتَ وإلا فعلنا بك وصنعنا » وهدداه بضرب عنقه إن لم يقبل ذلك [3] .

ويقول القمى فى « مخطوطته » عن قبول علىّ الرضا ولاية العهد : « إن الرضا قَبِلَ ذلك على كُره منه ، وبتهديد من المأمون » [4] .

---

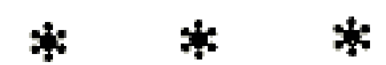
(١) صبح الأعشى : ٣٩١/٩ .

(٢) الطبرى : ٥٦٦/٨ ، مروج الذهب : ٢٨/٤ ، ابن تيمية : منهاج السُنَّة : ١٢٥/٢

(٣) مقاتل الطالبيين ص ٥٦٣

(٤) عيون أخبار الرضا - ورقة (٢٢٠) .

ثم يقول فى موضع آخر : « قَبِل الرضا ولاية العهد بشروط قبلها بعد ذلك المأمون وهى : إنى أدخل فى ولاية العهد على أن لا آمر ، ولا أنهى ، ولا أقضى ، ولا أغيِّر شيئاً مما هو قائم ، وتعفينى من ذلك كله ، فأجابه المأمون إلى ذلك » [1] . ثم نجده يناقض نفسه فيقول بعد ذلك : « إن علياً الرضا يشكر للفضل صنيعه ، ويعطيه الأموال والهدايا » [2] فكيف وقد قبل ولاية العهد بالتهديد والوعيد ، يشكر الفضل على صنيعه ، ويعطيه الأموال والهدايا ؟ ثم إن رسالته التى وجهها إلى الخليفة لم تذكر شيئاً من ذلك ..





(١) ورقة : ٢٢٦ ، ٢٣٤

(٢) ورقة : ٢٢٩ ، ٢٣٠

صدى البيعة

ولا بد لهذا الحدث من آثار تظهر ، ويكون لها نتائج سلبية وإيجابية ... فما قام به المأمون ليس بالأمر الهيِّن والسهل ، فقد انقلبت الأوضاع رأساً على عقب ، فبعد الحروب التى شهدها الخلفاء العباسيون مع أبناء عمهم من أجل الخلافة وما عاصره المأمون نفسه من هذه الأحداث ، نجده يُحَوِّل الخلافة الإسلامية من الأسرة العباسية ، إلى الأسرة العلوية ، والتى ما فتئت تطمع وتطلب الخلافة ، مدعية أنها من حقوقها المشروعة ، معتبرة غيرها ظلمة ومعتدين على هذه الحقوق .

ففى بغداد : كان وقع البيعة عليهم كوقع الصاعقة ، فما إن سمعوا بذلك حتى ثاروا وأعلنوا العصيان وعدم الطاعة لأوامر الخليفة ، وكان أهل بغداد قد سئموا من قبل وجود الخليفة فى مرو - عاصمة خراسان - بعيداً عن عاصمة آبائه وأجداده - بغداد - ووجود الحسن بن سهل الفارسى والياً عليهم ، وممثلاً خاصاً للخليفة المأمون ، فزاد الطين بلّة تولية علىّ الرضا العلوى ولاية العهد من بعده وخروجها عن الأسرة العباسية ، وتولى رئاسة هذه الحركات والاحتجاجات الأسرة العباسية الموجودة فى بغداد ، والتى ستكون فى طى النسيان فيما بعد ، عند تحقق الخلافة للأسرة العلوية ، التى سيكون فيها الحكم وراثياً دون غيرها ، ولذلك قالوا : « أخرج الأمر عنا » [1] .

---

(١) تاريخ الموصل ص ٢٠٢ .

تدبير المجوس » ثم قالوا لمحمد بن صالح بن المنصور : « هلم نبايعك فإنَّا نخاف أن يخرج هذا الأمر عنكم » [١] . كما اتهموا المأمون بالرفض لمكان عليّ ابن موسى منه [٢] .

ويقول الطبرى : إنهم احتجوا « وقال بعضهم : لا نبايع ولا نلبس الخضرة ، ولا نخرج هذا الأمر من ولد العباس ، وإن هذا دسيس من الفضل ابن سهل » [٣] .

وبعد أن رفض محمد بن صالح بن المنصور البيعة ، بايعوا لإبراهيم بن المهدى فى ٢٨ ذى الحجة سنة ٢٠١ هـ [٤] .

وقد كتم الفضل بن سهل هذه الحركة التى شبَّت فى بغداد ، ونتج عنها خلع الخليفة ، ومبايعة إبراهيم بن المهدى ، حتى دخل عليه عليّ الرضا وأخبره بما حدث فى بغداد فكان ذلك من أسباب تخلص المأمون من الفضل ابن سهل كما يقول ابن طَبَاطَبَا [٥] .

وفى البصرة : أنكر واليها العباسى « إسماعيل بن جعفر بن سليمان ابن عليّ » هذا التصرف من الخليفة ، واعتبر ذلك خروجاً عن الأسرة العباسية ، فامتنع من لبس الخضرة ، وقال : « هذا نقض للّه وله - أى الخليفة - » فأعلن خلع المأمون ، لكن الخليفة لما سمع بذلك وجَّه إليه قائده

---

(١) اليعقوبى : ١٧٩/٣

(٢) ابن الأثير : ١٩١/٥ ، المقريزى : (مخطوطة) المقفى - المجلد الثانى ورقة (١٢٣) .

(٣) الطبرى : ٥٥٥/٨

(٤) تاريخ اليعقوبى : ١٧٩/٣ ، الطبرى : ٥٥٥/٨

(٥) الفخرى ص ١٦٤

« عيسى بن يزيد الجلودى » ، ولما علم إسماعيل بمقدم عيسى هرب من البصرة ، فدخلها الجلودى دون حرب [١] .

وإلى مكة : وجّه الخليفة عيسى الجلودى يحمل بيعة المأمون لعلىّ الرضا ، والأمر بلبس الخضرة وخلع السواد ، فاستقبله إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق وأهل مكة ، فقبلوا منه ذلك ، وبايعوا لعلىّ الرضا ، وترأس إبراهيم بن موسى الناس فى حج سنة ٢٠٢ هـ ودعا لأخيه بعد المأمون بولاية العهد [٢] .

أما فى المدينة المنوّرة : فقد أرسل الخليفة نص البيعة ليُقرأ فى الروضة الشريفة عند قبر الرسول ﷺ وذلك بحضرة كبار أهل المدينة ، كما دُعِىَ على منبر رسول الله ﷺ لعلىّ الرضا بالتوفيق والصلاح [٣] .

كما هلّل أهل « قُمْ » للقرار الذى اتخذه الخليفة وهم فى غالبيتهم من شيعة العلويين [٤] .

* * *

(١) تاريخ اليعقوبى : ١٧٧/٣

(٢) تاريخ اليعقوبى : ١٧٧/٣ ، الطبرى : ٥٦٧/٨

(٣) مقاتل الطالبيين ص ٥٦٥ ، ويراجع المرسوم الذى أصدره الخليفة المأمون .

(٤) الأصفهانى : الأغانى : ٢٩/١٨ ، مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد - ص٢٨٩

وفاة على الرضا

اختلف المؤرخون فى الكيفية التى مات عليها علىّ الرضا ، وهو بصحبة المأمون إلى بغداد ، فمنهم مَن قال : إنه مات مسموماً بتدبير من الخليفة ، وقد انبرى لهذا الرأى الكثير من كُتّاب الشيعة . ومنهم مَن قال : إنه مات ميتة طبيعية بعيدة عن أيِ تأثير من الخليفة ، ولعل هذا القول هو أقرب إلى الحقيقة ، لاتفاق أكثر المؤرخين الموثوق فيهم على ذلك .

فهذا المسعودى يقول فى هذا الأمر : « وقُبِضَ علىّ بن موسى الرضا بطوس لعنب أكله وأكثر منه ، وقيل إنه كان مسموماً »[1] .

ويقول ابن خلكان : « وكان سبب موت علىّ أنه أكل عنباً فأكثر منه ، وقيل : بل كان مسموماً فاعتل منه ومات »[2] .

وقال ابن الأثير : « إنه أكل عنباً فمات فجأة ، وقيل : إن المأمون سمّه فى عنب ، وهذا عندى بعيد »[3] .

وقد سكت عن اتهام المأمون كل من : محمد بن حبيب[4] ، والطبرى[5] ، والأزدى[6] ، وابن خياط[7] وغيرهم .

---

(١) مروج الذهب : ٢٨/٤

(٢) وفيات الأعيان : ٤٣٢/٢

(٣) ابن الأثير : ١٩٣/٥ - طبع المنيرية ١٣٥٧ هـ .

(٤) مخطوطة : أسماء المغتالين من الأشراف ورقة (٧٤) .

(٥) تاريخ الطبرى : ٥٧٥/٨

(٦) تاريخ الموصل ص ٣٥٢

(٧) تاريخ خليفة بن خياط : ٧٦٦/٢

أما أبو الفرج الأصبهاني فله في هذا روايتين : الأولى [(١)] يتهم فيها المأمون بسم عليّ الرضا . أما الثانية ، فإنه يقول فيها : إن المأمون دخل إلى عليّ الرضا يعوده وهو يجود بنفسه ، فبكى ، وقال له : إن الناس يقولون : « إني سقيتك السم ، وأنا إلى الله من ذلك بريئ » فقال له الرضا : « صدقتَ يا أمير المؤمنين ، أنت والله بريئ » [(٢)] .

ومهما قيل فإن عليّ الرضا مات بطوس ، وهو برفقة المأمون إلى بغداد في آخر شهر صفر سنة ٢٠٣ [(٣)] ، واتفق المؤرخون أن المأمون أظهر حزناً شديداً لوفاته ، وأنه صلّى عليه ، ودفنه بجوار قبر أبيه هارون الرشيد .

أما موقف العلويين من هذا الحَدَث ، فيذكر لنا الأصفهاني أن بعض العلويين لاذ بالفرار بعد موت عليّ الرضا خوفاً على أنفسهم من المأمون ، فهذا عبد الله ابن موسى - ابن أخ النفس الزكية - يتوارى عن الأنظار ، ويكتب له الخليفة يعده بالأمان ، وبتوليته العهد بعده كما فعل بعليّ الرضا ، وأرسل له قائلاً : « ما ظننتُ أن أحداً من آل أبي طالب يخافني بعد ما عملته بالرضا » [(٤)] - يقصد بعد تولية الرضا العهد - فأجابه عبد الله ابن موسى في رسالة طويلة قال منها : « وصل كتابك وفهمته ... وعجبتُ من ذلك العهد ، ولايته لي بعدك ، كأنك تظن أنه لم يبلغني ما فعلته بالرضا ففي أي شئ ظننت أني أرغب من ذلك ؟

أفي الملك الذي غرَّتك نظرته وحلاوته ؟

أم في العنب المسموم الذي قتلتَ به الرضا » ؟ [(٥)] .

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٥٦٦

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٥٧٢

(٣) الطبرى : ٥٦٨/٨ ، تاريخ الموصل ص ٣٥٢ ، ابن الأثير : ١٩٣/٥

(٤) ، (٥) مقاتل الطالبيين ص ٦٣٠.

فإن صحَّت هذه الرواية من الأصفهانى ، فإن العلويين قد اتهموا الخليفة بتدبير قتل علىّ الرضا ، كما تفيد هروب العلويين واختفاؤهم خوفاً على أنفسهم من المأمون .

ومهما يكن من تصور ذلك ، أو ادعاء بعض المصادر الشيعية بأن المأمونِ هو المسئول عن وفاة علىّ الرضا المفاجئة ، وذلك بوضع السم له ومن ثمَّ الخلاص منه . فإنى أقول : لا بد وأن يحدث مثل هذا . فالعلويون وشيعتهم يصوِّرون أنفسهم دائماً أنهم مظلومون ، ومن نصيبهم التشريد والقتل ، كما يشيعون فى كل محفل أن العباسيين ظَلَمه ، مغتصبين لحقوق العلويين .... فهم ضحايا للعباسيين دائماً .

وفى ١٧ من ذى الحجة سنة ٢٠٣ هـ استسلمت بغداد للمأمون [١] ، وفى ١٣ من صفر سنة ٢٠٤ هـ انتهى لبس الخضرة ، وتحول الناس إلى السواد [٢] .

* * *

---

(١) مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد - مقال الدكتور : فاروق عمر ص ٢٩١

(٢) الطبرى : ٥٧٥/٨ ، مخطوطة : المقفى جـ ٢ ورقة (١٢٣) .

آراء بعض المؤرخين فى تولية المأمون لعلى الرضا ، وفى موته

ذهب بعض المؤرخين يفسرون الأهداف والأسباب التى جعلت الخليفة المأمون يولى علياً الرضا ولاية العهد من بعده ، فيقول « على بن يوسف القفطى » : « قال عبد الله بن سهل بن نوبخت المنجم ، وهو منجم مأمونى كبير القدر فى صناعته ، يعلم المأمون قدره فى ذلك - وكان لا يُقدِّم إلا عالماً مشهوداً له بعد الاختبار - وكان المأمون قد رأى آل أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب مختفين من خوف المنصور ومَن جاء بعده من بنى العباس ، ورأى العوام قد خفيت عنهم أمورهم بالاختفاء فظنوا بهم ما يظنون بالأنبياء ويتفوهون فى صفتهم بما يخرجهم من الشريعة من التغالى ، فأراد معاقبة العامة على هذا الفعل ، ثم فكر أنه إذا فعل هذا بالعوام زادهم إغراءً به ، فنظر فى الأمر نظراً دقيقاً وقال : لو ظهروا للناس ورأوا فسق الفاسق منهم وظلم الظالم ، لسقطوا من أعينهم ولانقلب شكرهم لهم ذماً ، ثم قال : إذا أمرناهم بالظهور خافوا واستتروا وظنوا بنا سوءاً ، وإنما الرأى أن نُقدِّم أحدهم ويظهر لهم إماماً . فإذا رأوا هذا أنسوا وظهروا وأظهروا ما عندهم من الآراء الغريبة ويتحقق للعوام حالهم وما هم عليه مما خفى بالاختفاء ، فإذا تحقق ذلك ، أزلتُ مَن أقمته ، ورددتُ الأمر إلى حالته الأولى ، وقوى هذا الرأى عنده وكتم باطنه عن خواصه ، وأظهر للفضل بن سهل أنه يريد أن يقيم إماماً من آل أمير المؤمنين « علىّ بن أبى طالب » وفكّر هو فيمن يصلح ، فوقع اجماعهما على الرضا ، فإذا الفضل ابن سهل فى تقرير ذلك وترتيبه وهو لا يعلم باطن الأمر ، وأخذ فى اختيار

وقت لبيعة الرضا » إلى أن يقول عبد الله بن سهل المنجم : أنه أرسل إلى الخليفة أن هذا الاختيار قد تم فى برج متقلب ، وأن اختيار هذا الوقت من ذى الرياستين لا تتم فيه البيعة ، وقد أغفل الفضل هذا ، فأرسل له الخليفة قائلاً : « ... وقد وقفتُ على ذلك ، أحسن الله جزاءك فاحذر كل الحذر أن تُنبِّه ذا الرياستين على هذا ، فإنه إن زال عن رأيه ، علمتُ أنك أنت المنبِّه له ، فهم ذو الرياستين بذلك ، فما زلت أُصوِّب رأيه الأول خوفاً من اتهام المأمون لى ، وما أغفلتُ أمرى حتى مضى أمر البيعة فَسلِمْتُ من المأمون » [١] .

ويقول الصدوق [٢] : « إن المأمون جعل له - الرضا - ولاية العهد من بعده ليرى الناس أنه راغب فى الدنيا فيسقط محله فى نفوسهم ... » .

وفى كتاب التوحيد يقول الصدوق : « إن المأمون كان يجلب على الرضا متكلمى الفرق والأهواء المضلة وكل مَن سمع به ، حرصاً على انقطاع الرضا عن الحُجَّة مع واحد منهم وذلك حسداً منه له ... » [٣] .

ويقول المظفرى : إن الاجتماع والمناظرات التى عقدها المأمون لمناظرة العلماء للرضا لا لإقناع العلماء بفضل وعلم الرضا ، وإنما كانت لإنقاص قدره ، لعله يتعثر فى جواب مسألة عندهم [٤] .

---

(١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٤٩ ، ١٥٠ (باختصار وتصرف) .

(٢) فى كتابه « عيون أخبار الرضا » نقلاً عن : مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد - ص ٢٨٦

(٣) مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد - ص ٢٨٧

(٤) المظفرى : تاريخ الشيعة ص ٥٣ ، وانظر : نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثنى عشرية ص٣٨٦

إن هذه الروايات لا نُسلِّم بها ، وهى أبعد ما تكون عن الحقيقة ، فهل الخليفة المأمون الذى أرسل إلى المدينة المنوَّرة يطلب من علىّ الرضا القدوم عليه ومعه أسرته ، ولما وصله بمرو استقبله وهيأ له منزلاً خاصاً وولاَّه العهد من بعده ، وأصدر مرسوماً ووثَّقه بالشهود ، وضرب الدراهم باسمه ، وزوَّجه ابنته ، وزوَّج ابنه محمد بن علىّ من الأخرى ، وغيَّر اللباس من السواد إلى الخضرة ، وخُطِبَ له على المنابر فى كل مكان ... هل كل هذا كان من أجل قتل علىّ الرضا ، أو ليكشفه ، ويكشف مقدرة العلويين - أيضاً - أنهم ليسوا بكفء للخلافة التى يدعون لها ، وليظهرهم أمام الناس المتشيعين لهم فيتخلوا عنهم ، بعد أن يروا عجزهم .

ثم إن علياً الرضا لم يكن هواه فى السياسة ، والتطلع إلى الخلافة ولم يتعاون مع العلويين ، الذين ثاروا أول عهد المأمون ، ونضيف إلى ما قلناه : هل كان الخليفة كاذباً وله مآرب أخرى عندما قال - فى مرسومه - : « ... إنه آثره طاعة لله على الهوى فى ولده وغيرهم ، ممن هو أشبك به رحماً وأقرب قرابة » .

ثم إن المأمون بتولية علىّ الرضا العهد لم يكن مدفوعاً من الفُرس أو ليكسب تأييدهم كما ادعى بعض المؤرخين المعاصرين ، فكيف يكون ذلك وهو الخليفة العباسى الوحيد الذى أحبه الفُرس ، فقد قلنا إن تربيته وأمه وزوجته فارسية ، وإقامته - أيضاً - عندهم فى مرو - عاصمة خراسان - ولم يشعر الفُرس بقرب خليفة عباسى لهم بمثل ما شعروا فى المأمون فإنهم يسمونه « ابن اختنا وابن عم رسول الله ﷺ » (١) .

---

(١) الجهشيارى ص ٢٧٩

وفى خاتمة هذا الفصل يمكن أن نقول : لم يكن للعلويين الحظ الوافر فى نيل الخلافة التى طالما تطلعوا إليها ، وخاضوا المعارك الضارية من أجلها ، وقدَّموا النفس والنفيس ، ولاقوا بسبيلها الحرمان والتشريد والقتل ، وذلك لعدة أسباب منها : عدم اتحادهم تحت لواء واحد ليوحد صفوفهم وليقودهم إلى هدفهم المنشود وهى الخلافة [1] .

ثم النكبات والمآسى التى حصلت لهم فى العصر الأموى ، وحتى العصر العباسى ، مما أضعفهم ، وشتَّت من شملهم فى الأقاليم .

كما كان كل فرع من فروع العلويين له شيعة تدَّعى بأنه أحق من غيره حيث ظهرت زعامات علوية عدة [2] .

وتجاربهم مع أنصارهم ، وذلك بخذلانهم وجعلهم يلاقون حتفهم بأنفسهم كما فُعِلَ بالحسين بن علىّ فى كربلاء ، وزيد بن علىّ فى الكوفة .

ثم الرقابة الشديدة على تحركهم ، سواء فى الدولة الأموية ، وحتى قيام الدولة العباسية .

وركونهم إلى الدعة ، وعدم أخذهم بالأسباب ، وتحين الفرص ، وكأن الخلافة فى نظرهم سوف تُقدَّم لهم على طبق من ذهب تحفه الورود ، فقد ركنوا فى آخر الحكم الأموى ، أثناء تدهور الدولة ، إلى الهدوء والاشتغال بالتجارة ، والانصراف إلى العلم بدلاً من الاشتغال بالسياسة والحرب [3] ،

---

(١) الكلينى : (مخطوطة) الكافى ورقة (٦٦ ، ٨٦ ، ٨٨) ، فاروق عمر : الخلافة العباسية فى عصر الفوضى العسكرية ص ١٧

(٢) تاريخ ابن خلدون : ١٧٢/٣ ، أحمد شلبى : فى قصور الخلفاء العباسيين ص٤

(٣) المهدى العباسى ص ١٣٥ ، تاريخ الإسلام : ١٢٢/٢

وفى أثناء الدعوة لآل البيت ، التى أشعلها العباسيون ، لم يزجوا بأنفسهم فيها بل تركوا الأمور تجرى فى مجراها الطبيعى .

كما أن موالاة بعض العلويين للسُلطة والتعاون معهم [1] كان سبباً فى فقدانهم الكثير من أنصارهم ، أو عدم الحماس لقضيتهم .

* * *



---

(١) المصعب الزبيرى : نسب قريش : ٥٦/٢ ، مخطوطة : الكافى ورقة (٨٨) ، ابن عنبة : عمدة الطالب ص ١١ .

الخاتمة

يتناول هذا البحث فترة من أدق الفترات التى خاضها العلويون فى صراعهم الدامى مع الأسرة العباسية التى سلبت - فى نظرهم - الخلافة منهم ، وهم أصحاب الحق الشرعى ، هذا الحق الذى نالوه عن طريق الميراث ، وما ذلك إلا لإيمانهم بأن الخلافة الإسلامية تركة تورث عن محمد ﷺ ، وهذا رأى واضح البطلان .

فبعد وفاة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، تولى الخلافة ابنه الأكبر الحسن ، وكأنه أول مَن طبّق هذا المبدأ ، ولكنه ما لبث أن تنازل عنها ، بعد أن رأى أنه لا قِبَلَ له بمنازلة معاوية بن أبى سفيان ولما رأى من تخاذل أهل الكوفة عن نُصرته ، فآثر التنازل حقناً للدماء ، وبعد أن توفى الحسن ، انتقل أمر العلويين إلى الحسين فآثر الهدوء والسكوت مدة خلافة معاوية ، فلما تولى يزيد ابن معاوية الخلافة رأى أن من واجبه التحرك ، والمطالبة بالخلافة . لاعتبارات دينية وسياسية ، فكاتبه أهل الكوفة ، فشدَّ ذلك من عزمه ، وخرج إلى شيعته فى العراق ولكنه سقط شهيداً بعد أن تخلت عنه شيعته الذين كاتبوه بالأمس ومنوه بالخلافة بعد القدوم عليهم ، ومناصرته على الدولة الأموية وخليفتها يزيد ابن معاوية ، وبعد وفاة الحسين أصبحت هناك فجوة كبيرة فى صفوف العلويين وحدثت خلافات وصدعات بين الشيعة : هل يتولى الأمر بعد الحسين ابنه الصغير علىّ « زين العابدين » ؟ أم أخوه من أبيه محمد - ابن الحنفية - بن علىّ بن أبى طالب ؟ فتفرّقت كلمتهم وضعفت قوتهم ، بعد أن قويت كأثر لمقتل الحسين بن علىّ .

ومالت أكثر الشيعة العلوية إلى محمد ابن الحنفية ، الذى توفى سنة ٨١ هـ فنقلت ولاءها إلى ابنه أبى هاشم - عبد الله - الذى رعاها ونظمها تنظيماً دقيقاً وأعدها لليوم المرتقب ، ولكن لم يلبث أن دَسَّ له السم سليمان بن عبد الملك بعد أن عرف تحركاته وأغراضها ، ثم مات مسموماً فى الحميمة (سنة ٩٨ هـ) عند ابن عمه محمد بن على بن عبد الله العباس ، الذى أوصى له بولاية الشيعة من بعده ، وتنازل له عن الدعوة ، وأعطاه العلامات ، وأسماء كبار شيعته ، فحملها العباسيون ، وقاموا بها خير قيام ، فزادوها تنظيماً وسرية ، الأمر الذى ساعد العباسيين على التمسك بالدعوة لهم ، فهم قد ورثوا حق العلويين بهذه الوصية - هكذا رأوا .

ولكن لما قامت الدولة العباسية ، جعلوا هذه الوصية فى خبر كان ، مدَّعين أن الخلافة حق من حقوقهم ، وأن حقهم هذا جاءهم عن طريق الميراث عن النبى ﷺ ، فجدهم العباس بن عبد المطلب عم النبى ﷺ ، أما علىّ بن أبى طالب فهو ابن عمه ، والعم أقرب من ابن العم ، وإن كانت أمهم فاطمة رضوان الله عليها ، فالنساء ليسوا من العصبة ... إلى آخر ما ادَّعوه .

اقتصر نشاط العلويين فى فترة اضطراب الدولة الأموية (من ١٢٧ - ١٣١ هـ) على عقد مؤتمرات فى الحجاز ، يدعون لها كبار الهاشميين ، وفى مقدمتهم الأسرة العباسية لترشيح خليفة للمسلمين ، فكان أغلب العلويين يرشحون محمداً - النفس الزكية - لكن العباسيين كانوا ينفضون من هذه الاجتماعات دون مبايعة أى علوى . وقد وضَّحْتُ ذلك بالدليل .

كما تناولتُ مراسلة الخَلاَّل للعلويين ، بعد أن تأكد له نجاح الدعوة التى أشرف عليها ورأسها ، وبذل لها ماله ، وبعد أن اتضح له وصول العباسيين إلى الكوفة للخلافة ، وأن هذا العمل لم يتحقق له ، إلا بعد أن تولى

السفاح الخلافة ، كما حققتُ القول فى قتله ، وهل كان للسفاح يد فى اغتياله أم أن الذى تولى كِبَر هذا هو أبو مسلم الخراسانى لاعتبارات أشرتُ إليها .

كما بينتُ موقف العلويين من العباسيين بعد قيام الدولة ، الأمر الذى أذهلهم ، ولكن مع هذا كله ، فإنهم كانوا مع الخليفة السفاح فى سلام واحترام متبادل لأسباب وضّحتها فى البحث .

إلا أن هذه العلاقة الطيبة لم تدم طويلاً ، فقد تولى الخلافة أبو جعفر المنصور الذى ساس العلويين بسياسة العنف والصلابة بسبب اختفاء محمد النفس الزكية وإبراهيم ، فَزَجَّ أكثر زعماء العلويين فى السجن ، مما جعل محمد يعلن ثورته بالمدينة المنوَّرة ، ولكن هذه الثورة أخمدها المنصور ، فقتل محمد فى ١٤ من رمضان ١٤٥ هـ ، ثم توجه إلى ثورة إبراهيم التى شبَّت وعظم خطرها فى البصرة ، فى أول رمضان ، وهى أخطر ثورة جابهت الخليفة ، التى كادت أن تقضى على الخلافة العباسية وهكذا قضى الخليفة على أخطر حركات العلويين فتلقَّب بعد ذلك بالمنصور .

كل ذلك تحدَّثتُ عنه فى البحث معتمداً - بعد الله - على مصادر مخطوطة ومطبوعة ، ومراجع قديمة وحديثة ، ومناقشاً الروايات التى كانت فى حاجة إلى تحقيق علمى دقيق خاصة فى هذه الفترة التاريخية .

ثم هَدَأَ العلويون فى عهد الخليفة المهدى ، فقد ساسهم بسياسة اللين والمرونة وأعطاهم الأموال ، ورد لهم قطائعهم ومخصصاتهم التى تُجرى عليهم ، كما أطلق مَن فى سجنه منهم ، إلا أن هذه السياسة الحسنة لم تدم للعلويين بسبب وصول الهادى إلى الخلافة ، فقد قطع مخصصاتهم ، وضيَّق عليهم ، وأمر عامله بالمدينة أن يراقب حركاتهم وسكناتهم ، وأن يكفل كل واحد منهم الآخر ، ويعرضون أنفسهم كل يوم على الوالى ، فضجر

العلويون من هذا العمل وأرادوا الخلاص مما حاق بهم من ويلات ، فأعلنوا ثورتهم بقيادة الحسين بن عليّ ابن الحسن ، ولكن أهل المدينة كانوا قد ملُّوا حركات العلويين وخافوا عواقب الأمور ، فلم يؤيدوا الحسين ، ورفضوا التعاون معه ، فنقل ثورته إلى مكة ، لعله يجد من أهلها العون والنصير ، كما كان ينتظر شيعته في العراق التي عزمت على القدوم عليه في مكة لكي تؤدي فريضة الحج (سنة ١٦٩ هـ) وتساعد زعيم العلويين ، إلا أن أهل مكة رفضوا نداء الحسين بالانضمام إليه ، ثم فاجأته القوة العسكرية العباسية في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة ، فقُتل وأكثر أهل بيته ، قبل أن تلحق به شيعته .. وقد تناولتُ ذلك كله في نزاهة المؤرخ .

لكن العلويين لم تسكن ريحهم ولا بد لهم من الثورة والمطالبة بحقهم ، وقد صادف أن وقع خلاف بين الخليفة الأمين وأخيه المأمون ، فوجدوا في ذلك فرصة ذهبية ، فأعلنوا ثورتهم في عام ١٩٩ هـ . وكانت هذه المرة بطريقة مغايرة عن الثورات السابقة ، فقد جعلوا لها قائداً وفارساً وشجاعاً هو أبو السرايا الذى ادّعى أنه من شيعتهم ، إلا أن هذه الثورة سرعان ما أُخْمِدت ، بعد أن هدّدت الدولة العباسية فعلاً ، ولكن العلويين لم يقتنعوا أو تضعف عزائمهم بقتل أبي السرايا ، بل عمدوا إلى محاولة اقتطاع الحجاز واستقلاله عن الدولة الأم ، ليكون مركزاً لخلافتهم وآمالهم ، إلا أن الخليفة المأمون قضى على هذه الفكرة واسترد الحجاز إلى حاضرة الخلافة العباسية .

على أن الخليفة المأمون خرج بفكرة جديدة وخطيرة على العباسيين ، هي تولية ولاية العهد إلى علوي هو « عليّ بن موسى » الذى لقّبه « الرضا » ، فقاوم العباسيون هذا العمل ، ولكن علياً ما لبث أن توفي . وقد وضّحْتُ أسباب هذه السياسة الجديدة عند المأمون ، مستعرضاً أداء المؤرخين القدماء والمحدَثين في أسباب اختيار عليّ لولاية العهد من بعده ، وما قيل حول

موته ، وهل كان للمأمون يد فى ذلك أم لا . وبيَّنتُ الرأى فى هذه القضية التى لا تزال فى حاجة إلى دراسة وتحقيق علمى دقيق .

أما ما يتعلق بموضوع الرسائل التى تبودلت بين الخليفة أبى جعفر المنصور وبين محمد بن عبد الله النفس الزكية ، فقد راجعتُها فى أمهات الكتب التاريخية ، وعلَّقتُ على كل رسالة منها ، ثم بيَّنتُ وجه الصواب فيها ، وقلت : إن الخليفة ، والنفس الزكية كانا على خطأ فيما ادعاه كل منهما من أحقيته فى الخلافة ، لأن كليهما كان يدَّعى حق الوراثة الأمر الذى لم يقل به أحد من كُتَّاب السياسة الشرعية .

ولم أنس أن أُبين رأى بعض العلماء ، وكبار الفقهاء فى ثورات العلويين وتأييدهم لها ، وأثر ذلك فى مسار الثورات .

كما علَّلتُ وبيَّنتُ الأسباب التى من أجلها أخفقت الثورات العلوية ، وقد وقفتُ مع بعض المصادر والمراجع التاريخية ، موضحاً مقدار ما أفدته منها فى هذا البحث .

والذى أحب أن أشير إليه أن هذا البحث لا يزال فى حاجة إلى دراسة وتحقيق علمى تاريخى ، لأن طرفى النزاع كلاهما له مَن يؤيده على حساب الطرف الآخر ، فالشيعة لهم علماؤهم ومؤيدوهم ، والعباسيون لهم ما يؤيدهم وعلى حساب الشيعة ، فهو نزاع بين جبهتين متعارضتين يحتاج إلى وقفة طويلة . والباب مفتوح أمام الباحثين ، والله يوفق الجميع للحق والصواب

« الباحث »

* * *


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الملاحق

١ - أمراء مكة (من ١٣٢ - ٢٠٣ هـ) .

٢ - أمراء المدينة المنوّرة (من ١٣٢ - ٢٠٣ هـ) .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ملحق رقم (١)

أمراء مكة (من ١٣٢ - ٢٠٣ هـ)

	سنة
١ - داود بن عليّ بن عبد الله بن العباس	١٣٢ هـ
٢ - زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي	١٣٣ هـ
٣ - العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس	١٣٦ هـ
٤ - زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي (ومعه المدينة)	١٣٧ هـ
٥ - الهيثم بن معاوية العتيقي	١٤١ هـ
٦ - السرى بن عبد الله بن الحارث بن العباس (الحسين بن معاوية العلوى ، شهرين فقط من قِبَل محمد النفس الزكية)	١٤٣ هـ
٧ - عبد الصمد بن عليّ بن عبد الله العباسى	١٤٦ هـ
٨ - محمد بن إبراهيم بن محمد الإمام	١٤٩ هـ
٩ - إبراهيم بن يحيى بن محمد	١٥٨ هـ
١٠ - جعفر بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عباس	١٦١ هـ
١١ - عبيد الله بن قثم بن العباس	١٦٣ هـ
١٢ - محمد بن إبراهيم بن محمد الإمام ، وأولاده : عبيد الله والعباس	١٧٨ هـ
١٣ - حماد البربرى	١٨٤ هـ
١٤ - محمد بن عبد الله بن سعيد بن المغيرة بن عمرو بن عثمان ابن عفان	١٨٥ هـ

سنة

١٥ - سليمان بن جعفر بن سليمان بن عليّ العباسي .... ١٨٦ هـ

١٦ - الفضل بن العباس بن محمد بن إبراهيم الإمام .... ١٩١ هـ

١٧ - أحمد بن إسماعيل بن عليّ العباسي ....

١٨ - موسى بن عيسى بن موسى بن محمد العباسي ....

١٩ - العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد العباس .

٢٠ - علي بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد العباس ..

٢١ - عبد الله بن محمد بن عمران التميمي ....

وهؤلاء جميعاً تولوا إمرة مكة بأمر من واليها الفضل ومدتهم كانت قصيرة جداً.

٢٢ - عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عليّ العباسي

٢٣ - عبد الله بن قثم بن العباس (للمرة الثانية) ....

٢٤ - داود بن عيسى بن موسى بن محمد العباسي .... ١٩٣ هـ

٢٥ - الحسين بن الحسن الأفطس العلوي (ثورة أبي السرايا) ١٩٩ هـ

٢٦ - خلافة محمد بن جعفر الصادق .... ٢٠٠ هـ

٢٧ - حمدون بن عليّ بن عيسى بن ماهان (ومعه المدينة) ٢٠١ هـ

٢٨ - عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن عليّ العلوي (ومعه المدينة) .... ٢٠٤ هـ

* * *

ملحق رقم (٢)

أمراء المدينة المنورة (من ١٣٢ - ٢٠٣ هـ)

سنة

١ - داود بن علىّ بن عبد الله بن العباس .... ١٣٢ هـ

٢ - زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثى .... ١٣٣ هـ

٣ - العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس .... ١٣٦ هـ

٤ - زياد بن عبيد الله (للمرة الثانية) .... ١٣٧ هـ

٥ - محمد بن خالد بن عبد الله القسرى .... ١٤١ هـ

٦ - رياح بن عثمان بن حيّان المرّى .... ١٤٤ هـ

٧ - عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير (شهرين) من قِبَلِ محمد النفس الزكية .... ١٤٥ هـ

٨ - كثير بن الحصين .... ١٤٥ هـ

٩ - عبد الله بن الربيع .... ١٤٥ هـ

١٠ - جعفر بن سليمان بن علىّ بن عبد الله بن العباس ...... ١٤٦ هـ

١١ - الحسن بن زيد بن الحسن بن علىّ (علوى) .... ١٥٠ هـ

١٢ - عبد الصمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس .... ١٥٥ هـ

١٣ - محمد بن عبد الله الكثيرى .... ١٥٩ هـ

١٤ - عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان الجمالى .. ١٥٩ هـ

١٥ - محمد بن عبد الله الكثيرى (للمرة الثانية) .... ١٦٠ هـ

١٦ - زفر بن عاصم الهلالى .... ١٦٠ هـ

سنة

١٧ – جعفر بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن العباس (للمرة الثانية) .... ١٦١ هـ

١٨ – إبراهيم بن يحيى بن محمد العباسي .... ١٦٦ هـ

١٩ – إسحاق بن عيسى بن عليّ السجّاد العباسي .... ١٦٧ هـ

٢٠ – عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب .... ١٦٩ هـ

٢١ – إسحاق بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن العباس .... ١٧٠ هـ

٢٢ – عبد الملك بن صالح بن عليّ بن عبد الله بن العباس ... لم أجد فيما

٢٣ – محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس .... قرأت تاريخ

٢٤ – موسى بن عيسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس ولايتهم

٢٥ – إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله ابن العباس .... ١٨٣ هـ

٢٦ – عليّ بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله ابن العباس ....

٢٧ – محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عليّ ابن عبد الله بن العباس .... لم أجد فيما

٢٨ – عبد الله بن مصعب .... قرأت تاريخ

٢٩ – بكار بن عبد الله بن مصعب .... ولايتهم

٣٠ – محمد بن عليّ العباسي ....

٣١ – أبو البختري ، وهب بن منبه ....

سنة

٣٢ - داود بن عيسى بن موسى بن محمد العباسى .... ١٩٣ هـ

٣٣ - الحسن بن سهل .... ١٩٨ هـ

٣٤ - هارون بن المسيب .... ٢٠٠ هـ

٣٥ - حمدون بن علىّ بن عيسى بن ماهان .... ٢٠١ هـ

٣٦ - عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علىّ العلوى .... ٢٠٤ هـ

* * *



عن :

١ - تاريخ خليفة بن خياط ، عند نهاية كل سنة .

٢ - تاريخ الطبرى ، عند نهاية كل سنة .

٣ - ابن الأثير ، وابن كثير ، عند نهاية كل سنة .

٤ - صبح الأعشى : ١٦٦/٤ - ١٦٧

٥ - أحمد بن زينى دحلان : خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام من ص٦ - ١٠ ، الطبعة الأولى ، المطبعة الخيرية ١٣٠٥ هـ .

٦ - زمباور : معجم الأنساب والاسرات الحاكمة : ٢٧/١ - ٣٧ فى أماكن متفرقة .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قائمة المصادر والمراجع

أولا - المصادر المخطوطة

١ - البلاذري : (أحمد بن يحيى بن جابر - ت ٢٧٩ هـ) أنساب الأشراف جـ ٢ ، ٣ ، ٥ - ١٠ ، ١٢ - دار الكتب القومية ، القاهرة - تاريخ - رقم ٤٨٥٦

٢ - البياسي : (يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري - ت ٦٥٤ هـ) ، الاعلام في الحروب الواقعة في صدر الإسلام ، دار الكتب القومية بالقاهرة - رمز (ح) رقم ٨٧٣٩

٣ - ابن الجوزي : (عبد الرحمن بن عليّ - ت ١٢ رمضان ٥٩٧ هـ) ، المنتظم في أخبار الأمم - دار الكتب ، القاهرة ، تاريخ - رقم ٥٤٢.

٤ - ابن حبيب : (أبو جعفر ، محمد بن حبيب - ولد ١٦٥ ، ت ٢٤٥ هـ) أسماء المغتالين من الأشراف - دار الكتب ، القاهرة ، تاريخ - رقم ٢٠٢٦

٥ - القمي : (أبو جعفر ، محمد بن عليّ بن الحسين بن موسى - ت ٣٨١ هـ) عيون أخبار الرضا - دار الكتب ، القاهرة ، تاريخ - ٥٥٨٢

٦ - الكتبي : (صلاح الدين ، محمد بن شاكر - ت ٧٦٤ هـ) عيون التواريخ - (يبحث الفترة من ١٣٢ - ١٨٠ هـ) - دارالكتب ، القاهرة ، تاريخ - رقم ١٤٩٧

٧ - الكليني : (أبو جعفر ، محمد بن يعقوب - ت ٣٢٩ هـ) الكافي - دار الكتب ، القاهرة ، الرمز (ب) - رقم ٢١٢٢٦

٨ - المقريزى : (تقى الدين ، أبو بكر - ت ٨٣٣ هـ) المقفى - الجزء الثانى - دار الكتب ، القاهرة - تاريخ - رقم ٥٣٧٢

٩ - (المؤلف السابق) منتخب التذكرة - دار الكتب ، القاهرة ، تاريخ - رقم ١٦٥٨

١٠ - النويرى : (أحمد بن عبد الوهاب - ت ٧٣٣ هـ) أخبار مَن نهض فى طلب الخلافة من الطالبيين فى العصر العباسى - المكتبة الوطنية ، باريس ، رقم ١٥٧٦ (عربى) .

١١ - مؤلف مجهول : شرح شافية أبى فراس - دار الكتب ، القاهرة ، تاريخ - رقم ٤٧٨٦

١٢ - الهمدانى : (حميد بن أحمد المحلى الزيدى - ت ٦٥٢ هـ) الحدائق الوردية فى مناقب الأئمة الزيدية - دار الكتب ، القاهرة ، تاريخ - رقم ٨٦٧ - معهد المخطوطات العربية القاهرة ، تاريخ - رقم ٢١٢

* * *

ثانيا : المصادر المطبوعة

(أ)

١٣ - ابن الأثير : (محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى - ت ٦٣٠ هـ) الكامل فى التاريخ - الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) ، طبع المنيرية ١٣٥٧ هـ .

١٤ - الأزدى : (الشيخ ، يزيد بن محمد بن إياس - ت ٣٣٤ هـ) تاريخ الموصل - تحقيق : على حبيبه - طبع القاهرة : ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) .

١٥ - الأشعرى : (أبو الحسن ، على بن إسماعيل - ت ٣٣٠ هـ) مقالات الإسلاميين واختلاف المعلمين - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) .

١٦ - الأصفهاني : (أبو الفرج ، عليّ بن الحسين بن الهيثم - ت ٣٥٦ هـ) مقاتل الطالبيين - الطبعة الثانية ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) ، طبع المعارف ، بيروت (بدون تاريخ) .

١٧ - (المؤلف السابق) : الأغاني ، مصوَّر عن طبعة بولاق الأصلية .

(ب)

١٨ - البخاري : (أبو عبد الله ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم - ولد ١٩٤ ، ت ٢٥٦ هـ) صحيح البخاري - طبعة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) .

١٩ - البغدادي : (عبد القادر بن طاهر بن محمد - ت ٤٢٩ هـ) الفَرق بين الفِرق - تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، طبعة المدني ، والطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ - بيروت .

٢٠ - ابن بكار : (الزبير بن بكار - ولد ٢٧١ ، ت ٢٥٦ هـ) نسب قريش وأخبارها - تحقيق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ١٣٨١ هـ .

٢١ - البكري : (أبو عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي - ت ٤٨٧ هـ) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع - تحقيق : مصطفى السقا ، الطبعة الأولى ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) .

٢٢ - البلاذري : (سبق تحت رقم ١) أنساب الأشراف - جـ ١ ، ٤ - طبع دار المعارف ١٩٣٨ م ، جـ ١١ طبع بولس آبل - أوروبا - ٣ مارس ١٨٨٣ م .

(ت)

٢٣ - ابن تغري بردي : (جمال الدين ، أبي المحاسن ، يوسف - ت ٨٧٤ هـ) النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة - نسخة مصوَّرة عن دار الكتب .

٢٤ - التنوخي : (القاضي ، أبي عبد الله المحسن بن عليّ - ت ٣٨٤ هـ) الفرج بعد الشِدّة - تحقيق عبود السالجي - دار صاد ، بيروت ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨هـ) .

٢٥ - ابن تيمية : (أبو العباس ، تقى الدين أحمد بن عبد الحليم - ت ٧٢٨هـ) منهاج السُنّة - الطبعة الأولى - بولاق ١٣٢١ هـ .

(ج)

٢٦ - الجاحظ : (أبو عثمان ، عمرو بن بحر - ت ٢٥٥ هـ) البيان والتبيين - تحقيق وشرح : عبد السلام هارون - طبعة ١٩٧٥ م .

٢٧ - الجاحظ : (المؤلف السابق) التاج فى أخلاق الملوك - تحقيق أحمد زكى باشا ، الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية - القاهرة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) .

٢٨ - ابن الجوزى : (عبد الرحمن بن علىّ - ت ٥٩٧ هـ) تذكرة الخواص - طبع المطبعة العلمية - النجف ، ١٣٦٩ هـ .

٢٩ - الجهشيارى : (محمد بن عبدوس - ت ٣٣١ هـ) الوزراء والكتاب - الطبعة الأولى ، مصطفى البابى الحلبى وأولاده - القاهرة ١٩٣٨ هـ .

٣٠ - الجوهرى : (إسماعيل بن حماد - ت ٣٩٣ هـ) الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية - تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار - طبع دار الكتاب بمصر (بدون تاريخ) .

(ح)

٣١ - ابن حبيب : (أبو جعفر ، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو - ت ٢٤٥ هـ) المحبّر : طبعة حيدر آباد الدكن - ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م) .

٣٢ - ابن حجر : (أحمد بن حجر الهيثمى المكى - ولد ٨٩٩ ، ت ٩٧٤ هـ) الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة - الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ هـ) .

٣٣ - ابن أبى الحديد : (عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين المدائنى - ت ٦٥٥ هـ) شرح نهج البلاغة ، الطبعة الثانية ، عيسى البابى الحلبى ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) .

٣٤ - ابن حزم : (أبو محمد ، علىّ بن أحمد بن سعيد الأندلسى - ت ٤٥٦ هـ) جمهرة أنساب العرب - تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) .

٣٥ - الحموى : (شهاب الدين ، أبو عبد الله ، ياقوت بن عبد الله - ت ٦٢٦ هـ) معجم البلدان ، طبع دار صادر ، بيروت ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .

٣٦ - ابن حنبل : (أحمد بن محمد - ولد ١٦٤ ، ت ٢٤١ هـ) المُسْنَدْ - طبع دار المعارف بمصر ١٣٧٥ هـ (١٩٥٦ م) .

٣٧ - الحنبلى : (أبو الفلاح ، عبد الحى بن العماد - ت ١٠٨٩ هـ) شذرات الذهب فى أخبار مَن ذهب - طبع المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت (بدون تاريخ) .

(خ)

٣٨ - الخطيب البغدادى : (أبو بكر ، أحمد بن علىّ - ت ٤٦٣ هـ) تاريخ بغداد - الناشر المكتبة السَلَفية بالمدينة (بدون تاريخ) .

٣٩ - ابن خلدون : (عبد الرحمن بن محمد - ت ٨٠٨ هـ) التاريخ .. العبر وديوان المبتدأ والخبر - طبع بيروت ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) .

٤٠ - (المؤلف السابق) : المقدمة .. مقدمة ابن خلدون - بيروت ١٩٥٧ م .

٤١ - ابن خلكان : (أبو العباس ، شمس الدين ، أحمد بن محمد بن أبى بكر - ت ٦٨١ هـ) وفيات الأعيان - تحقيق : إحسان عباس - طبع دار صادر ، بيروت (بدون تاريخ) .

٤٢ - ابن خياط : (خليفة بن خياط العصفرى - ت ٢٤٠ هـ) تاريخ خليفة ابن خياط - طبع دمشق ١٩٦٨ م .

(د)

٤٣ - دحلان : (أحمد بن زينى) خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام - الطبعة الأولى ، المطبعة الخيرية ١٣٠٥ هـ .

٤٤ - الدينورى : (أبو حنيفة ، أحمد بن داود - ت ٢٨٢ هـ) الأخبار الطوال - الطبعة الأولى ١٩٦٠ م .

(ذ)

٤٥ - الذهبى : (أبو عبد الله ، شمس الدين ، محمد بن أحمد بن عثمان - ت ٧٤٨ هـ) دول الاسلام - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م ، طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٢٧ هـ .

٤٦ - (المؤلف السابق) : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام - طبع السعادة بمصر ١٣٦٨ هـ

٤٧ - (المؤلف السابق) : تذكرة الحفاظ - الجزء الأول - طبع حيدر آباد الدكن ، الهند ، سنة ١٣٣٣هـ .

٤٨ - (المؤلف السابق) : سير أعلام النبلاء - جـ ١ تحقيق : صلاح الدين المنجد ، جـ ٢ تحقيق : إبراهيم الإبيارى ، جـ ٣ تحقيق : محمد أسعد أطلس - طبع دار المعارف بمصر (ذخائر العرب : ١٩) .

(ز)

٤٩ - الزبيرى : (أبو عبد الله ، المصعب بن عبد الله بن المصعب - ولد ١٥٦ ، ت ٢٣٦ هـ) نسب قريش - طبع دار المعارف للطباعة والنشر .

(س)

٥٠ - ابن سعد : (محمد بن سعد - ت ٢٣٠ هـ) الطبقات الكبرى - طبع دار صادر ، بيروت ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) .

٥١ - السمهودى : (نور الدين علىّ بن أحمد - ت ٩١١ هـ) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى - الطبعة الرابعة - بيروت ١٤٠٤ هـ .

٥٢ - السيوطى : (الإمام الحافظ ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر - ت ٩١١ هـ) تاريخ الخلفاء - الطبعة الرابعة ، مطبعة الفجالة الحديثة ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) .

(ش)

٥٣ - الشهرستانى : (أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم - ت ٥٤٨ هـ) الملل والنحل - طبع دار المعرفة ، الطعبة الثانية ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) (بالحواشى الجانبية) - طبع دار المعرفة ببيروت - الطبعة الثانية بالأوفست ، (بدون حواشى جانبية) .

(ط)

٥٤ - ابن طباطبا : (محمد بن علىّ ، المعروف بابن الطقطقى - ت ٧٠٩ هـ) الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية - طبع الرحمانية بمصر ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) ، وطبع دار صادر ببيروت ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) .

٥٥ - الطبرى : (أبو جعفر محمد بن جرير - ت ٣١٠ هـ) تاريخ الرسل والملوك - الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر .

(ع)

٥٦ - ابن عبد ربه : (أبو عمر ، أحمد بن محمد - ت ٣٢٨ هـ) العقد الفريد - الطبعة الثانية ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢ م) .

٥٧ - ابن عساكر : (علىّ بن الحسن بن هبة الله الشافعى - ت ٥٧١ هـ) تهذيب تاريخ دمشق الكبير - الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

٥٨ - ابن عنبة : (جمال الدين ، أحمد بن علىّ - ت ٨٢٨ هـ) عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب - الطبعة الثانية ١٣٨٠ هـ (١٩٦١ م) .

(ف)

٥٩ - أبو الفدا : (عماد الدين ، إسماعيل - ت ٧٣٢ هـ) المختصر فى أخبار البَشر - تاريخ أبى الفداء - الطبعة الأولى ، المطبعة الحسينية بمصر (بدون تاريخ) .

(ق)

٦٠ - ابن قتيبة : (أبو محمد ، عبد الله بن مسلم ... الدينورى - ت ٢٧٦هـ) عيون الأخبار - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب (بدون تاريخ) .

٦١ - (المؤلف السابق) : الإمامة والسياسة - الطبعة الأخيرة ١٣٨٨ هـ (١٩٦٩ هـ) .

٦٢ - (المؤلف السابق) : المعارف [1] - طبعة ١٣٤٨ هـ ، ١٣٥٣ هـ .

٦٣ - القفطى : (علىّ بن القاضى الأشرف يوسف - ت ٦٤٦ هـ) أخبار العلماء بأخبار الحكماء - الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٦ هـ .

٦٤ - القلقشندى : (أبو العباس ، أحمد - ت ٨٢١ هـ) صبح الأعشى - طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة بولاق ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) ، طبعة دار الكتب ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) .

٦٥ - القيروانى : (أبو إسحاق ، إبراهيم بن على الحصرى) زهر الآداب وثمر الألباب - تحقيق على محمد البجاوى - الطبعة الثانية - دار إحياء الكتب .

---

(١) ساعدنا هذا الكتاب على ضبط الأعلام .

(ك)

٦٦ - الكتبى : (محمد شاكر - ت ٧٦٤ هـ) فوات الوفيات - تحقيق : إحسان عباس - طبع دار صادر ببيروت ، يناير ١٩٧٤ م .

٦٧ - ابن كثير : (الحافظ ، عماد الدين ، أبى الفداء إسماعيل بن عمر - ت ٧٧٤ هـ) البداية والنهاية فى التاريخ - مطبعة السعادة .

٦٨ - الكندى : (أبو عمر ، محمد بن يوسف - ت ٣٥٠ هـ) الولاة والقضاة - طبع الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ م .

(م)

٦٩ - المبرد : (أبو العباس ، محمد بن يزيد - ت ٢٨٥ هـ) الكامل فى اللغة والأدب (الطبعة القديمة - الغير محققة) والطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) .

٧٠ - المسعودى : (أبو الحسن ، على بن الحسين - ت ٣٤٦ هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر - طبع دار الفكر ١٣٩٣ هـ .

٧١ - (المؤلف السابق) : التنبيه والأشراف - طبعة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) .

٧٢ - المقدسى : (شمس الدين ، أبو عبد الله ، محمد - ت ٣٨٨ هـ) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم - طبع دى غويه ، ليدن ١٩٠٦ م .

٧٣ - المقدسى : (مطهر بن طاهر - ت ٣٥٥ هـ) البدء والتاريخ - الجزء الخامس - طبع باريس ١٩١٦ م ، الجزء السادس - طبع باريس ١٩١٩ م .

٧٤ - المقريزى : (تقى الدين ، أبو بكر - ت ٨٣٣ هـ) النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم - طبعة إبريل ١٨٨٨ م .

٧٥ - (مؤلف مجهول) : العيون والحدائق فى أخبار الحقائق - طبعة إبريل ١٨٧١م .

٧٦ - (مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجرى) : أخبار الدولة العباسية - تحقيق : عبد العزيز الدورى ، وعبد الجبار المطلبى - طبع دار صادر ، بيروت ١٩٧١/٩/٧ م .

(ن)

٧٧ - النوبختى : (أبو محمد ، الحسن بن موسى - ت ٣١٠ هـ) فِرق الشيعة - طبع المطبعة الحيدرية ، النجف (بدون تاريخ) .

٧٨ - النيسابورى : (مسلم بن الحجاج القشيرى - ولد ٢٠٦ ، ت ٢٦١ هـ) صحيح مسلم - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى - الطبعة الأولى ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) .

(و)

٧٩ - ابن الوردى : (زين الدين ، عمر - ت ٧٤٩ هـ) تاريخ ابن الوردى - تحقيق : أحمد رفعت البدراوى - الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ (١٩٧٠ م) بيروت .

(ي)

٨٠ - اليعقوبى : (أحمد بن أبى يعقوب - قيل توفى : ٢٩٤ هـ) تاريخ اليعقوبى - طبع العزى ، النجف ١٩٣٨ م .

* * *

ثالثا : المراجع الحديثة

(أ)

٨١ - الأعظمى : (على ظريف) مختصر تاريخ البصرة - طبع الفرات ، بغداد ١٣٤٦ هـ .

٨٢ - أمين (أحمد) فجر الاسلام - مطبعة النهضة المصرية - الطبعة ١٢ سنة ١٩٧٨ م .

٨٣ - (المؤلف السابق) : ضحى الإسلام : طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٦٢ هـ .

(ب)

٨٤ - البراقى : (حسين بن السيد أحمد) تاريخ الكوفة - الطبعة الثانية ١٣٧٩ هـ (١٩٦٠ م) .

٨٥ - بروكلمان : (كارل) تاريخ الشعوب الإسلامية - الطبعة السابعة ، دار العلم للملايين ، بيروت

٨٦ - بك : (محمد الخضرى) تاريخ الأمم الإسلامية - طبعة ١٩٦٩ م .

(ج)

٨٧ - الجومردى : (دكتور ، عبد الجبار) هارون الرشيد - طبع المكتبة العمومية - بيروت ١٩٦٥ م .

٨٨ - (المؤلف السابق) : أبو جعفر المنصور - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٦٣ م .

(ح)

٨٩ - حسن : (دكتور ، حسن إبراهيم) تاريخ الإسلام - الطبعة الثامنة ١٩٧٢ م .

٩٠ - حسن : (دكتور ، على إبراهيم) التاريخ الإسلامى العام - طبع مكتبة النهضة المصرية (بدون تاريخ) .

٩١ - (المؤلف السابق) : تاريخ الدولة الفاطمية - الطبعة الثانية ، مكتبة نهضة مصر - ١٩٥٨ م .

٩٢ - حلمي : (دكتور ، محمد حلمي محمد أحمد) الخلافة والدولة فى العصر العباسى - مكتبة نهضة مصر - الطبعة الأولى ١٣٧٨ هـ (١٩٥٩ م) .

٩٣ - حماده : (دكتور ، محمد ماهر) الوثائق السياسية والإدارية (العصر الأموى) - الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) - (العصر العباسى الأول) - الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

(خ)

٩٤ - الخربوطلى : (دكتور ، على حسنى) المهدى العباسى (أعلام العرب : ٥١) دار مصر للطباعة .

٩٥ - خليفة : (حسن) الدولة العباسية قيامها وسقوطها - الطبعة الأولى .

(د)

٩٦ - الدورى : (دكتور ، عبد العزيز) العصر العباسى الأول - طبع النفيض الأهلية - بغداد ١٣٦٣ هـ (١٩٤٥ م) .

٩٧ - (المؤلف السابق) مقدمة فى تاريخ صدر الإسلام - طبع المعارف ، بغداد (بدون تاريخ) .

(ر)

٩٨ - رستم : (عبد السلام) أبو جعفر المنصور - طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م .

٩٩ - رفاعى : (دكتور ، أحمد فريد) عصر المأمون - الطبعة الرابعة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨ م) .

١٠٠ - الريس : (دكتور ، محمد ضياء الدين) عبد الملك بن مروان (أعلام العرب : ١٠) .

(ز)

١٠١ - الزركلى : (خير الدين) الأعلام - الطبعة الرابعة ١٩٧٩ م .

١٠٢ - زمباور : (إدوارد فون) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة - ترجمة : زكى محمد حسن ، حسن أحمد محمود ، مطبعة جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥١ م .

١٠٣ - أبو زهرة : (الشيخ ، محمد) تاريخ المذاهب الإسلامية - طبع دار الفكر العربى .

(س)

١٠٤ - الساعدى : (محمد الساعدى) الحسنيون فى التاريخ - طبع النجف ١٣٧٥ هـ (١٩٥٦ م) .

١٠٥ - سالم : (دكتور ، السيد عبد العزيز) دراسات فى تاريخ العرب - الناشر مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية (بدون تاريخ ، ومكان الطبع) .

١٠٦ - (المؤلف السابق) : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس - طبع بيروت سنة ١٩٦٢ م .

١٠٧ - السباعى : (أحمد) تاريخ مكة - طبع نادى مكة الثقافى ، الطبعة الرابعة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

١٠٨ - سرور : (دكتور ، محمد جمال الدين) الحياة السياسية فى الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثانى بعد الهجرة - الطبعة الثالثة ، دار الفكرى العربى ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) .

١٠٩ - السندوبى : (حسن) رسائل الجاحظ - الطبعة الأولى ، المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٥٢ هـ (١٩٣٢ م) .

(ش)

١١٠ - الشريف : (أحمد إبراهيم) دور الحجاز فى الحياة السياسية العامة - الطبعة الثانية ١٩٧٧ م .

١١١ - شلبى : (دكتور ، أحمد) التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية - الطبعة الرابعة - مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠ م .

١١٢ - (المؤلف السابق) : فى قصور الخلفاء العباسيين - مطبعة مخيمر - القاهرة سنة ١٩٥٤ م .

(ص)

١١٣ - صبحى : (دكتور ، أحمد محمود) نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثنى عشرية - طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م .

١١٤ - صفوت : (أحمد زكى) جمهرة رسائل العرب - الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ (١٩٣٧ م) .

(ع)

١١٥ - العمرو : (دكتور ، علىّ عبد الرحمن) أثر الفُرس السياسى فى العصر العباسى الأول - الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

١١٦ - عنان : (محمد عبد الله) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة - نشر دار الهلال بمصر ١٩٢٦ م .

(غ)

١١٧ - غنيم : (دكتور ، عبد العزيز) الحسين بن علىّ أمام محكمة التاريخ - الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) .

(ف)

١١٨ - فلهوزن : (يوليوس) أحزاب المعارضة السياسية الدينية فى صدر الإسلام : الخوارج والشيعة - ترجمة : عبد الرحمن بدوى - طبع النهضة المصرية ١٩٦٨م .

١١٩ - (المؤلف السابق) : تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية - الطبعة الثانية ١٩٦٨ م .

١٢٠ - فوزى : (دكتور ، فاروق عمر) طبيعة الدعوة العباسية - الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ (١٩٧٠ م) .

١٢١ - (المؤلف السابق) : الخلافة العباسية فى عصر الفوضى العسكرية - الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .

١٢٢ - (المؤلف السابق) : العباسيون الأوائل - الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ (١٩٧٣ م) .

(ك)

١٢٣ - كحالة : (عمر رضا) معجم قبائل العرب - الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) بيروت .

١٢٤ - (المؤلف السابق) : معجم المؤلفين [١] ، مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦١ م) .

١٢٥ - كرد على : (محمد) خطط الشام - الجزء الأول - الطبعة الثانية بيروت ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) .

---

(١) ساعدنى هذا الكتاب لضبط أسماء المؤلفين وتاريخ وفياتهم .

(م)

١٢٦ - مجموعة مستشرقين : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث - طبع ليدن سنة ١٩٢٦ م .

١٢٧ - محمود : (دكتور ، حسن أحمد ، وزميله) العالم الإسلامى فى العصر العباسى - الطبعة الثانية ١٩٧٣ م

١٢٨ - مصطفى : (دكتور ، شاكر) دولة بنى العباس - الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣ م - الكويت .

١٢٩ - المظفرى : (محمد الحسين) تاريخ الشيعة - مطبعة الزهراء بالنجف سنة ١٣٥٢ هـ .

١٣٠ - (المؤلف السابق) : الإمام الصادق - المطبعة الحيدرية - النجف - الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) .

١٣١ - مغنية : (محمد جواد) الشيعة والحاكمون - منشورات المكتبة الأهلية - بيروت (بدون تاريخ) .

(ن)

١٣٢ - النجار : (دكتور ، محمد الطيب) الدولة الأموية فى الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء - طبع دار الكتاب العربى بمصر ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) .

١٣٣ - (المؤلف السابق) وزميله : (دكتور ، محمد مصطفى النجار) الدولة الأموية والعباسية وحضارتهما - الطبعة الأولى ١٣٧٨ هـ (١٩٦٧ م) .

١٣٤ - نصار : (دكتور ، عبد المقصود محمد) ملامح من تاريخ الدولتين (الدولة العباسية) - الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) .

(هـ)

١٣٥ - هارون : (عبد السلام) تحقيق نوادر المخطوطات - الطبعة الأولى - لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) .

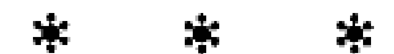
* * *

رابعا : الدوريات

١٣٦ - تقويم جديد للدعوة العباسية (محاضرات فى التاريخ والآثار) - الدكتور فاروق عمر فوزى - جامعة الرياض - كلية الآداب - ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) .

١٣٧ - مجلة الازهر - القاهرة ، الجزء الثالث ، السنة التاسعة والأربعون ، ربيع الأول ١٣٩٧ هـ (مارس ١٩٧٧ م) : مقال مأساة النفس الزكية - ص. ٥١ - للشيخ السيد حسن قرون .

١٣٨ - مجلة كلية الآداب - الجامعة المصرية - المجلد الأول ، الجزء الأول - مايو ١٩٣٣ م - دار الكتب المصرية - دوريات - رقم ١٨٣٣



١٣٩ - مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد - العدد ١٦ - سنة ١٩٧٣ م محفوظة في جامعة القاهرة -- رمز (دوريات) - رقم ٣٩٣

١٤. - مجلة المؤرخ العربى (تصدرها الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب) ، بغداد - العدد العاشر .

* * *

محتويات الكتاب

الفصل الثالث : حركة محمد النفس الزكية بالمدينة المنوّرة

(١١٧ - ١٦٦)

الفصل الرابع : حركة إبراهيم فى البصرة

(١٦٧ - ١٩٠)

الفصل الخامس : حركة الحسين بن على بن الحسن

(١٩١ - ٢١٠)

الفصل السادس : العلويون فى عهد الخليفة المأمون
(٢١١ - ٢٧٦)

(أ) حركة أبى السرايا وعلاقة العلويين بها فى الحجاز
(٢١٣ - ٢٢٩)

(ب) علىّ الرضا والخليفة المأمون
(٢٣١ - ٢٧٦)

* * *

رقم الإيداع : ٤٠١٨ / ١٩٩٢
الترقيم الدولي : ٨ - ١٠ - ٥٢٥٤ - ٩٧٧